على خطى الرسول ﷺ

الأحاديث الكلية للمسلم الجديد

المقرر التعليمي

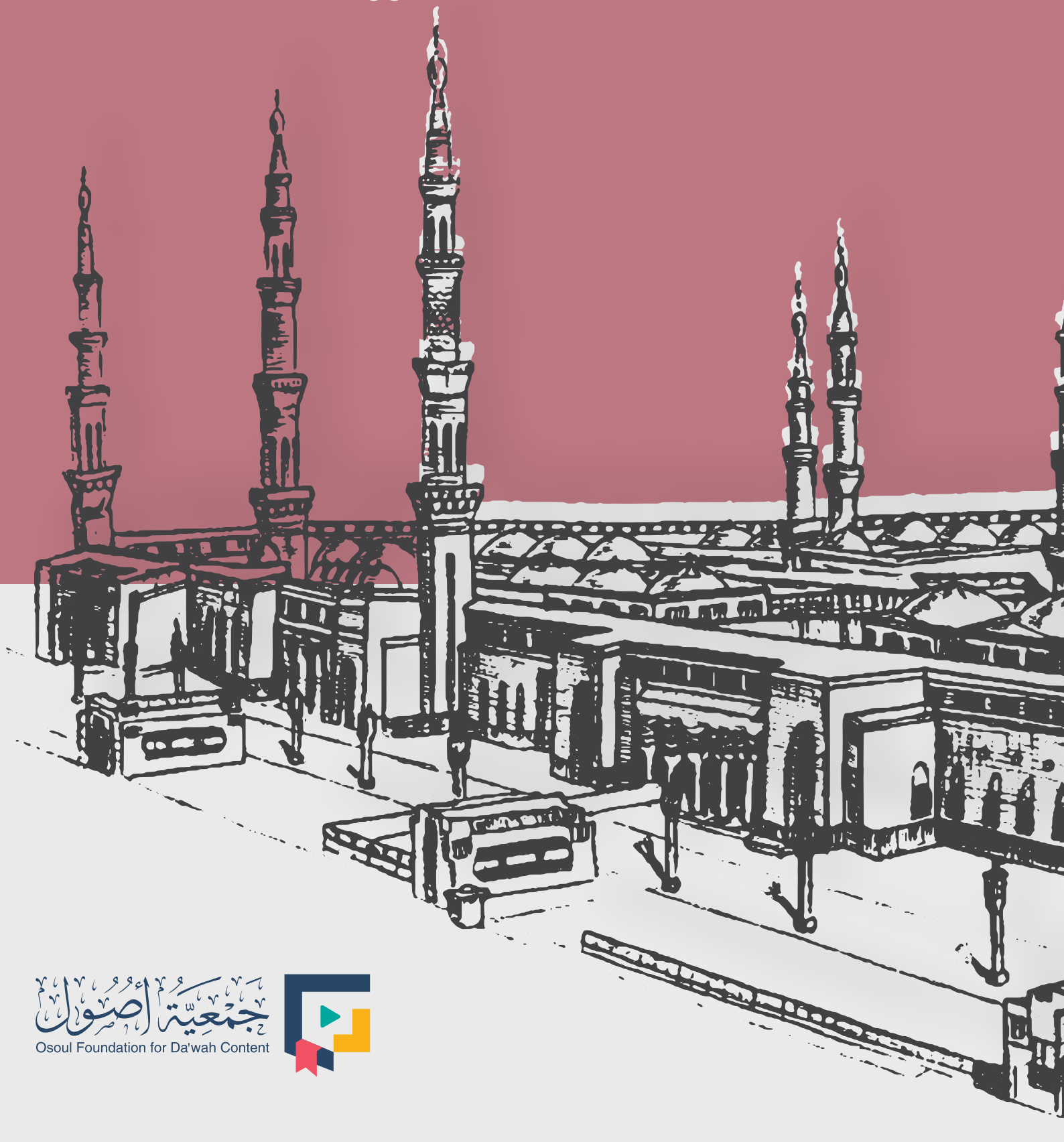

جمعية أصول
Osoul Foundation for Da'wah Content

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

الأحاديث الكلية:
المقرر التعليمي

مدخـــل

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

البعد عن الإسلام ظلام، والإسلام نور، والجهل ظلام، والعلم نور، ومن أعظم ما ينفع المسلم الجديد في رحلته للنور: أن يقتبس نورًا من كلام أفضل هادٍ في التاريخ -محمد ﷺ-.

وفي هذا المقرر التعليمي، نتشارك مع المسلم الجديد في رحلته لفهم أصول الإسلام من خلال دراسة مختارة للأحاديث النبوية الشريفة؛ فاللحظة التي يعلن فيها الإنسان إسلامه هي نقطة تحول جوهرية، تحمل في طياتها فرصًا لتثبيت هذا القرار وتعزيزه بالعلم والإيمان.

هذا المقرر قصد ٢١ حديثًا نبويًا تم اختيارها بعناية لتكون مناسبة لمن بدأوا رحلتهم في الإسلام، يشرحُ كلُّ حديثٍ بأسلوب تعليميٍ ميسر، يعنى بفهم المعاني الأساسية لكل حديث، وتطبيقها في الواقع. يشمل المقرر عناصر متعددة مراعى فيها عناصر الدرس التعليمي الحديث.

يعد هذا المقرر جزءًا من مبادرة تعليمية شاملة تهدف إلى تقريب السنة النبوية للمسلمين الجدد، وإرشادهم في رحلتهم بأسلوب متكامل وميسر.

وقد سبق أن أعدت (أصول) العديد من الدراسات حول المسلم الجديد واحتياجاته، ولا شك أن في الحديث النبوي تلبيةً لتلك الاحتياجات، لأنه ﷺ كان يتعامل مع المسلمين الجدد طول حياته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

ومن عَلِم شأنَ إسلام المسلم الجديد وشأن السنة النبوية: عَلِم أن العنايةَ بسنة رسول الله ﷺ في صلاحِ المسلم الجديد من أعظم المشاريع.

يندرج هذا المشروع ضمن مبادرة كبرى إحدى مبادرات أصول، بعنوان: (على خطى الرسول ﷺ) والذي يعنى بالتقريب والدلالة على السنة النبوية ومعانيها بلغات العالم.

وهناك المزيد من المنتجات والدمات يمكن الاطلاع عليها في منصة الأحاديث الكلية، أو مراسلتنا عليها.

والحمد لله رب العالمين

فهرس دروس المقرر الأول

المدخل ٣

الحديث الأول: الحياة الجديدة ٧

الحديث الثاني: محربا بك في دين كامل ١٩

الحديث الثالث: الله العظيم ٣٥

الحديث الرابع: حق الله الأعظم ٥٥

الحديث الخامس: بداية نبوة محمد ﷺ ٦٩

الحديث السادس: مجمل التعريف بالإسلام ٨٧

الحديث السابع: الأنبياء الإخوة ١٠٩

الحديث الثامن: النار ١٢٣

الحديث التاسع: الجنة ١٣٥

الحديث العاشر: القدر الحكيم ١٤٧

الحديث الحادي عشر: التشهد ١٦٣

الحديث الثاني عشر: تعال نعلم الآخرين ١٧٥

الحديث الثالث عشر: اللقاءات الجميلة ١٨٧

الحديث الرابع عشر: العمل الإيجابي.. كن قويا ١٩٧

الحديث الخامس عشر: أخلاق المسلم ٢٠٩

الحديث السادس عشر: المجاهدة طريق النجاح ٢٢١

الحديث السابع عشر: أبواب الخير الواسعة ٢٣٧

الحديث الثامن عشر: المحرمات الكبار ٢٥٥

الحديث التاسع عشر: الغلو والإثقال على النفس ٢٧١

الحديث العشرون: أخلاق المسلم ٢٨٥

الحديث الحادي والعشرون: في كل وقت صفحة جديدة ٣٠١

الحديث الأول
الحياة الجديدة

الحياة الجديدة

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ. فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: "مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟" قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: "تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟" قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»[1]. "صحيح مسلم" (١/ ٧٨ ط التركية).

أولا: مقدمات مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إنَّ الله تعالى يُنعم على الإنسانِ بنعمٍ كثيرة لا حَصْرَ لها ولا عدّ، ولكن نعم الله تعالى تتفاضل؛ فأعظم النعم وأجلها هي نعمة الإسلام، فهي أصل النعم وأعلاها.

فإذا مَنَّ الله تعالى عليك بالإسلام فاعلم أنك حصلت الخير كله، وذلك دليل على اصطفائه ﷻ لك.

فأنت الآن دخلت حياة جديدة كلها رضًا وسعادة، وقربًا من الله تعالى.

نشـــاط (١)

- **لماذا كان الإسلام يمحو ما قبله من الذنوب والمعاصي؟**

فكر في الجواب وسجله في المكان الآتي:

.....

.....

.....

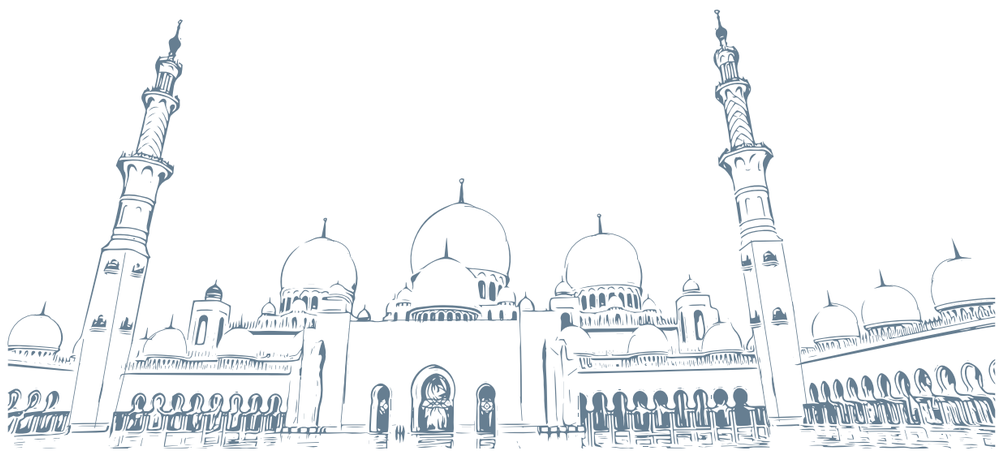

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

- **تترجم لراوي الحديث.**
- **توضح معاني مفردات الحديث.**
- **تشرح المعنى الإجمالي للحديث.**
- **تبين ما يرشد إليه الحديث.**
- **تستدل بالنصوص الشرعية على أن الإسلام وبعض الأعمال الصالحات سببٌ لمغفرة الذنوب.**
- **تحرص على العمل بما علمت.**
- **تحرص على ما ينفعك في الدنيا والآخرة.**

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السَّهمي القُرشي، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب، كان من أُولِي الرأي والحزم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحُديبيَة. وتُوفي رضي الله عنه بالقاهرة سنة: ٤٣هـ.

نشـــاط (٢)

- **من الصحابي الذي فتح مصر؟**

.....

- **لعمرو بن العاص فضل كبير على أهل مصر، بين ذلك من خلال فهمك لترجمته.**

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
ابْسُطْ يَمِينَكَ	مدَّ يدك اليمنى.
فَلْأُبَايِعْكَ	أُعاقدك، وأُعاهدك على الإسلام[١]. والمبايعةُ هي: المعاقَدة والمعاهَدة، شُبِّهت بعقود المال؛ لأن كلًّا يُعطي ما عنده بما عند الآخَر؛ فما عند النبيِّ ﷺ الثوابُ والخيرُ الكثيرُ، وما عندهم التزامُ الطاعة[٢].

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

قال عَمْرُو بنُ العَاصِ رضي الله عنه: (لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلامَ فِي قَلْبِي)؛ أي: لَمَّا هداني الله تعالى إلى الإسلام. (فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ)؛ أي: أن يفتح ﷺ يمينه ويمُدَّها؛ ليَضَعَ عمرٌو رضي الله عنه يمينه عليها، كما هي العادةُ في البيعة.

قَالَ: (فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: "مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟" قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: "تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟" قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي)؛ أي: قَبَض عمرٌو يده يُريد أن يشترط أن يَغفِر الله له ذنوبه قبل أن يُسلِم.

قال ﷺ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»: فأخبره ﷺ أن الإسلام والهجرة والحجَّ؛ كل هذا يَجُبُّ ما قبله، ويعود الإنسان دون ذنوب كأنه وُلد من جديد.

(١) انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (١/ ١٧٤).

(٢) "اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح" لشمس الدين البرماويِّ (١/ ١٥٧).

٤. الشرح المفصل للحديث:

إن الله تعالى برحمته يَهدي مَن يشاء، فيجعل القناعة بالإسلام في قلب من يشاء، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قبْل الإسلام شديدَ البُغض والعداوة للإسلام وللمسلمين، ثم أسلم رضي الله عنه في السنة الثامنة من الهجرة.

فذهب إلى النبي ﷺ ليُعلن إسلامه، مدَّ يدَه إلى النبي ﷺ ليصافحه ويعاهده على الإسلام، فلمَّا مدَّ النبي ﷺ يده إليه، قبض عمرو يدَه ولم يصافحه، فسأله النبي ﷺ عن سبب ذلك!

فقال: يا رسول الله لي شرط قبل أن أعاهدك على الإسلام، فسأله النبي ﷺ عن هذا الشرط، فقال عمرو رضي الله عنه: أن يغفر الله ذنوبي التي فعلتُها في الجاهلية.

فأخبره النبي ﷺ أنَّ الإسلام يمحو ما قبله من الذنوب والمعاصي، فإذا عمل الشرك والمعاصي قبل إسلامه، ثم أسلمَ وعزم على ترْك تلك الذنوب، وتركها؛ فقد مُحيت جميع تلك الذنوب، وبقيت أعماله الصالحة التي عملها في الجاهلية في ميزانه. قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨][١]. فقبول التوبة من لُطْفِ الله سُبْحانه ورحمَتِه بخَلْقِه؛ فالناسُ يقَعون في الكُفْرِ والمعاصي، ومع ذلك يُيَسِّرُ الله تعالى لهم التَّوبةَ، ويَقبَلُها منهم سبحانه ويَغفِرُ لهم.

اتَّفَق العلماء أن الإسلام يهدِم ما كان قبلَه مطلَقًا، يَستوي في ذلك المظالِمُ وغيرُها من الذنوب، وكذا الكبيرة والصغيرة، وأما الهجرة والحجُّ، فقد وقَع فيهما الخلافُ بين العلماء؛ فقيل: إنهما لا يُكفِّران المظالِم، ولا يُقطَع فيهما أيضًا بغُفران الكبائر التي بين الله وبين العباد، فيُحمَل الحديث على أن الحجَّ والهجرة يَهدِمان ما كان قبلَهما من الصغائر، ويَحتمِل أنهما يهْدِمان الكبائر أيضًا فيما لا يتعلَّق به حقوقُ العباد بشرط التوبة، وقيل: إنهما يَمْحوان ما قبلَهما من الكبائر والصغائر، وكذا المظالِمُ.

ومن الأعمال التي تمحو ما قبلها: الهجرة -وهي ترك مكان يملؤه الكفر إلى مكان الإسلام- تمحو ما كان قبلها من الذنوب؛ فلو كان إنسانٌ في بلد غير مسلم، ولم يستطع أن يقيم دينه، وكان هناك بلد مسلم يمكنه فيه أن يقيم دِينه، فهاجر إليه وترك بلده لأجل الله تعالى: فقد مُحيت ذنوبه، وبقيت أعماله الصالحة في ميزانه.

وكذلك فإن الحجَّ -وهو الذهاب لمكة لأداء العبادة في وقت محدَّد من السَّنة- ولو لمرة واحدة،

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عُثيمين (٤/ ١٣٨).

متى عمله الإنسان بصِدق وإحسان؛ فقد مُحيت ذنوبه، وبقيت أعماله الصالحة في ميزانه؛ ليستقبل الإنسان بذلك حياة جديدة. قال النبيِّ ﷺ: "مَن حجَّ فلم يرفُثْ ولم يَفسُق، رجَع من ذنوبه كيوم ولدَته أُمُّه»[1].

وفي هذا الحديث بشارة بأنَّ الإسلامَ والهِجرةَ والحجَّ؛ كلُّ ذلك يمحو ما كانَ قبلَهم منَ الذُّنُوبِ والكبائر، وإنْ كانتْ مثلَ الجبالِ.

ومن كان له ذنوبٌ فتاب من بعضها دون بعض، فإنّ التّوبة إنّما تقتضي مغفرة ما تاب منه، أمّا ما لم يتب منه فهو باقٍ فيه على حُكم من لم يتب، لا على حكم من تاب، وأما الكافر إذا أسلم، فإنّ إسلامه يتضمَّن التّوبة من الكفر، فيُغفَر له بالإسلام الكفر الّذي تاب منه.

نشـــاط (٣)

ابحث ثم لخص

- **فعل عمرو ﷺ شيئًا فريدًا عند مبايعته، فما هو؟ وما الغرض منه؟**

.....

.....

- **بين مدى ذكاء عمر بن العاص، ومدى حكمة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى**

.....

.....

.....

.....

(١) رواه البخاريُّ (١٥٢١)، ومسلم (١٣٢٠).

نشـــاط (٤)

- **كيف كان النبي ﷺ يبايع الرجال وكيف كان يبايع النساء، ولماذا كانت الطريقة تختلف؟**

.....

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعا	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا	وجميل عفوك ثم أنّي مسلم

قال الشاعر العربي:

جاءك المذنب يرجو الصْـ	ـصَفْحَ عن جُرم يديهِ
أنا ضَيْفٌ وجزاء الضْـ	ـضَيْفِ إحسانٌ إليهِ

٦. من هدايات الحديث:

١. الإسلامُ نِعمةٌ كُبرى يَهدِمُ ما قبله مِن أعمال الشِّركِ، ويمحُو الله به الذُّنُوبَ والآثامَ.

٢. الحاجُّ يرجِعُ مِن حَجِّهِ خاليًا منَ الذُّنُوبِ والمعَاصِي كيَومِ ولدته أمُّه.

٣. إن الهجرةَ من ديار الكفر إلى ديار الإسلام من أجلِّ الأعمال، وهي بابٌ عظيمٌ لمغفرة الذنوب.

٤. المغفرة للحجِّ المبرور عامَّةٌ في حقوق الله تعالى؛ فإن الله عزَّ وجلَّ يغفرها، أما حقوق الآدميين فلا تسقُط إلا باسترضاء الخصوم، أو أداء الحقوق لأصحابها.

٥. إياك وحقوقَ العباد؛ فإن كلَّ الذنوب في حقِّ الله – مهما كانت – في مشيئته تعالى، يغفرها إن شاء، أما حقوق العباد فلا تسقط، إما الأداء أو الترضية.

٦. إذا كان الحجُّ المبرورُ جزاؤه الجنةُ، فآيةُ ذلك أن يرجِع الحاجُّ مبتعدًا عن الذنوب، راغبًا في ثواب الآخرة.

٧. تجوزُ الزيادةُ على إجابة السائل؛ فإنه كان يَكفي عَمْرًا أن يقول له النبيُّ ﷺ: إن الإسلام يهدمُ ما كان قبلَه؛ لكنَّه ﷺ أردف ذلك ببيان أن الهجرة والحج من مُكفِّرات الذنوب أيضًا.

٨. مِن واجبات المعلِّم، والمربِّي الناجح التيسير على المدْعوِّين، وتبشيرهم بالخير، ما وجدَ إلى ذلك سبيلًا.

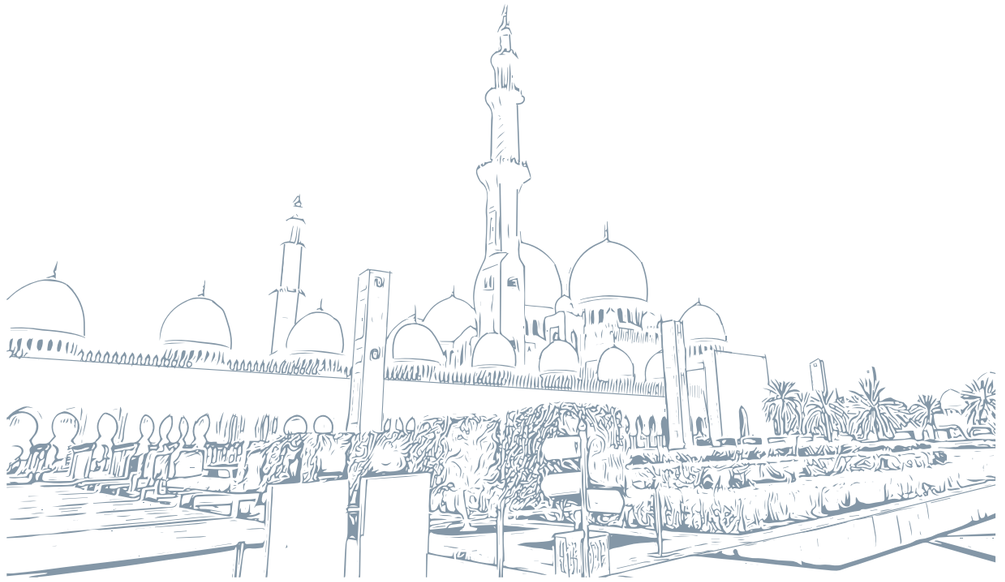

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. جملة: "**الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**" تُثبت أن الإسلام يُزيل ما سبقه من:

١. الذنوب، وعلى رأسها الشرك.

٢. الأمم وما أنجزته من ثقافات.

٣. الحضارات وما أسسته من عمران.

2. من مُكفِّرات الخطايا الواردة في الحديث:

١. الحج.

٢. الإسلام.

٣. الهجرة.

٤. جميع ما سبق. .

3. الآية التي تناسب مضمون الحديث قوله تعالى:

١. ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣].

٢. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

٣. ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٨٩].

4 العمل الذي يمحو ما قبله من الذنوب هو:

١. الحج المبرور.

٢. الهجرة.

٣. الإسلام.

٤. جميع ما سبق.

5 إن الحسنات التي كان يفعلها الإنسان قبل إسلامه:

١. تكتب له بعد الإسلام.

٢. لا تكتب له مطلقًا.

٣. قد تكتب وقد لا تكتب له.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. الزكاة تمحو ما قبلها من الذنوب. ( )

٢. لا يجوز للإنسان أن يسأل عن أي شيء إذا أراد دخول الإسلام. ( )

٣. كان النبي ﷺ يبايع الرجال بالمصافحة. ( )

٤. اشترط عمرو بن العاص أن يزيد ماله. ( )

٥. إن الإسلام يمحو ما قبله. ( )

الحديث الثاني

مرحبا بك في دين كامل

مرحبا بك في دين كامل

عن طارقِ بنِ شهابٍ ﷺ قال: جاء رجُلٌ من اليهودِ إلى عمرَ ﷺ، فقال: يا أميرَ المؤمنِينَ، آيةٌ في كتابِكم تَقرؤونها، لو علينا نزلت معشرَ اليهود، لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيدًا. قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فقال عمر ﷺ: إني لأعلمُ اليومَ الذي نزلتْ فيه، والمكانَ الذي نزلتْ فيه: نزلتْ على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم جُمعة. رواه البخاريُّ (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

أولا: مقدمات تعلم الدرس

١. التمهيد:

إن الله تعالى جعل الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل دينًا غيره، وجعل شريعة نبيه محمد ﷺ خاتمة الشرائع، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل دينه خير الأديان، فكان ذلك يقتضي أن يتم الدين وتكمل الشريعة، ولا يبقى شيء من أمور الدين إلى وقد أحاط به النبي ﷺ وبلغه أمته، وأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ في حجة الوداع آية تخبر بتمام الدين وكماله، وأن الله ﷻ رضي الإسلام دينًا للمسلمين، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومعنى شمولية الإسلام أنه لم يترك أي شيء من مناحي الحياة إلا وعالجه، ففيه صلاح الدنيا والآخرة.

فاعلم أخي المسلم أن دينك كامل تام، وأنه خير الأديان، فلا تجعل لأحد من الناس مجالًا في أن يصرفك عنه، واعلم أن مجرد كونك مسلمًا نعمة من الله تعالى تستحق الشكر آناء الليل وأطراف النهار.

نشـــاط (١)

ابحث ثم لخص

- **ما أفضل نعمة أنعم الله ﷻ بها عليك؟ لماذا؟**

.....

.....

- **قارن بين نعمة الإسلام، والمال، والعافية من حيث الأهمية والعاقبة في الدنيا والآخرة**

.....

.....

.....

.....

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

- تترجم لراوي الحديث.
- توضح معاني مفردات الحديث.
- تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
- تبين ما يرشد إليه الحديث.
- توضيح فضل يومي الجمعة وعرفات
- الشعور بعظمة هذا الدين وكماله.

٣. موضوع الحديث:

ثانيا: رحلة تعلم الدرس

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:.

ترجمة راوي الحديث	سبب ورود الحديث	المعنى الإجمالي للحديث	الشرح التفصيلي للحديث	من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو حفص، عمرُ بنُ الخطَّاب بنِ نُفيلٍ، القرشيُّ، العَدويُّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في جدِّه كعب بن لُؤَيٍّ، لقب بالفاروق، وكان رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأول مَن لُقِّب بأمير المؤمنين، توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، استُشهد عمر رضي الله عنه سنةَ (٢٣هـ).

نشـــاط (٢)

سمعنا كثيرًا عن عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورعه، وقوة يقينه بربه، وعلمه، وقربه من الرسول ﷺ، اقرأ عنه قدر ما تستطيع، ثم اذكر أفضل صفة أعجبتك فيه، وكيف ستطبقها على نفسك؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
معشر	الجماعةُ الذين شأنهم واحدٌ.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

قال طارقُ بنُ شهابٍ: جاء رجُلٌ من اليهودِ إلى عمرَ ﷺ، فقال: (يا أميرَ المؤمنِينَ، آيةٌ في كتابِكم تَقرؤونها، لو علينا نزلت معشرَ اليهود، لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيدًا)؛ أي: لعظَّمْنا ذلك اليوم الذي نزلتْ فيه هذه الآية، وجعلناه عيدًا؛ لفضلها، وقيمتها، وعظيم حقِّها.

قال عمر: وأيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ باكتمال الشرائع والفرائض والحدود، وكماله بعزِّه، وظُهوره على الدين كلِّه. ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بالهداية إلى الإيمان، واكتمال الشرع، وظهور الدين. ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ رضيتُه لكم واصطفيتُه؛ فلا دين سواه يرضاه الله، فلا نسخَ فيه بعد اليوم، ولن تنسخه شريعةٌ أخرى من الشرائع، فهو الدين الخاتم.

فقال عمر ﷺ: (إني لأعلمُ اليومَ الذي نزلتْ فيه، والمكانَ الذي نزلتْ فيه: نزلتْ على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم جُمعة)؛ أي: نحن نعي ذلك ونهتمُّ به وننتبه له، ونعلم متى وأين نزلتْ، ونزولها في يوم الجمعة ويوم عرفة، وهما عيدان، ومكان نزولها بعرفات.

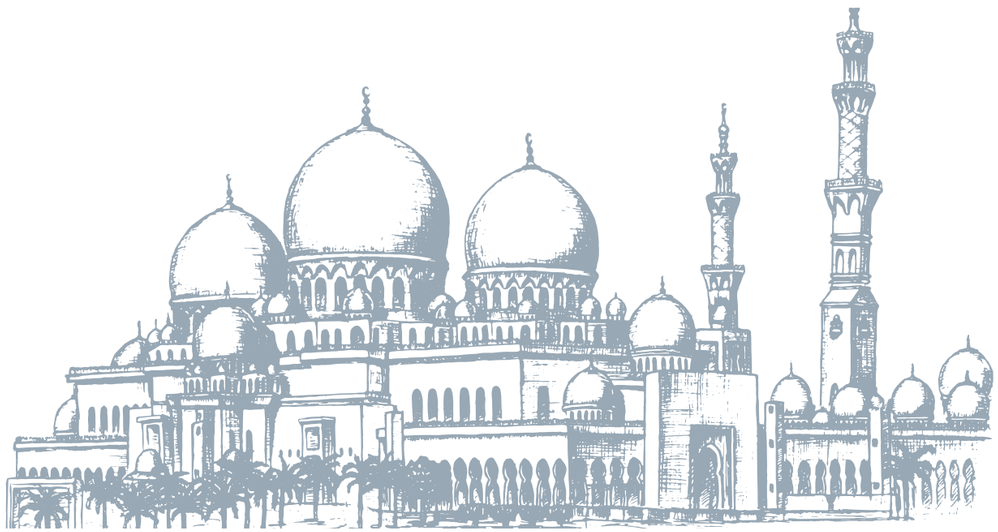

٤. الشرح المفصل للحديث:

نشـــاط (٣)

ما الأشياء التي جذبتك إلى الإسلام، ومتى قلت إنه خير الأديان وأفضلها؟

.....

.....

.....

.....

.....

جاء كعب الأحبار ﷺ -وكان حينئذ يهوديًّا لم يسلم بعد- إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وقال له: يا أمير المؤمنين إن في القرآن آية نزلت على النبي ﷺ لو أنزلت على اليهود؛ لتخذوا يوم نزولها عيدًا، فلما سأله عمر بن الخطاب ﷺ عن هذه الآية قال له إنها قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: إكمالُ الدين حاصلٌ بأمورٍ؛ منها: اكتمال الشرائع والفرائض والحدود، ونفي المشركين عن البيت، فلم يعُدْ يحجُّ مشركٌ ولا يدخُله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وكماله كذلك بعزِّه، وظُهوره، وذُلِّ الشرك، وفُتوره، وبرفع النَّسخ عنه، وزوال الخوف من العدوِّ، والظهور عليه، وأمْن هذه الشريعة من أن تنسخها شريعةٌ بعدها، وفتح مكة[1].

(١) انظر: "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزيِّ (١/ ٥١٣)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبيِّ (٧/ ٣٣٩)، "تفسير ابن رجب الحنبليِّ" (١/ ٣٨٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ إنما لم يقُل: "أنعمتُ عليكم"؛ لأن النعمة كانت موجودةً مبتدَأة بابتداء دعوة الإسلام، والنعمةُ هنا بالهداية إلى الإيمان، واكتمال الشرع، وظهور الدين[1].

وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾؛ أي: أعلمتُكم اليوم رضايَ؛ فإنه تعالى لم يزَلْ راضيًا عن الإسلام، وكيف لا وهو الذي شرعه للخلق؟! ويحتمل أن يريد: رضيتُه لكم كما هو، فلا نسخَ فيه بعد اليوم، ولن تنسخه شريعةٌ أخرى من الشرائع، فهو الدين الخاتم[2].

نشـــاط (٤)

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣١]

- **ما الوصية التي وصى بها إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أبناءهم؟**

.....

.....

- **لماذا أوصوهم بالإسلام ولم يوصوهم بشيء آخر؟**

.....

.....

- **إذا أردت أن توصي أولادك وصية، فكيف ستكون هذه الوصية وما هي؟**

.....

.....

وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى فضيلة تلك الآية التي ذكَرها اليهوديُّ، وأن اليهود عَلِموا فضلَها وقيمتَها، وحسدونا عليها. وفي الحديث بيان أن العدو أعداء الإسلام يدرسونه جيِّدًا، ويَغبِطون المسلمين على النِّعَم التي حباهم بها الله.

(١) انظر: "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزيِّ (١/ ٥١٤).

(٢) انظر: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبيِّ (٧/ ٣٣٩).

فأخبره عمر رضي الله عنه بأنَّ المسلمين أكثر اهتمامًا بالوحي منكم، فإننا نعلم زمان نزول تلك الآية ومكانها، ونُعَظِّمها؛ فقد نزلت على النبيِّ ﷺ وهو واقفٌ بعرفة وهو أعظم أركان الحج، وكان يومَ جمعة وهو أفضل أيام الأسبوع، فيوم نزولها عندنا عيدان لا عيدٌ واحد؛ العيد الأسبوعي يوم الجمعة، ويوم عرفة وهو عيدٌ للمسلمين كذلك، قال ﷺ: "يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»[1].

وهذا الحديث يدل على شمولية الدين وعمومه وكماله، إن دين الإسلام كامل في أحكامه وتشريعاته، لا نقص فيها بأي وجهٍ من الوجوه؛ فقد حوت كل ما يحتاج إليه الناس من أمور الدنيا والآخرة، ومن العبادات والمعاملات، ومن الأخلاق والسلوك والسياسة والاقتصاد وما إلى ذلك.

فإن الإسلام دينٌ شاملٌ، ليس خاصًّا بأمَّة دون أخرى، أو بعرق دون آخر؛ فالله أرسل رسوله للناس جميعًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. ومن مظاهر شمول الدين أنه دين شامل للثقلين الجن والإنس فكلاهما مطالب بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولكون النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وشريعته جاءت خاتمة الشرائع؛ جعل الله تعالى الإسلام دينا صالحا لكل زمان ومكان، كما أنه مرن ومستوعب للمتغيرات، فنصوصه الشرعية تستوعب كل الحالات والاحتياجات، وتتواكب مع المستجِدَّات، بما يتوافق مع مقاصد الدين ولا يتناقض معها، ودون أن تمسَّ أصول الدين. كما أنَّ تشريعاته واقعية، تراعي حاجاتِ الإنسان، ولا تضيِّق عليه، فيُحِلُّ الطيِّباتِ ويحرِّم الخبائث؛ فهو يُبيح الزواج ويحرِّم الزنا والفواحش، ويبيح المعاملات بين الناس، ويحرِّم الربا، وهَلُمَّ جرًّا.

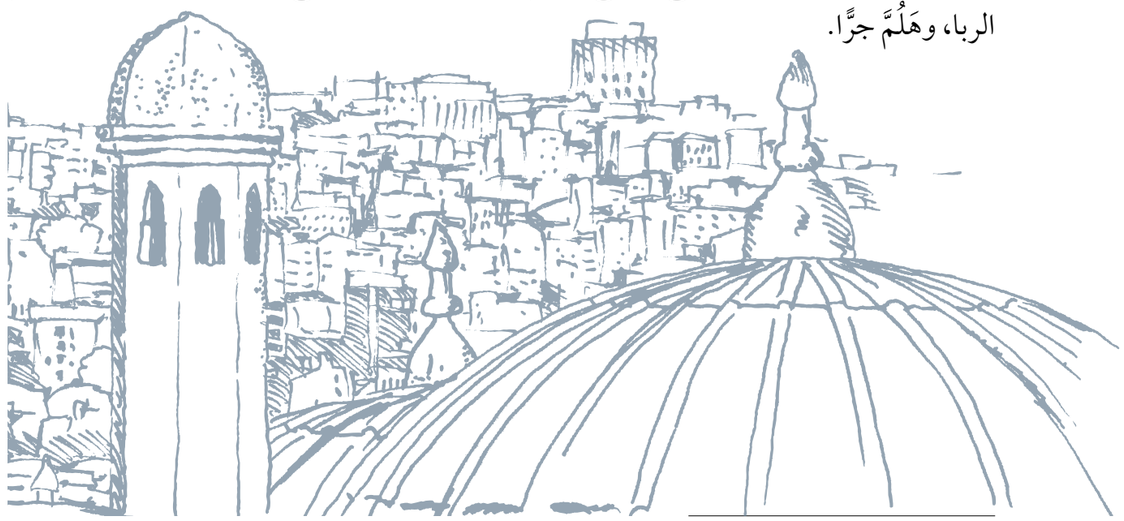

(١) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذيُّ (٧٧٣) والنسائيُّ (٤١٨٦).

ومن مظاهر كماله أن تكليفاتِه تراعي قدرة الإنسان واستطاعته؛ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فتراعي أحوال المكلَّفين؛ فأحكام الصلاة والصيام وغيرها تختلف بين الصحيح والمريض والعاجز وكبير السنِّ.

وإكمالُ الدين حاصلٌ بأمورٍ؛ منها: اكتمال الشرائع والفرائض والحدود، ونفي المشركين عن البيت، فلم يعُدْ يحجُّ مشركٌ ولا يدخُله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٢٨][1]. وكمال الإسلام بعزِّه، وظُهوره، وذُلِّ الشرك، وفُتوره، وبرفع النَّسخ عنه، وزوال الخوف من العدوِّ، والظهور عليه، وأمْن هذه الشريعة من أن تنسخها شريعةٌ بعدها، وفتح مكة[2].

نشـــاط (٥)

لكمال الدين صور كثيرة، منها: كماله في المعاملات، وفي الأخلاق السلوك، والعلم، بعزِّه، وظُهوره، وذُلِّ الشرك، وفُتوره، وبرفع النَّسخ عنه، وزوال الخوف من العدوِّ، والظهور عليه، وأمْن هذه الشريعة من أن تنسخها شريعةٌ بعدها، وفتح مكة.

اختر واحدة من هذه الأشياء وتكلم عنها بعد استيعابك لشرح الحديث.

.....

.....

.....

.....

.....

(١) انظر: "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (١/ ٥١٣)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (٧/ ٣٣٩)، "تفسير ابن رجب الحنبلي" (١/ ٣٨٤).

(٢) انظر: "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي (١/ ٥١٣)، "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (٧/ ٣٣٩)، "تفسير ابن رجب الحنبلي" (١/ ٣٨٤).

وجاء تسمية عرفة عيدًا وذلك لقول النبي ﷺ: "يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»[1].

نشـــاط (٦)

ابحث عن الفضائل التي اختص الله تعالى بها يوم الجمعة ويوم عرفة، ثم لخصها ودونها في هذه الأسطر..

.....

.....

.....

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

وَتَنَزَّلَ الْقُرْآنُ يَبْنِي أُمَّةً	حَتَّى أُتِمَّ الدِّينُ وَالْإِنْعَامُ
يَا سَيِّدَ الْأَحْرَارِ يَا رَأْسَ الْإِبَا	يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ تُدَامُ
أَدَّيْتَ أَمْرَ اللهِ وَحْدَكَ حَامِلًا	أَمْرًا تَنُوءُ بِحِمْلِهِ الْأَعْلَامُ

وقال الآخر:

جاءَ النَّبِيُّون بالآياتِ فانصرمت	وجئتَنا بحكيمٍ غيرِ مُنصَرِمِ

(١) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذيُّ (٧٧٣) والنسائيُّ (٤١٨٦)، وصححه الألبانيُّ في "صحيح أبي داود" (٢٠٩٠).

آيَاتُــه كلَّمَـا طَـالَ المـدَى جُـدُدٌ	يَــزِينُهنَّ جَـلالُ العِتــق والقِدمِ
يَكَــادُ فــي لفظةٍ منــه مشرَّفةٍ	يوصِيك بـالحقِّ والتقوى وبالرَّحِمِ

وقال الآخر:

إسـلامُنَا كَالضِّيَاءِ الحُـرِّ حِينَ رنَا	بِمُقْلَـةِ الحَـقِّ فَـرَّتْ مِنْـهُ أَوْهَـامُ
مَـا عَـاشَ فِي ظِلِّـهِ عَبْـدٌ لِنزوَتِـهِ	وَمَـا لِبَـاغٍ طَغَـى عِـزٌّ وَأَحْـكَامُ
دينُ العَدَالَـةِ، والفَـارُوقُ أَطْلَقَهَا	مَا عَادَ فِي الحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَقْسَـامُ
سَاوَى الإِلَهُ رُؤُوسَ الخَلْقِ غَيرَ تُقًى	مَا عَادَ فِي الحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَقْسَـامُ

٦. من توجيهات الحديث:

١. مرَّ قوم براهب في دير فقالوا له: متى عيدُ أهل هذا الدير؟ قال: يوم يُغفَر لأهله[١].

٢. قال الحسن البصريُّ: كلُّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد، كلُّ يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه، وذِكره، وشكره، فهو له عيدٌ[٢].

٣. على المسلم أن يعتزَّ بدينه، ويتعلَّم العلم الشرعيَّ، ويَربَأ بنفسه أن يُظهره أحد من الكفَّار في مظهر من لا يعرف دينه، أو أنه جاهل بدينه.

٤. إن دين الإسلام كامل باشتماله على المبادئ العادلة، والأخلاق الفاضلة، والقيم الكاملة، وعقيدته الصحيحة.

٥. إن دين الإسلام كامل بشمولية أحكامه؛ فهو يهتمُّ بالفرد والجماعة، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والحاكم والمحكوم، والمسلم والكافر.

٦. إن دين الإسلام كامل بشمولية تشريعاته التي تنظِّم علاقة الفرد بكل ما حوله في الكون؛ من حيوان وطير، وبحار وأنهار، وأرض وسماء.

(١) "لطائف المعارف" لابن رجب (ص: ٢٧٧).

(٢) "لطائف المعارف" لابن رجب (ص: ٢٧٨).

٧. إن دين الإسلام كامل باستيعابه جميع الشعوب والأعراق، وقد ظلَّ الإسلام طوال تاريخه ثابتًا لم يُعانِ من أزمةٍ داخليةٍ بسبب نظرة عنصرية لجنس بشريٍّ دون جنس؛ فميزان التفضيل والتكريم ليس بالعرق أو اللون أو الجنس؛ بل بالتقوى فقط؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

٨. إن دين الإسلام كامل بنظرته المتوازنة بين الدنيا والآخرة؛ فلا رَهْبَنَةَ في الإسلام، كما أنه لا انصراف عن الآخرة إلى الدنيا؛ فلكلٍّ منهما شأن.

٩. إن أعداء الإسلام يدرسونه جيدًا ليستطيعوا تشكيك المسلمين فيه، فلا تنخدع لهم، وكن واثقًا بأن دينك خير دين، وأن الله تعالى قد اصطفاك عندما جعلك مسلمًا.

١٠. إذا كان أعداء الإسلام يبذلون كل طاقتهم لدراسة الإسلام وحال أهله، فمن باب أولى أن يدرسه المسلم دراسة واعية؛ كي يكون أشد تمسكًا به، وعنده القدرة الكافية على رد شبهاتهم.

١١. إن الله تبارك وتعالى أنعم على المسلمين بنعم كبرى، فقد جعل دينهم خير الأديان وأفضلها، وجعل رسولهم خير الرسل، وجعلهم خير أمة؛ لذلك فإن جميع الأمم يحسدونهم في الدنيا على ما هم فيه، ويوم القيامة سيتمنون أن يكونوا منهم.

١٢. إذا وجدت نقصًا أو تقصيرًا أو خطأً من المسلمين، فهي أخطاء في تطبيق بعض المسلمين وسوء فهمهم للإسلام، وليس هذا نقصًا ولا عيبًا في الإسلام نفسه.

نشـــاط (٧)

اذكر الفضائل التي اختصت بها أمة النبي محمد ﷺ من خلال ما فهمته من هذا الشرح.

.....

.....

.....

.....

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1 دلت الآية على:

١. وحدانية الله.

٢. كمال الدين.

٣. بدء الوحي.

2 الإسلام صالح لـ:

١. عصر النبي ﷺ فقط.

٢. عصر الصحابة والتابعين فقط.

٣. لكل زمان ومكان.

3 دل الحديث على أن:

١. أعداء الدين لا يهتمون به.

٢. اليهود يحبون الإسلام ويعظمونه.

٣. أعداء الإسلام يدرسونه جيدا لنقده وهدمه

4 دلَّ قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم ديتكم".

١. كمال التشريع، وعدم نقصانه.

٢. كمال العدد، فلا زيادة للمسلمين بعدها.

٣. كمال اليوم بنزولها آخر يوم عرفة.

5 كمال الدين يعني:

١. أنه لا زيادة فيه ولا نقصان.

٢. أنه يقبل النقصان ولا يقبل الزيادة.

٣. أنه يقبل الزيادة ولكن لا يقبل النقصان.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. نزلت هذه الآية يوم عيد الفطر. ( )

٢. إن الدين قابل للزيادة بعد موت النبي ﷺ. ( )

٣. نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] يوم عرفة وكان يوم الاثنين. ( )

٤. لم يمت النبي ﷺ إلا بعد أن تم الدن وكمل. ( )

٥. إن الإسلام شامل لأمور الدين ولكنه لا يشمل أمور الدنيا. ( )

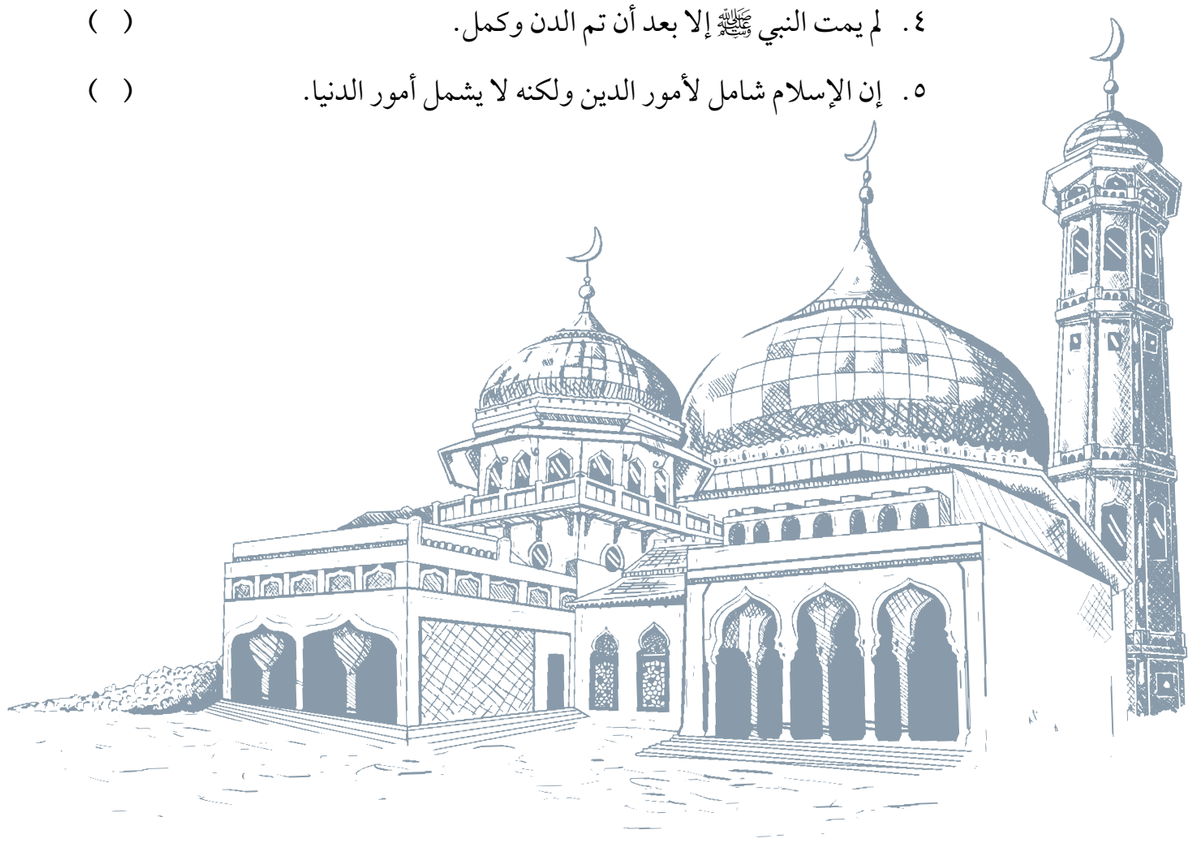

الحديث الثالث

الله العظيم

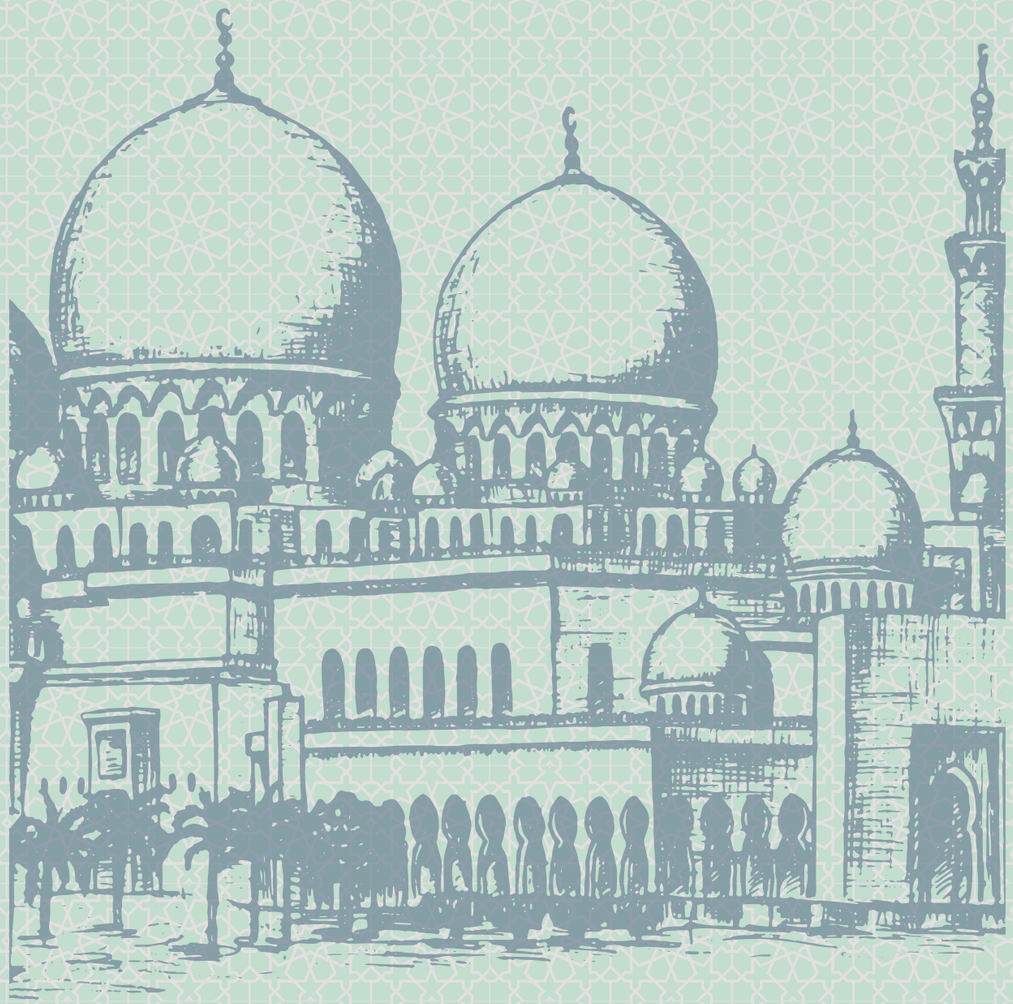

الله العظيم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»؛ رواه مسلم (٢٥٧٧).

أولا: مقدمات مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن الله تعالى هو رب هذا الكون أجمع، وهو المهيمن على كل شيء وخالقه ومالكه، ومع ذلك فإنه عادل بين الخلق لا يظلم منهم أحدا؛ لذلك حرم الظلم على الناس؛ لأن الظلم عاقبته شديدة.

فاعلم أيها المسلم أن جميع أمرك بيد ربك، وأنت فقير إليه ففوض إليه جميع أمرك، وكن على يقين بأنه لن يظلمك ولن يخذلك أبدًا.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

- تترجم لراوي الحديث.
- توضح معاني مفردات الحديث.
- تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
- تقارن بين عظمة الله تعالى وضآلة عباده من وجوه متعددة.
- تبين ما يلزم من معرفة عظمة تعالى.
- تبين فقر العباد إلى الله تعالى وشدة حاجتهم له ﷻ.
- تمثل على سعة ملك الله ﷻ وغناه.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. نهيُ العباد عن التَّظالم.

٢. افتقارُ العباد إلى الله ﷻ في كلِّ أحوالهم.

٣. فبَيانُ سَعةِ مَغفرةِ الله.

٤. بيانُ عجزِ العباد عن النَّفع والضرِّ.

٥. بيانُ عِظَم فضل الله ونِعَمه.

٦. بيانُ أنَّ الله يُوفِّي كلَّ نفْسٍ ما كسبت من خيرٍ أو شرٍّ.

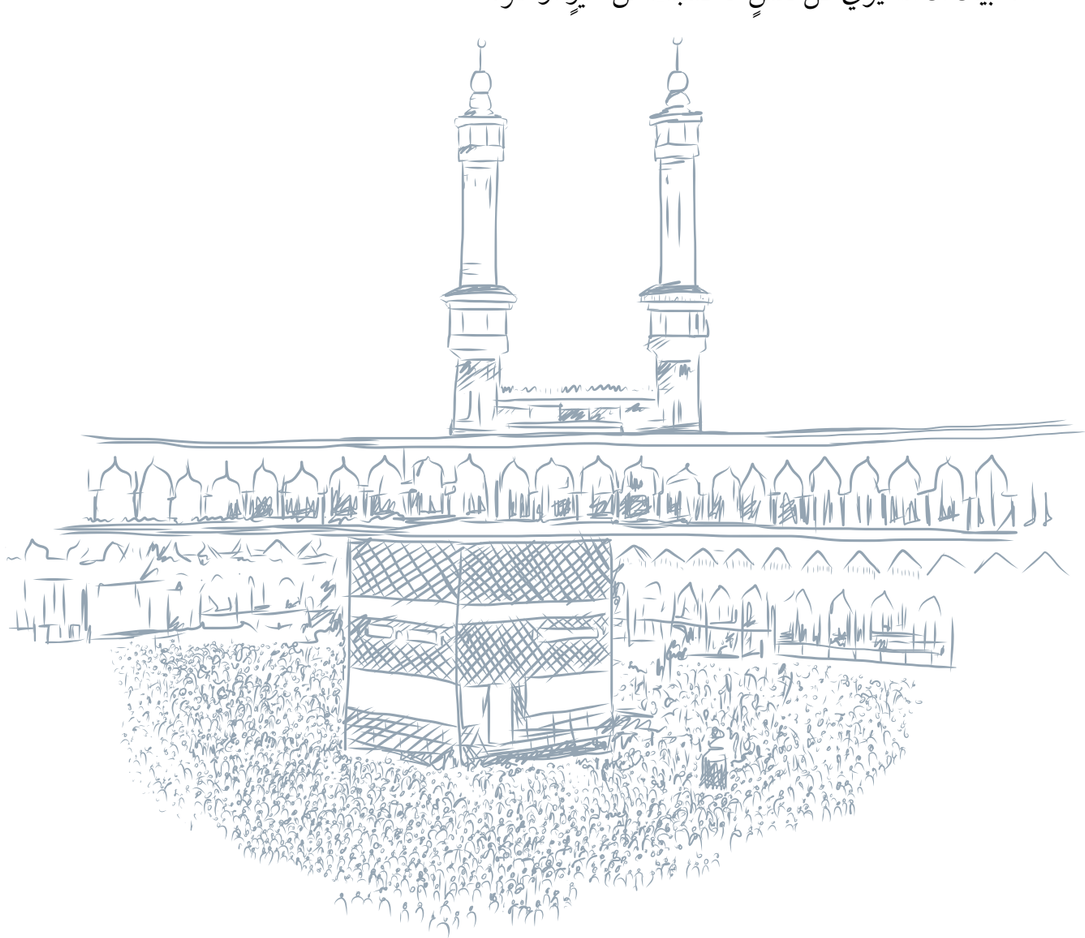

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو ذُرٍّ، جُنْدُبُ بنُ جُنادةَ، وقيل: بريرُ بنُ جُندبٍ، الغِفاريُّ، الزاهد، الصادق، مِن كبار الصحابة وفضلائهم، كان يتعبَّد قبل مَبعث النبيِّ ﷺ ثلاث سِنين يقوم من الليل مصلِّيًا، أسلم بمكةَ في أوَّل الدعوة، وهو رابعُ مَن دَخَلوا في الإسلام، قدِم على النبيِّ ﷺ فصحِبه إلى أن مات، ثم خرج بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام، فلم يزَلْ بها حتى وَلِيَ عثمانُ رضي الله عنه، ثم استقدمه عثمانُ لشَكْوى معاويةَ به، وأسكنه الرَّبَذة، فمات بها، وصلَّى عليه عبدُ الله بنُ مسعود رضي الله عنه، تُوفِّي سنةَ (٣٢هـ)[1].

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
الظُّلم	الجَوْر ومجاوَزة الحدِّ.
الصَّعيد	وجْهُ الأرض، والمرتفع منها، والموضعُ الواسعُ.
المِخْيَط	الإبْرة.

(١) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعَيم (٢/ ٥٥٧)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (١/ ٢٥٢)، "أُسْد الغابة" لابن الأثير (١/ ٢١١).

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو ذرٍّ رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ أنه روى عن ربِّه تعالى أنه قَالَ: "يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا»؛ أي: يا عبادي، إني تقدَّستُ وتنزَّهتُ عن الظُّلم، وحرَّمتُ عليكم أن يظلم بعضكم بعض، فلا تتَظَالموا.

«يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»؛ أي: كلُّكم على ضلال إلا من هَديتُه، فاطلُبوا مني الهدايةَ، أَهْدِكم.

«يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ»؛ أي: كلُّكم جائعون إلا من أطعمتُه، فاطلُبوا مني الطعام أُطعِمكم.

«يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»؛ أي: كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه، فاطلُبوا مني أن أَكْسُوَكم، أَكْسُكُم.

«يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»؛ أي: إنكم تفْعَلونَ ما تأْثمونَ عليه بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاطلبوا مني المغفرة أغفرْ لكم ذنوبكم.

«يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»؛ فالله تعالى غنيٌّ عن عباده، وهو الضارُّ والنافع؛ فلا يستطيع العباد هذا؛ أن تضرُّوني ولا أن تنفعوني.

«يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»؛ يعني: لو أن كلَّ العباد من الإنس والجنِّ، الأوَّلين والآخرين، كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في ملك الله شيئًا.

«يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا". ولو أن كلَّ العباد من الإنس والجنِّ، الأوَّلين والآخرين، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملك الله شيئًا؛ فإن الله تعالى هو الغنيُّ عن العالمين؛ بَرِّهم وفاجرهم. "يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»؛ أي: إن عطاء الله للأوَّلين والآخرين، الإنس والجن وجميع المخلوقات، منذ أنْ بدأ الله الخَلقَ إلى أن يرِثَ الأرضَ وما عليها، لا يَنقُص من مُلْك الله شيئًا البتَّة. "يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»؛ أي: إنما هي أعمالكم، أحصيها وأَعُدُّها وأحفظُها لكم، وذلك بعِلمي وملائكتي الحفَظة، ثم أُعطيكم جزاءها وافيًا تامًّا؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وليحمد الله من وجد الخير على توفيق الله إيَّاه للخير، وإنْ شرًّا فشرٌّ، ولا يلومنَّ على الشرِّ إلا نفسه.

٤. الشرح المفصل للحديث:

وفي هذا الحديث القدسيِّ جانبٌ من نِعَم الله ﷻ على عباده، والحديثُ القدسيُّ: هو ما يرويه النبيُّ ﷺ عن ربِّه تبارك وتعالى بالمعنى، وألفاظُه من عند النبيِّ ﷺ.

وهذا الحديث يدور حولَ سِتَّة أمور:

أَمَّا الأَوَّل: فهو نهيُ العباد عن التَّظالم؛ أي: أن يَظلِم بعضُهم بعضًا.

والظلم نوعانِ:

أحدهما: ظُلم النفْس، وأَعظَمُه الشِّرك بالله، ثم يَليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائرَ وصغائر.

والثاني: ظُلم العبد لغيره[1].

يقول الله سبحانه: "يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا»، أي: تقدَّستُ وتعاليتُ عن الظلم، والظلمُ مستحيلٌ في حقِّ الله سبحانه وتعالى؛ إذ الظُّلم هو مجاوَزة الحد، والتصرُّف في غير المُلك، وكيف يجاوز سبحانه حدًّا، وليس فوقه مَن يُطيعه؟! وكيف يتصرَّفُ في غير مُلْك غيرِه والعالَمُ كلُّه في مُلْكه وسلطانه؟!

فالله ﷻ منزَّهٌ عن الظُّلم؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، فهو وحْدَه العدلُ؛ وبالعدل أمَر عباده، وحرَّم أن يظلم بعضهم بعضًا، وقوله: "وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا»؛ أي: لا تتظالموا، يعني: لا يظلِم بعضكم بعضًا[2]. والمعنى: "أنه تعالى حرَّم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرامٌ على كلِّ عبد أن يظلمَ غيرَه، مع أن الظلم في نفْسه محرَّم مطلقًا. والظلم نوعانِ: أحدهما: ظُلم النفْس، وأَعظَمُه الشِّركُ، ثم يَليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائرَ وصغائر. والثاني: ظُلم العبد لغيره"[3].

وتتَجلَّى محاسنُ الشريعة الإسلاميَّة في أبهى صورها في أمر الله ﷻ بالعدْل، حتى مع الطَّائفة التي نختلِف معها اختلافًا يؤدِّي إلى أشدِّ البُغض والكراهية، يفرِض علينا القرآنُ الكريمُ ألَّا يَحمِلنا بُغضُنا لبعض الناس على عدم العدل معهم وإعطائهم حقوقَهم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وتوعَّد الله الظالمين بالانتقام العاجل في الدُّنيا، والحرمان من نِعَم الله ﷻ، والعذاب الأليم يومَ القيامة.

---

(١) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٣٦).

(٢) انظر: "شرح النوويِّ على مسلم" (١٦/ ١٣٢).

(٣) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٣٦).

نشـــاط (١)

قال العلماء إن الظلم ثلاث أنواع: ظلم النفس، وظلم الله ﷻ، وظلم الناس.

بين الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة، واذكر على واحد منها مثالا.

.....

.....

.....

.....

.....

وأمَّا الأمرُ الثَّاني الذي يُنوِّه به هذا الحديثُ، فهو: افتقارُ العباد إلى الله ﷻ في كلِّ أحوالهم؛ قال تعالى: "يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ".

والـمقصود بالضلال الـحالُ التي كان الناسُ عليها قبلَ إرسال الرُّسل، من الشِّرك، والـكفر، والـجهالات، وغير ذلك، فأرسل الله إليهم الرُّسلَ ليُزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضَّلال، ويبيِّن لهم مرادَ الـحقِّ منهم في حالهم، ومآل أمرهم؛ فمَن نبَّهه الـحقُّ ﷻ وبصَّره وأعانه، فهو الـمهتدي، ومَن لم يفعل الله به ذلك، بَقِيَ على ذلك الضَّلال[1].

ومعنى قوله: "يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ" أنَّ الـعِباد "لو تُركوا مع الـعادات، وما تقْتَضيه الطِّباع من المَيل إلى الراحات، وإهمال النَّظر الـمؤدِّي إلى الـمعرفة، لغلَبَت عليهم الـعاداتُ والطِّباعُ، فضلُّوا عن الـحقِّ؛ فهذا هو الضلال الـمقصود في الـحديث؛ لكن مَن أراد الله تعالى توفيقَه، ألْهَمَه إعمالَ الـفِكر الـمؤدِّي إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة الرسول ﷺ، وأعانه على الـوصول إلى ذلك، وعلى الـعمل بمقتضاه، وهذا هو الـهدى الذي أمَرنا الله بسؤاله.

أو قد يكون الـمقصودُ بالضلال هنا الـحالَ التي كان الناسُ عليها قبلَ إرسال الرُّسل، من الشِّرك، والـكفر، والـجهالات، وغير ذلك، فأرسل الله إليهم الرُّسلَ ليُزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضَّلال، ويبيِّن لهم مرادَ الـحقِّ منهم في حالهم، ومآل أمرهم؛ فمَن نبَّهه الـحقُّ "وبصَّره وأعانه، فهو الـمهتدي، ومَن لم يفعل الله به ذلك، بَقِيَ على ذلك الضَّلال"[2].

وقوله سبحانه: "فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"؛ أي: اطلُبوا مني الهدايةَ أهْدِكم، ومِن الحِكم في ذلك: أن يَعلم العبدُ أنه طلَب الهداية مِن مولاه فهداه، ولو هداه قبلَ أن يسألَه لم يبعُدْ أن يقول: إنما أُوتيتُه على عِلم عندي[3].

أما عن أنواع الهداية التي يَنْبغي أن يطلبَها العبد من ربِّه دومًا فـ "الهدايةُ نوعانِ: هدايةٌ مُجمَلةٌ، وهي الهداية للإسلام والإيمان، وهي حاصلةٌ للمؤمن، وهدايةٌ مفصَّلةٌ، وهي هدايةٌ إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كلُّ مؤمن ليْلًا ونهارًا؛ ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كلِّ ركعة من صلاتهم قولَه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾" [الفاتحة: ٦][4].

وكافتقار العباد إلى الله ﷻ في الهداية، كذا هم مفتقرون إليه سبحانه في الطعام والكساء وسائر شؤون

---

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" لأبي العباس القرطبيِّ (٦/ ٥٥٢- ٥٥٣).

(٢) "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" لأبي العباس القرطبيِّ (٦/ ٥٥٢- ٥٥٣) بتصرُّف واختصار يسير.

(٣) انظر: "شرح الأربعين النووية" لابن دَقيقِ العيد (ص: ٨٨- ٨٩).

(٤) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٤٠).

حياتهم؛ قال تعالى: "يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ".

وفي هذا البيان "تنبيهٌ على فَقْرنا وعَجْزنا عن جَلْب منافعنا، ودَفْع مَضارِّنا بأنفُسنا إلَّا أن ييسِّرَ الله ذلك لنا، بأن يخلُقَ ذلك لنا، ويُعينَنا عليه، ويصرِف عنَّا ما يضرُّنا"[1].

فالله وحْدَه هو الهادي إلى الطريق المستقيم، وهو الذي يُطعِمنا ويَسقينا بحَوْله وقوَّته وحْدَه سبحانه.

وحتى المَلْبَسُ الذي يواري عَورةَ الإنسان قد تكفَّل الله به؛ فنحن نعيشُ في رِعاية الله، ونفتقرُ دائمًا إلى عنايته؛ في الهداية إلى طريق الحقِّ، وفي المأكل والمشرب، وفي الملبس الذي يستُرُ أجسادنا.

نشـــاط (٢)

إن العبد مفتقر إلى ربه ﷻ، **في جميع أمره.**

اذكر بعض مظاهر افتقار العبد لربه ﷻ.

.....

.....

.....

.....

وفي معنى قوله تعالى: "يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»، يعني: أنه سبحانه خلَق الخلقَ كلَّهم ذوي فَقرٍ إلى الطعام؛ فكلُّ طاعم كان جائعًا حتى يُطعِمه الله بسَوق الرِّزق إليه وتصحيح الآلات التي هيَّأها له، فلا يظُنَّ ذو الثروة أن الرزقَ الذي في يدِه وقد رفَعه إلى فِيه، أطعَمه إيَّاه أحدٌ غير الله تعالى، وفيه أيضًا أدبٌ للفقراء؛ كأنه قال: لا تَطلُبوا الطعام من غيري؛ فإن هؤلاء الذين تَطلبون منهم أنا الذي أُطعمهم، "فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ»، وكذلك ما بعده في أمرِ الكِساء[2].

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" لأبي العباس القرطبيِّ (٦/ ٥٥٤).

(٢) "شرح الأربعين النووية" لابنِ دقيقِ العيد (ص: ٨٩).

قوله: "اسْتَطْعِمُونِي" يشمل سؤال الله عزَّ وجلَّ الطعام، ويشمل السعيَ في الرزق، وابتغاء فضل الله عزَّ وجل؛ كما قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وإلا فمن المعلوم أن السماء لا تُمطر ذَهبًا ولا درهمًا ولا خبزًا؛ بل لابدَّ من السعي[1].

نشـــاط (٣)

اختر الإجابة الصحيحة:

من رحمة الله تعالى بالإنسان الكافر:

- **أنه يرزقه ويطعمه ولا يمنعه الطعام لأجل كفره.**
- **أنه لا يرزقه ويضيق عليه معاشه.**
- **أنه يجعل حياته كلها هموم وأمراض.**

وأمَّا الأمرُ الثَّالثُ الذي يُنوِّه به هذا الحديثُ، فبَيانُ سَعةِ مَغفرةِ الله: قال تعالى: "يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»، كلمةُ "تُخْطِئُونَ»؛ أي: تفعَلونَ ما تأْثَمونَ عليه[2]، وأما الاستغفارُ فهو طلَبُ المغفرة من الله ﷻ، والعبد أحوجُ شيء إليه؛ لأنه يخطئ بالليل والنهار[3].

و"في هذا الكلام من التوبيخ ما يَسْتحي منه كلُّ مؤمن؛ وذلك أن الله خلَقَ الليل ليُطاع فيه، ويُعبَد بالإخلاص، حيث تسلَمُ الأعمال فيه غالبًا من الرِّياء والنفاق، أفلا يَستحي المؤمن ألَّا يُنفِق الليل في الطاعة؟! والنهار فإنه جُعِل مشهودًا من الناس، فيَنْبغي من كلِّ فطِن أن يُطيع الله فيه أيضًا، ولا يتظاهر بين الناس بالمخالَفة"[4].

(١) "شرح الأربعين النووية" للعثيمين (ص: ٢٤٧).

(٢) انظر: "شرح النوويِّ على مسلم" (١٦/ ١٣٤).

(٣) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجبٍ الحنبليِّ (٢/ ٤١).

(٤) "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٨٩).

فعلى المسلم أن يُبادر بالتوبة والاستغفار والمسارعة في الصالحات؛ فالله واسعُ المغفرة، يبسُط يده باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، ويغفرُ جميع الذُّنوب ولا يُبالي؛ كأنَّ الله تعالى قال: وكيف يَحسُن بالمؤمن أن يُخطِئ سرًّا أو جهرًا؛ لأنه ﷺ قد قال بعد ذلك: "وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ"، فذكَر الذنوبَ بالألف واللام التي للتعريف، وأكَّدها بقوله: "جميعًا"، وإنما قال ذلك قبل أمرِه بالاستغفار في قوله: "فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ"؛ لئلا يَقنطَ أحدٌ من رحمة الله لعِظَم ذنْب ارتكبه[1].

الاستغفار يكون على وجهين؛ الأول: طلب المغفرة باللفظ بأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله. والثاني: طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سببًا لذلك؛ كقوله ﷺ: "مَنْ قَالَ: سُبحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ في اليَوم مائَةَ مَرةٍ، غُفِرَت خَطَايَاه وَإِنْ كَانَت مِثْلَ زَبَدِ البَحْر"[2].

نشـــاط (٤)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إليه في اليوم مئة مرة"[30].

بعد تدبرك لهذا الحديث، أجب عما يأتي:

- **إن الاستغفار خاص بالعصاة فقط؟**

.....

.....

- **لماذا كان النبي ﷺ يكثر من استغفار ربه؟**

.....

.....

(١) "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٨٩).
(٢) رواه مسلم (٢٦٩١).
(٣) "مسند أحمد" (٢٩/ ٣٩٠ ط الرسالة).

وأمَّا الأمرُ الرابعُ الذي اشتمل عليه الحديثُ، فهو بيانُ عجزِ العباد عن النَّفع والضرِّ، وبيان غِنى الله ﷻ عن عباده: يقول ﷻ: "يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي"، ومعناه: "أن العباد لا يقدِرون أن يوصلوا إلى الله نفعًا ولا ضرًّا؛ فإن الله تعالى في نفْسه غنيٌّ حميدٌ، لا حاجةَ له بطاعات العباد، ولا يعود نفْعُها إليه؛ وإنما هم ينتفعون بها، ولا يتضرَّرُ بمعاصيهم؛ وإنما هم يتضرَّرون بها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦]"[1]، فالله وحْدَه هو مَن يملك النَّفعَ والضرَّ.

ثمَّ يقول الله ﷻ: "يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا"، وفي هذا البيان "إشارة إلى أن مُلْكه ﷻ لا يَزيدُ بطاعة العباد، ولو كانوا كلُّهم بَرَرةً أتقياءَ، قلوبهم على قلب أتْقى رجُل منهم، ولا يَنقُص مُلْكُه ﷻ بمعصية العاصين، ولو كان الجنُّ والإنس كلُّهم عُصاةً فَجَرةً، قلوبُهم على قَلْب أفجرِ رجُلٍ منهم، فإنه ﷻ الغنيُّ بذاته عمَّن سواه، وله الكمالُ المطلَق في ذاته وصفاته وأفعاله، فمُلْكُه مُلكٌ كاملٌ، لا نقْصَ فيه بوجه من الوجوه"[2]، فلا يَزيد ملكُه سبحانه بطاعة الطائع، ولا يَنقُصُ بمعصية العاصي؛ وذلك "لأنه مرتبطٌ بقُدرته وإرادته، وهما باقيتانِ ذاتيَّتانِ، لا انقطاعَ لهما، فكذا ما ارتبط بهما، وعائدُ التَّقوى والفجور على فاعلِهما"[3].

والأمر الخامس في هذا الحديث هو بيانُ عِظَم فضل الله ونِعَمه، التي لا يُحصيها ولا يُحيط بها إلا الله وحدَه: يقول ﷻ: "يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ".

ومعنى ذلك: أنَّ عطاء الله للأوَّلين والآخِرين، الإنس والجن وجميع المخلوقات، منذ أنْ بدأ الله الخَلقَ إلى أن يرِثَ الأرضَ وما عليها، لا يَنقُص من مُلْك الله شيئًا؛ "لأنَّ ما عند الله لا يَدخلُه نقْصٌ، وإنما يدخُلُ النَّقصُ المقدَّرَ المحدَّدَ الفانيَ، وما عند الله هو رحمتُه وإفضاله على عباده؛ وهي صفاته الباقية التي لا تَفْنى، ولا يأخذُها حدٌّ ولا حصرٌ"[4].

والتَّشبيهُ في الحديث لتقريب المعنى إلى أفهام العباد؛ وإلا فمِن المعلوم يقينًا أنَّ عطاء الله عبادَه مهما بلَغ لا يَنقُص شيئًا قطُّ من خزائنه ﷻ[5].

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٤٣).
(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٤٦-٤٧).
(٣) "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمُناويِّ (٤/ ٤٧٦).
(٤) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عِياض (٨/ ٤٧).
(٥) انظر: "شرح النوويِّ على مسلم" (١٦/ ١٣٣).

نشـــاط (٥)

إن نعم الله لا يستطيع إنسان عدها ولا إحصائها لكثرتها، ولمنها تتفاضل فيما بينها.

اذكر كبار النعم التي ينعم الله بها على الإنسان:

.....

.....

والأمر السادس: هو بيانُ أنَّ الله يُوفِّي كلَّ نفْسٍ ما كسبت من خيرٍ أو شرٍّ: يقول سبحانه: "يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»؛ أي: إنما هي جزاء أعمالكم، "أُحْصِيهَا" بمعنى: أَعُدُّها وأضبطُها وأحفظُها لكم، وذلك بعِلمي وملائكتي الحفَظة، "ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا»؛ أي: أُعطيكم جزاءها وافيًا تامًّا؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، والتوفية: إعطاء الحقِّ على التمام[1].

وقيل: المعنى: إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ؛ فمَن وجَد خيرًا؛ أي: توفيقَ خَيرٍ من ربِّه، وعَمَلَ خيرٍ من نفْسه، فلْيَحمَد الله؛ أي: على توفيقه إيَّاه للخير؛ لأنَّه الهادي، ومَن وجَد غير ذلك؛ أي: شرًّا أو أعمَّ منه، فلا يَلومَنَّ إلا نفْسه؛ لأنَّه صدَر من نفْسه، أو لأنه باقٍ على ضلاله الذي أُشير إليه بقوله: "كلُّكم ضالٌّ»؛ فالخيرُ والشرُّ كلُّه من الله خلْقًا، ومن العبْدِ كَسبًا[2].

ثم إنَّ توفيةَ جزاء الأعمال إنما يكون في الدنيا والآخرة؛ "أي: في الدنيا والآخرة، وقد يكونُ في الدنيا فقطْ، وقد يكون في الآخرة فقطْ. قد يكون في الدنيا فقطْ: فإن الكافر يُجازى على عملِه الحَسَن؛ لكن في الدنيا لا في الآخرة، والمؤمنُ قد يُؤخَّر له الثوابُ في الآخرة، وقد يُجازى به في الدنيا وفي الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]"[3].

وفي هذا تنبيهٌ على المؤمن ألا يَسنِد طاعته وعبادته من عمله لنفسه؛ بل يَسنِدها إلى التوفيق، ويَحمَد الله على ذلك.

(١) انظر: "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمُناويِّ (٤/ ٤٧٦).

(٢) انظر: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" للمُلاَّ علي القاري (٤/ ١٦١٤).

(٣) "شرح الأربعين النووية" لابن عثيمين (ص: ٢٤٢).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

أَمَـا والله إنَّ الظُّلْـمَ لُـؤْمٌ ... ولكـنَّ المـسيءَ هـو الظَّلُـومُ
إلى ديَّـانِ يـومِ الدِّيـنِ نمـضي ... وعنـدَ الله تَجتَمِـعُ الخُصـومُ

وقال الآخر:

تَـوَقَّ دُعَـا المظلـومِ إنَّ دعـاءَه ... لَيُرفَـعُ فوقَ السُّـحْبِ ثـم يُجَابُ
تَـوَقَّ دُعـا مَن ليـس بـينَ دعائِه ... وبَـيْنَ إلـهِ العالمـين حِجَـابُ

وقال الآخر:

دَعِ النـاسَ إذ طالمـا أَتْعَبُـوكَ ... وَأَدَّ إلى الله وَجْـهَ الأَمَـلْ
ولَا تَطْلُـبِ الـرِّزْقَ مِـن طَالِبِيـ ... ـهِ وَاطْلُبْـهُ ممَّـن لـه قـد كَفَـلْ

وقال الآخر:

لا تَسْـأَلَنَّ بُنَـيَّ آدَمَ حَاجَـةً ... وَسَـلِ الَّـذِي أَبْوَابُـهُ لَا تُحْجَـبُ
الله يَغْضَـبُ إنْ تَرَكْـتَ سُـؤَالَهُ ... وَبُنـيُّ آدَمَ حِـينَ يُسْـأَلُ يَغْضَـبُ

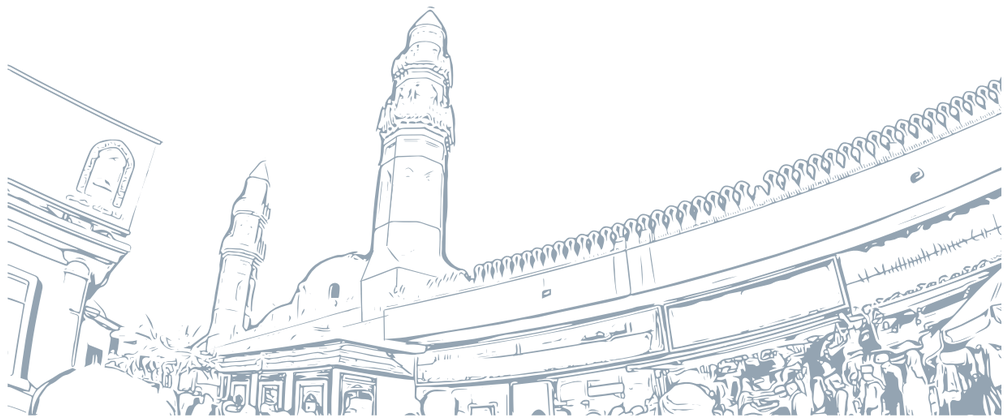

٦. من هدايات الحديث:

١. الله تعالى واسع العطاء، عظيم الجُود، عمَّت نِعَمه سبحانه جميعَ الخلائق، فليس للعباد سواه، ولا نجاةَ لهم إلا بالتعلُّق ببابه، والتزام شَرْعه، وسؤاله العفْوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة.

٢. الظُّلمُ ظُلماتٌ يومَ القيامة، فعلى العبد أن يجتنبه، وألَّا يتلبَّس به أبدًا.

٣. إياك والظلم فإنه ذنب من أكبر الذنوب، فإذا ظلمت إنسانًا فسوف تجد لهذا الظلم أثرًا وعقوبة في الدنيا وفي الآخرة.

٤. اعلم أنك اهتديت للإسلام بتوفيق من الله تعالى، وليس لأنك ذكي أو عاقل، فكم من أُناس من عباقرة العالم ومفكريه، لم يهديهم الله تعالى للإسلام فعاشوا وماتوا على الكفر.

٥. تظهر محاسنُ الشريعة الإسلاميَّة في أبهى صورها في أمر الله ﷻ بالعدْل حتى مع الطَّائفة التي نختلِف معها اختلافًا يؤدِّي إلى أشدِّ البُغض والكراهية، يفرِض علينا القرآنُ الكريمُ ألَّا يَحمِلنا بُغضُنا لبعض الناس على عدم العدل معهم وإعطائهم حقوقَهم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٦. الله وحْدَه هو الهادي إلى الطريق المستقيم، وهو الذي يُطعِمنا ويَسقينا بحَوْله وقوَّته وحْدَه سبحانه.

٧. لا تجعل دعائك لله تعالى قاصرًا على أمور الآخرة فقط، فإن الناس محتاجون لله تعالى في الدنيا والآخرة.

٨. اعلم أننا أُطْعِمنا وكسينا بفضل الله تعالى وتكرمه علينا، فلو شاء الله تعالى لمنع عنا الطعام وحرمنا اللباس، ولو فعل ذلك لم يستطع أحد في الكون إطعامنا أو كسوتنا.

٩. الدعاءُ وسيلةٌ تُحقِّق الآمالَ، فعلى العبد أن يجتهد في الدعاء، وتحرِّي أوقات الإجابة.

١٠. أعلم أن الله تعالى لن يظلمك في الآخرة أبدًا، فإذا وجدت شرًّا؛ فإنما هو منك وبسبب عملك، فإن الدنيا مزرعة الآخر، فإذا زَرَعت في الدنيا خيرًا؛ ستجده يوم القيامة خيرًا، وإذا زرعت شرًّا ستجده شرًّا.

١١. الله سبحانه خلَق الخَلْق، وتكفَّل بما يُقيم مصالحهم كافَّةً في الدُّنيا، ومن ذلك الطَّعام والشَّراب والملْبَس، فعلى العبد أن يعرفَ ذلك لخالقه سبحانه، وأن يديم شُكرَ نِعَمه سبحانه، ويُقبِل عليه بالتزام أمره واجتناب نهيِه.

١٢. رحمة الله واسعةٌ، وباب التوبة مفتوحٌ لكل مَن تلبَّس بذَنْب مهما عَظُم، فعلى العبد أن يُبادر بالتوبة النصوح إلى الله ﷻ.

١٣. خزائن الله مَلْأى لا تَنفَد أبدًا مهما عظُم عطاء الله لعباده، فعلى المسلم أن يُوسِّع من مسألته لربه، ولا يسأل الله القليلَ، ولا يستعظم على الله خيرًا؛ فإن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

١٤. الفائز مَن وفَّقه الله لطاعته، والعاجز مَن أتبع نفْسَه هواها، وتمنَّى على الله الأمانيَّ.

١٥. إن الإنسان ضالٌّ إلا من هدى الله، فعليك أن تسأل الله الهداية دائمًا حتى لا تضلَّ.

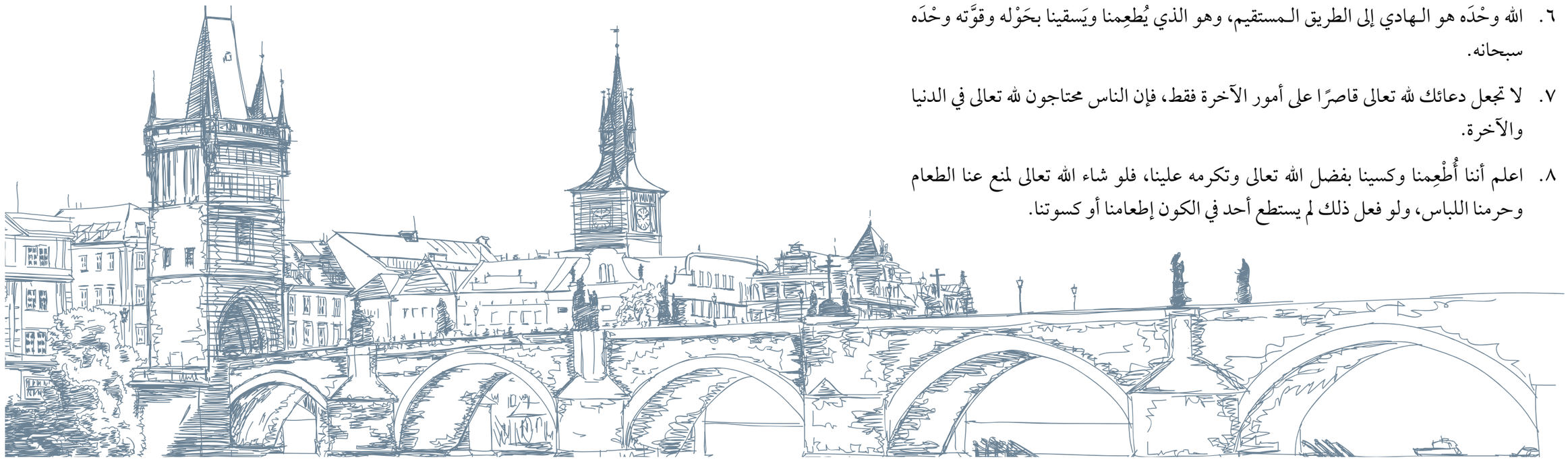

ثالثا: التقييم

س١ : اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1 إن الله تعالى حرم الظلم على:

١. ونفسه فقط.

٢. على نفسه وعلى العباد.

٣. على العباد فقط.

2 أكبر الظلم هو:

١. الشرك بالله.

٢. عقوق الوالدين.

٣. سب الناس.

3 إذا أكثر الناس من الدعاء:

١. فإنهم ينقصون من ملك الله.

٢. فإنهم يستنفدون ملك الله.

٣. لا ينقصون من ملك الله شيء.

4 عاقبة الظلم تكون في:

١. الدنيا فقط.

٢. الآخرة فقط.

٣. في الدنيا والآخرة.

5 الذنوب التي يغفرها الله هي:

١. صغائر الذنوب فقط.

٢. كبائر الذنوب فقط.

٣. كبائر الذنوب وصغائرها

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. يستطيع الناس ضر الله ﷻ أو نفعه. ( )

٢. إن ما عند الله يزيد بكثرة إجابته لأغراض الناس. ( )

٣. إن الله تعالى لا يغفر للإنسان الذنب إذا كرره. ( )

٤. إن ملك الله تعالى يزيد بتقوى الناس. ( )

٥. من وجد شرا في عمله فلا يلومن إلا نفسه. ( )

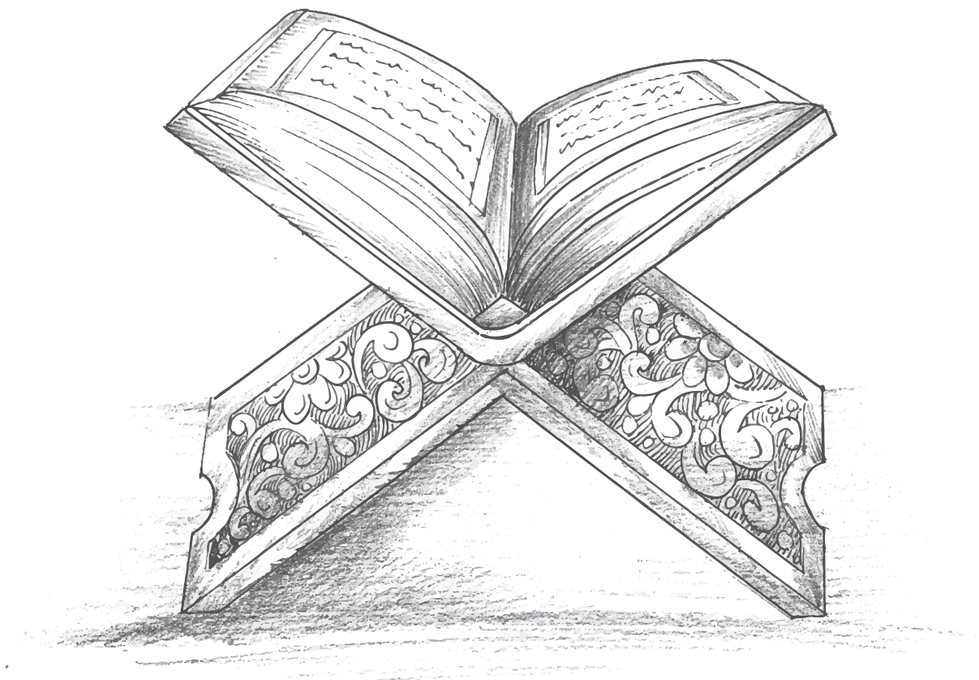

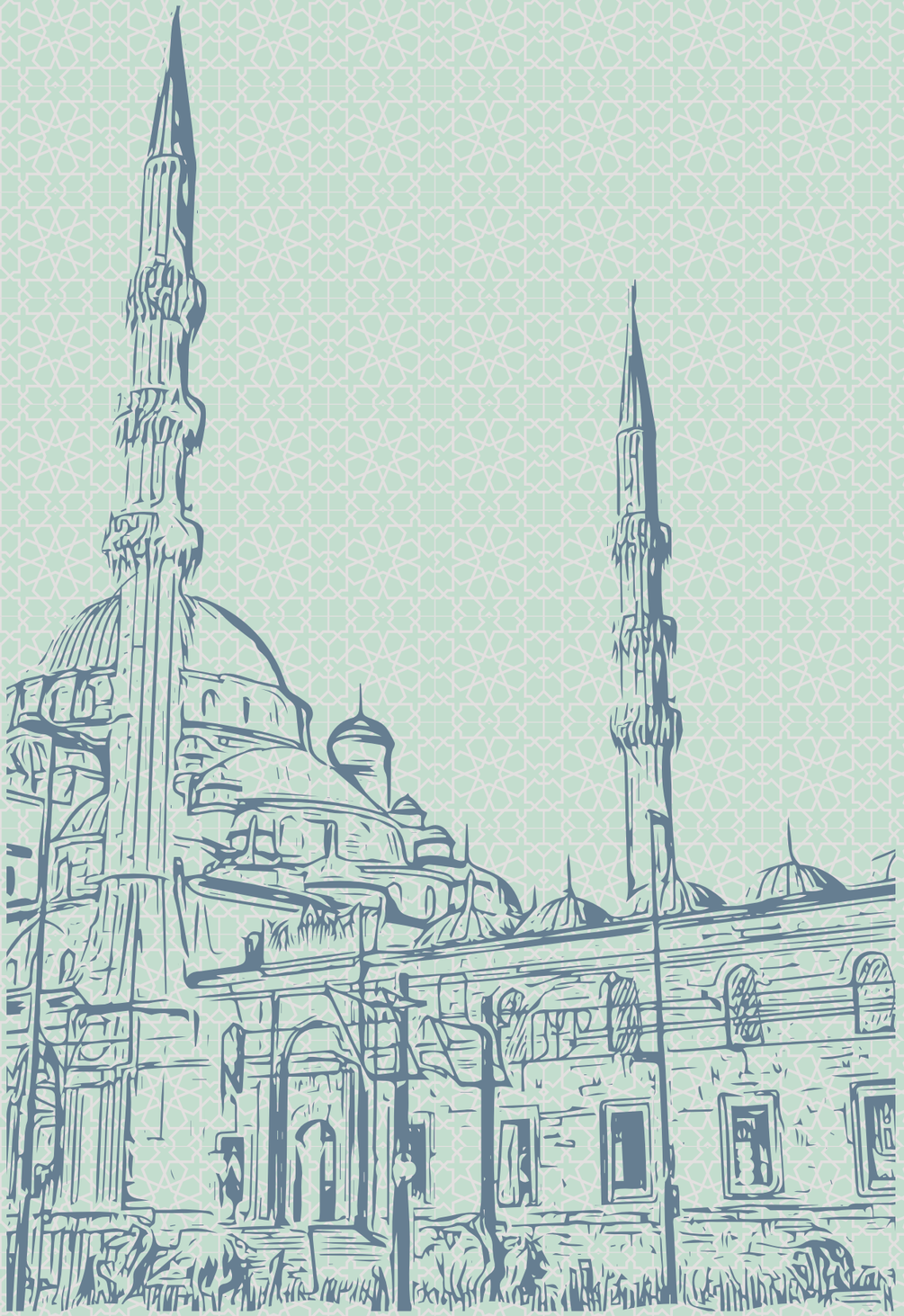

الحديث الرابع
حق الله الأعظم

حق الله الأعظم

عَن مُعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه قال: كنتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: "يا معاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟" قلتُ: الله ورسولُه أعلمُ، قال: "فإنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقَّ العباد على الله أن لا يُعذِّب مَن لا يُشركُ به شيئًا»، قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: "لا تُبَشِّرْهم فيتَّكلوا" رواه البخاريُّ (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل سألت نفسك يومًا: لماذا خلقك الله تعالى؟!

وهل فكرت فيما يجب عليك من العمل كي تنال قرب الله وتحظى بجنته؟!

وهل تخيلت الجزاء الذي يعده الله تعالى للمسلم الذي يوحده ولا يشرك به شيئًا؟!

كل هذه أسئلة يجب على المسلم أن يتفكر فيها ويتأملها، لأنها تتناول الواجبات التي هو ملزم بها، والحقوق التي يستحقها إن قام هو بهذه الواجبات، فاعلم أخي المسلم أن لله ﷻ حقًّا على العباد، وللعباد حق على الله تعالى، فتعال نتعرف على هذه الحقوق.

٢. أهداف دراسة الحديث:

١. تترجم لراوي الحديث.

٢. تشرح الحديث بأسلوبك.

٣. تستنتج فضل توحيد الله تعالى.

٤. توضح المراد بحق العباد على الله تعالى.

٥. تستدل على فضل التوحيد.

٦. تستنتج ما يرشد إليه الحديث.

٧. تقارن بين عاقبة الموحدين والمشركين.

٨. تستشعر فضل توحيد الله تعالى.

٩. تتشعر فضل الله تعالى ورحمته بعباده.

١٠. تسعى لتحقيق توحيد الألوهية لله تعالى.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

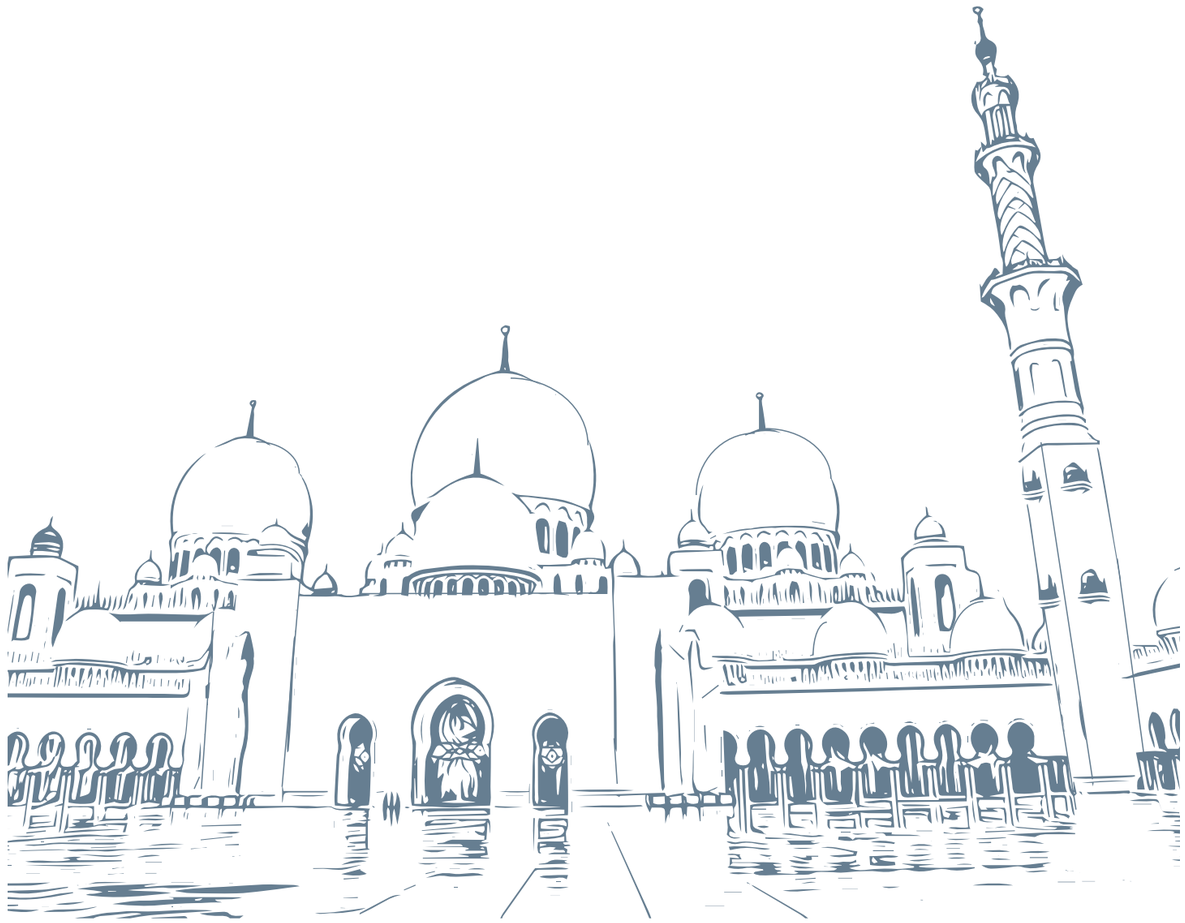

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو عبد الرحمن، معاذُ بنُ جبل بنِ عمرٍو الأنصاريُّ، أَسلَم وعمره ١٨ سنةً، وشَهِد بيعة العقبة والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان أَعلَم الصحابة بالحلال والحرام، جَمَع القرآن في حياة النبيِّ ﷺ. بَعَثه النبيُّ ﷺ أميرًا على اليمن، توفِّي رضي الله عنه في طاعون عَمْوَاسَ في خلافة عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٨هـ) وعمره ٣٨ أو ٣٤ سنةً.

نشـــاط (١)

من خلال قول معاذ بن جبل: "كنت رديف النبي ﷺ على حمار". بين مكانة ومنزلة معاذ من النبي ﷺ:

.....

.....

نشـــاط (٢)

بعد قراءتك لترجمة معاذ بن جبل، اذكر واحدة من الصفات التي أعجبتك في شخصيته، وكيف ستقتدي به في تلك الصفة؟

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
رَدِيف	الرَّدِيفُ هُوَ الرَّاكِبُ خَلْفَ الراكب. يقال منه: رَدِفْتُهُ أَرْدَفُهُ، إِذَا رَكِبْتُ خَلْفَه

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

نشـــاط (٣)

اقرأ الحديث بصمت وتدبر معانيه جيدًا، اذكر ما استفدته في القراءة الأولية، وضع عنوانًا آخر للحديث.

.....

.....

.....

يقول مُعاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: (كنتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ)؛ أي: كنتُ راكبًا خلفَه ﷺ، فقال لي: "يا معاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟"؛ أي: هل تَعرِف ما حقُّ الله الذي أَوجَبه على عباده؟ وما حقُّ العباد الذي أَوجَبه الله على نفسه؟

أجاب معاذٌ: "**قلتُ: الله ورسولُه أعلمُ**"؛ أي: لا أعلم، وهذا في حياة النبيِّ ﷺ أما بعد وفاته فيُقال: الله أعلمُ.

فقال ﷺ: "فإنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا"؛ أي: إن حقَّ الله على عباده أن يعبدوه وحدَه، ويتقرَّبوا إليه بالطاعات، ولا يعصونه، ولا يُشركوا مع الله شيئًا. "وحقَّ العباد على الله أن لا يُعذِّب مَن لا يُشرك به شيئًا"؛ أي: وحقّ العباد على الله إن فعلوا ذلك، أن لا يُدخِلَهم النار، ولا يعذِّبهم، وأن يُدخلهم جنَّته.

فقال معاذٌ: قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: "لا تُبَشِّرْهم فيتَّكلوا"؛ أي: لا تبشِّرْهم فيعتمدوا على ذلك إذا أخبرتَهم ولا يَعمَلوا.

٤. الشرح المفصل للحديث:

كان معاذ بن جبل من الصحابة المقربين من رسول الله ﷺ، وفي هذا الحديث الشريف يُخبِر رضي الله عنه عن نفسه أنه صَحِب النبيَّ ﷺ ذاتَ مرَّةٍ فيقول: (**كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ**)؛ أي: كنتُ أَركَب خلفَ النبيِّ ﷺ على حماره وفي هذه الجملة إشارة إلى تواضع النبيِّ ﷺ حيث حَمَل معاذًا رضي الله عنه خلفه على حمار له، وبيانٌ لفضل معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه وعِظَم مكانته عند النبيِّ ﷺ.

نشـــاط (٤)

من خلال الفقرة السابقة بين مدى تواضع النبي ﷺ مع أصحابه، وما درجة قربهم منه ومنزلتهم عنده؟

.....

.....

فقال لي: "يا معاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟"؛ أي: ناداه النبيُّ ﷺ وبادره بسؤال، فقال له: يا معاذُ، هل تعرف ما حقُّ الله تعالى الذي أَوجَبه على عباده؟ وما حقُّ العباد الذي أَوجَبه الله تعالى على نفسه؟ وهذه طريقةٌ لطيفة من النبيِّ ﷺ كان يعلّم بها أصحابه رضي الله عنهم، وهي طريقة السؤال والجواب، فسؤاله فيه استثارة لنفس معاذ ﷺ وجلب اهتمامه وتركيزه، ولَفْتُ انتباهه.

قوله رضي الله عنه: (فقال لي: يا معاذُ)؛ أي: ناداه النبيُّ ﷺ وبادره بسؤال، وهذه طريقةٌ لطيفة من النبيِّ ﷺ كان يعلّم بها أصحابه رضوان الله عليهم، وهي طريقة السؤال والجواب، فسؤاله فيه استثارة لنفس معاذ رضي الله عنه وجلب اهتمامه وتركيزه، ولَفْتُ انتباهه.

نشـــاط (٥)

في ضوء هذا المنهج النبوي الميسر في التعليم وحسن التفهيم، ضع مقترحًا جديدًا لتعليم إخوانك من المسلمين أسس العقيدة والتوحيد.

.....

.....

قال معاذ: (قلتُ: الله ورسولُه أعلم): فأجاب معاذ ﷺ بقوله: الله ورسوله أعلم، وفي جواب معاذ ﷺ بيان لفقهه وفَهمه وأَدَبِه مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، حيث فوَّض إجابة السؤال الذي خَفِيَ عنه إجابتُه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وفي هذا الجواب تنبيهٌ للمسلمين أن لا يتحرَّجوا من عدم الإجابة عن الأسئلة التي لا يعرفون إجابتها، فقد فَعَلها قبلَهم أكابرُ الصحابة رضوان الله عليهم، وأكثرُهم فقهًا وعلمًا، وأن لا يتجاسروا على الإفتاء بغير علم؛ فالفتوى بغير علم مُنكَرٌ عظيم، وإثمٌ مُبين، واتِّباع لخطوات الشيطان؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨- ١٦٩]، والقولُ على الله بغير علم من أشدِّ المحرَّمات، وجعله الله تعالى قرينَ الشِّرك لخطورته؛ فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد كان الصحابة إذا سألهم النبيُّ ﷺ ولا يعلمون، يقولون: الله ورسوله أعلم، فيُعطيهم الجواب، وأما بعدَ ذلك، فليس لأيِّ إنسان إذا سُئل عن أيِّ شيء لا يعلمه أن يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن الذي يُضاف إليه العلم على الإطلاق هو الله سبحانه وتعالى، القائل: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وأما الرسول ﷺ فإنه لا يَعلَم كلَّ غَيب، وقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام:٥٠]، فلا يعلم من الغَيب إلا ما أَطلَعه الله عليه[1].

نشـــاط (٦)

- ضرب لنا معاذ بن جبل ﷺ مثلًا في حسن خلق المتعلم مع أستاذه وشيخه. بيِّن الآداب التي تحلى بها معاذ بعد تدبرك لهذه الفقرة؟.

.....

.....

- ما الموقف الأسلم إذا تعرض المسلم لسؤال لا يعرف إجابته، أيسكت أم يفتي ويجيب بغير علم؟
  بيِّن ذلك في ضوء موقف معاذ ﷺ مع النبي ﷺ؟

.....

.....

(١) "شرح الأربعين النووية" للعباد (٨/ ٩).

قال ﷺ: "فإنَّ حقَّ الله على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا"؛ أي: إن حقَّ الله جلَّ وعلا على عباده أن يتوجَّهوا إليه بالعبادة، ولا يُشركوا معه غيره، ويتقرَّبوا إليه بالطاعات، ويبتعدوا عن المعاصي، فهو وحدَه تعالى المستحِقُّ للعبادة والمتوجَّه بها إليه؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، "والمراد هنا ما يستحقُّه الله على عباده مما جَعَله محتَّمًا عليهم، وحقُّ الله على العباد هو ما وَعَدهم به من الثواب، وأَلزَمهم إيَّاه بخطابه، والمراد بالعبادة: عملُ الطاعة، واجتناب المعاصي، وعَطَف عليها عدمَ الشِّرك؛ لأنه تَمام التوحيد، والحِكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدَّعون أنهم يعبدون الله؛ ولكنهم كانوا يعبدون آلهةً أخرى، فاشترط نفيَ ذلك، وقال ابن حبَّانَ: عبادةُ الله إقرارٌ باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح"[1].

نشـــاط (٧)

تنقسم العبادات إلى: قلبية، جسدية، قولية، مالية. ضع علامة (✓) أمام ما يناسب العبادات التالية:

العبادة	قلبية	بدنية	قولية	مالية
الصلاة				
الدعاء				
الذكر				
الخوف				
الرجاء				
الحج				
النذر				

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٣٣٩).

قوله ﷺ: "وحقّ العباد على الله أن لا يُعذِّب مَن لا يُشركُ به شيئًا»؛ أي: وحقّ العباد على الله إن هم فعلوا ذلك، وأقبلوا على طاعته، واجتنبوا معصيته، وأفرَدوه وحدَه بالعبادة، أن لا يُدخِلهم النار، ولا يعذِّبهم، وأن يُدخلهم جنَّته، ويَشهَد لذلك قولُ النبيِّ ﷺ: "مَنْ لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[1]، ومن أَشرك بالله ﷻ فمثواه النار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، والله تعالى يَغفِر الذنوب جميعها، عدا الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، واعلم - يَرحَمُك الله - أنه "ليس للعباد على الله حقٌّ في البداية، وإنما وجب ذلك بموجب وعده؛ لأنه لا يُخلف الميعاد"[2]، فالله تعالى لا يجب عليه شيء؛ وإنما أوجب ذلك على نفسه رحمة منه وتفضُّلًا ومجازاة لعباده على أعمالهم.

نشـــاط (٨)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الله لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

بين مدلول هاتين لآيتين في رحمة الله تعالى لخلقه، ومجانبته للظلم وتحريمه إياه على نفسه، ثم اذكر أمثلة لرحمة الله تعالى للخلق.

.....

.....

قال معاذٌ: قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: "لا تُبَشِّرْهم فيتَّكلوا»، والمعنى: أنك إذا أخبرتهم بهذه البشارة، تكاسلوا عن الطاعات وتركوها؛ اتِّكالاً على هذه البِشارة، فاتركهم يجتهدوا في العبادات ويتنافسوا فيها، وذلك خاصٌّ بمن يُخشى منه الاتِّكال وترك العمل.

ولكن معاذا بن جبل رضي الله عنه قبل موته قال هذا الحديث للناس وبشرهم؛ خشية أن يكون قد كتم علما ينتفع الناس به.

(١) رواه مسلم (٩٣).

(٢) "الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري" للكورانيّ (٥/ ٤٣٨).

نشـــاط (٩)

هل أثر قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. في نفس معاذ فلم يكتم العلم.

بين جزاء وعاقبة من كتم علما ينفع الناس من خلال ما فهمته من الآية.

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ	كَلَّا وَلا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا	فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيْمُ الوَاسِعُ

وقال الآخر:

استثمِرِ الخَيْرَ في دُنياكَ واجتهِدِ	ولا تُبَالِ بداعي الشرِّ والحسَدِ
واعْمَلْ ليومٍ جميعُ الناس تَرقُبُه	فيه القضاءُ قضاءُ الواحدِ الأحدِ
أفعالُكَ اليومَ تحكي أيَّ منزلةٍ	رَوْضُ الجنانِ أمِ النيرانُ في اللَّحَدِ

٦. من هدايات الحديث:

١. إن أعظم وأكرم وصف يمكِن أن يوصَف به الإنسان في هذه الحياة الدنيا هو وصف العبودية لله تعالى، فاخلع أيها الإنسان على نفسك ما شئتَ من الأوصاف الدنيوية الزائلة، وليخلع عليك الناس ما أرادوا من الألقاب المصطَنعة البائدة، فلا قَدْرَ لذلك كلِّه، ولا شَرَفَ لك بذلك كلِّه، ما لم تكن قرينةً لوصف العبودية لله.

٢. كان النبي ﷺ -وهو أشرف الخلق وأعزُّهم- يركب الحمار، ويُركب الناس معه، فلا تتكبر عن ركوب المراكب غير الفاخرة، ولا عن الجلوس والركوب مع عامة الناس، وتعلم التواضع من نبيك ﷺ.

٣. احرص على تعلُّم العلم النافع في كل وقت وفي أيِّ مكان، فمعاذ لم يمنعه ركوبه الدابة مع النبي ﷺ وسيرهما في الطريق من طلب العلم، بل كان حريصًا عليه في أي مكان.

٤. إذا سُئلت عن شيء لا تعلمه، فلا تستحيي من أن تقول لا أعلم، أو الله أعلم، فقد قالها من هو خير وأعلم منك.

٥. إنَّ الله تعالى خلقنا لأجل عبادته وتوحيده، وحق الله عليك أن تعبده وحده ولا تجعل له شريكًا في عبادتك، سواء أكان هذا الشريك مَلَكًا أو نبيًّا أو رجلًا صالحًا؛ فإن الله تعالى هو الذي يستحقُّ العبادة وحده.

٦. اعلم أن عليك واجبات ولك حقوقًا، ولن تنال حقوقك إلا إذا فعلت ما هو واجب عليك. وأوجب الواجبات هو توحيد الله تعالى.

٧. طاعة العباد لا تَزيد في مُلْك الله شيئًا، ومعصيتهم لا تَنقُص مُلْكَه سبحانه شيئًا؛ فالله غنيٌّ عن العالمين.

٨. إذا أُشرب القلبُ العبوديةَ والإخلاص، صار عند الله من المقرَّبين، وشَمِله استثناء: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠][1].

٩. إن الإيمان يَشتمِل على كلِّ الأعمال الصالحة؛ فمهما عَمِلْتَ من عمل صالح، فهو زيادةٌ في إيمانك.

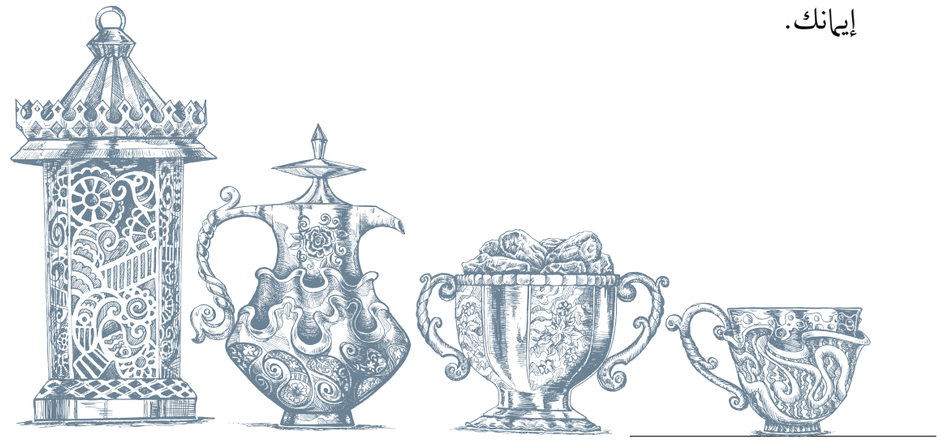

(١) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" لابن القيم (١/ ٦).

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

م	القائمة (أ)	م	القائمة (ب)
أ	حق الله تعالى على العباد	١	حسن تأدبه مع النبي ﷺ
ب	حق العباد على الله تعالى	٢	أنه سبب لدخول الجنة
ج	دل إرداف النبي ﷺ معاذا خلفه على حماره على	٣	أن يعبدوه ولا يشركوا به
د	من فضائل التوحيد	٤	ألا يعذب من لم يشرك به
هـ	دل قول معاذ الله ورسوله أعلم على	٥	تواضع النبي ﷺ

س٢: المراد بحق العباد على الله ﷻ أي الحق الذي:

1. إن الله تعالى حرم الظلم على:
   ١. فرضه الله على العباد.
   ٢. فرضه العبد على الله.
   ٣. أوجبه الله تعالى على نفسه تفضلًا.
2. دل الحديث الشريف على:
   ١. فضل الصلاة.
   ٢. فضل التوحيد.
   ٣. فضل الذكر.
3. الموقف الصحيح عندما يتعرض المسلم لسؤال لا يعرف جوابه:
   ١. أن يجيب بأي شيء.
   ٢. أن يفكر كثيرًا.
   ٣. أن يقول الله أعلم.

4 من فضائل التوحيد:

١. أنه سبب لدخول الجنة.

٢. أنه سبب في عدم الخلود في النار.

٣. الاثنين معا.

5 معنى: كنت رديف النبي ﷺ حماره:

١. قد أسوق حمار النبي ﷺ.

٢. كنت أركب أمام النبي ﷺ.

٣. كنت أركب خلف النبي ﷺ.

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. قد يفرض العبد على الله تعالى بعض الحقوق. ( )

٢. إن الذي يوجبه الله تعالى على نفسه يحققه رحمة وتفضل منه. ( )

٣. إن الشرك سبب الخلود في النار. ( )

٤. إن التوحيد ينفع المسلم في الدنيا دون الآخرة. ( )

٥. من حقق التوحيد فإن مصيره يكون إلى الجنة. ( )

الحديث الخامس

بداية نبوة محمد ﷺ

بداية نبوة محمد ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا؟

حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]".

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ الله عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ" رواه البخاريُّ (٣)، ومسلم (١٦٠).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن الله تعالى أعد أنبياءه إعدادًا جيدًا قبل بعثهم وتكليفهم بالرسالة، فكانوا خير الخلق على وجه الأرض، وكان لهم قبل إرسالهم دلائل بيِّنة تدل على أنهم خير الناس وأفضلهم، فأعدهم الله تعالى خير إعداد ليكونوا صالحين لخير الدرجات وأعظم المنازل عند الله تعالى.

ولقد أرسَل الله تعالى رسولَه ﷺ إلى الناس كافَّةً، على حين فَتْرةٍ من الرُّسل، فهَدى به إلى أقوم الطُّرق، وأَوضَح السُّبل، وافترض على العباد محبَّتَه وطاعتَه، وتوقيرَه، والقيام بحقوقه، وسَدَّ إلى الجنَّة جميع الطرق، فلم يُفتَح لأحد إلَّا من طريقه، فلا مَطْمَعَ في الفَوز بجزيل الثواب، والنَّجاةِ من وَبِيل العقاب، إلَّا لمَن كان خَلْفَه من السالكين، ولا يؤمن عبدٌ حتى يكون أحبَّ إليه من نفسِه وولدِه ووالدِه والناس أجمعين، وصلَّى الله وملائكته وأنبياؤه ورُسلُه وجميع عباده المؤمنين عليه، وهو خاتم النبيِّين، وأمَّتُه خيرُ أمَّة أُخرِجت للناس.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعدِّد طرق الوحي على النبي ﷺ.
٦. توضح دور خديجة رضي الله عنها في تثبيت النبي ﷺ.
٧. تعدد مكارم أخلاق النبي ﷺ التي ذكرتها خديجة رضي الله عنها.
٨. تستشعر جهد النبي ﷺ ومشقته في تلقيه الوحي.
٩. تقدر دور خديجة رضي الله عنها في دعم النبي ﷺ في الشدائد.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

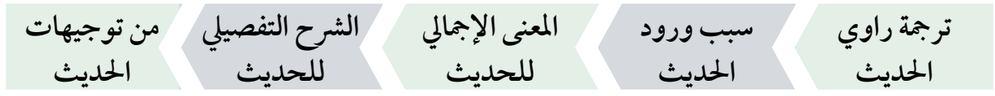

١. ترجمة راوي الحديث:

هي أمُّ المؤمنين، عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ عبدِ الله بنِ أبي قحافةَ عثمانَ بن عامرٍ القرشيةُ، التَّميميةُ، المكية، الصدِّيقة بنت الصدِّيق، حبيبةُ رسول الله ﷺ، الطاهرة المطهَّرة، المبرَّأة من السماء، أَفْقَهُ نساء الأمَّة على الإطلاق، أمُّها: أمُّ رومان بنت عامر، وُلِدت في الإسلام، وتزوَّجها النبيُّ ﷺ بعد وفاة السيدة خديجةَ رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة ببضعةَ عشَرَ شهرًا، وقيل: بعامين، ولم يتزوَّج بِكرًا غيرها، ولا أحبَّ امرأة حُبَّها، وليس في أمَّة محمد ﷺ؛ بل ولا في النساء مطلَقًا امرأةٌ أعلم منها، تُوفِّيت على الصحيح سنةَ (٥٧هـ) بالمدينة، وهي يومئذ بنت ستٍّ وستين سنةً[1].

(١) يراجع ترجمتها في: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٨٨١)، "أسد الغابة" لابن الأثير (٧/ ١٨٦)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٨/ ٢٣٤).

نشـــاط (١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة، أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله ﷻ بها خيرا منها، قال: "ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»؛ (رواه أحمد).

- **بعد قراءتك لهذا الحديث، بين مناقب خديجة رضي الله عنها مكانتها عند النبي ﷺ.**

.....

.....

- **كيف كان النبي ﷺ وفيا لزوجته خديجة رضي الله عنها، حتى بعد موتها؟**

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
الرؤيا الصالحة	الرؤيا الصادقة، وهي التي يجري في اليقظة ما يوافِقُها.
فَلَق الصُّبح	ضياؤه ونوره، ويُقال هذا في الشيء الواضح البيِّن.
الخلاء	الانفراد والخَلْوة.
بغار حراء	الغار هو النَّقْبُ في الجبل، وحِرَاءٌ: اسمٌ لجبل معروف في مكة.
يَنزِع	يَرجِع.
ما أنا بقارئ	لا أعرف القراءة ولا أُحسِنُها.

فغطَّني	ضمَّني وعَصَرني حتى حَبَس نَفَسي، وفي رواية (غتَّني) بالمعنى نفسه.
الجهد	بضمِّ الجيم وفتحها، الغاية والمشقَّة.
أرسلني	أَطلَقني.
عَلَق	جَمْعُ عَلَقة، وهي المَنيُّ بعد أن يتحوَّل إلى دمٍ غليظ متجمِّد.
يَرجُف فؤاده	يَخفِق قلبُه، ويتحرَّك بشدَّة.
زمِّلوني	لُفُّوني وغطُّوني.
الرَّوع	الفَزَع.
ما يُخزِيك	لا يُذِلُّكَ ولا يُضَيِّعُك.
لتَصِل الرحم	تُكرِم القَرابة وتواسيهم.
تحمل الكَلَّ	تقوم بشأن من لا يستقِلُّ بأمره.
تَكسِب المعدوم	تتبرَّع بالمال لمن عَدِمه، وتُعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.
تَقْرِي الضَّيف	تهيِّئ للضيف القِرى، وهو ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب.
نوائب الحق	النوائب: جمعُ نائبة، وهي ما يَنزِل بالإنسان من الحوادث المُهِمَّات، وأُضِيفت إلى الحقِّ لأنها تكون في الحقِّ والباطل.
تَنصَّر	تَرَك عبادة الأوثان، واعتنق النصرانية.
الناموس	هو صاحب السِّرِّ، والمرادُ جبريلُ - عليه السلام - سُمِّيَ بذلك لاختصاصه بالوحي.
جَذَع	شابٌّ، والجَذَع في الأصل: الصغيرُ من البهائم، ثم استُعير للشابِّ من الإنسان.
مؤزَّرًا	قويًّا، من الأَزْر، وهو القوَّة.
فتر الوحيُ	تأخَّر عن النزول مدَّةً من الزمن.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

تروي أُمُّ المُؤْمِنِينَ عائشةُ رضي الله عنها كيف بدأ الوحي للنبيِّ ﷺ، قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)؛ أي: جاءت رؤياه مثلَ ضياء الصُّبح واضحةً بيِّنة، (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ)؛ أي: الخَلْوة، (وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ) وحراء جَبَلٌ معروفٌ بمكَّةَ، (فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِه)؛ أي: يتعبَّد ليالِيَ في خَلْوَته بالغار قبل أن يرجع إلى أهله، (وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا)؛ أي: يتزوَّد بحاجته من ماء وطعام، فإذا انتهى، رجع لخديجة فتزوَّد لخَلْوة مثلِها.

حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"؛ أي: لا أعرف القراءة.

قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي"؛ أي: ضمَّني وعَصَرني حتى حَبَس نَفَسي، "حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي"؛ أي: حتى بلغ مني غاية المشقَّة، ثم أَطلَقني، "فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ)؛ أي: رجع يَخفِقُ قلبُه ويتحرَّك بشِدَّة.

فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"؛ أي: لُفُّوني وغطُّوني. (فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ)؛ أي: حتى ذهب عنه الفَزَع، (فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا)؛ أي: لا يُذِلُّكَ ولا يُضَيِّعُك؛ فلك من مكارم الأخلاق أفضلُها: (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ): تصل أرحامك وقرابتك، وتُكرمهم وتواسيهم، (وَتَحْمِلُ الكَلَّ): وتحمل وتقوم بشأن من لا يستقِلُّ بأمره، (وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ): وتتبرَّع بالمال لمن عَدِمه، وتُعطي الناسَ ما لا يجدونه عند غيرك، (وَتَقْرِي الضَّيْفَ): وتُكرِم الضيف، فتُهيِّئ له القِرى، وهو ما يقدَّم للضَّيف من طعام وشراب، (وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ): وتُعين على الحوادث التي تنزل بالإنسان في الحقِّ.

(فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ الله عَلَى مُوسَى) والناموس: هو صاحب السرِّ، والمراد جبريلُ عليه السلام سُمِّيَ بذلك لاختصاصه بالوحي.

(يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا)؛ أي: شابًّا قويًّا، (لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ)؛ أي: ليتني أكون حيًّا حين يُخرِجُك قَوْمُك.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)؛ أي: أنصرك بكلِّ قوَّة.

(ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ)؛ أي: ثم لم يَلبَث ورقةُ أن مات.

(**وَفَتَرَ الوَحْيُ**)؛ أي: تأخَّر عن النُّزول مدَّةً من الزمن.

٤. الشرح المفصل للحديث:

كانت مرحلة ما قبل الوحي دليلًا على نبوَّته ﷺ، بأخلاقه الكريمة، التي استدلَّت بها خديجة رضي الله عنها على أن ما حدث في غار حراء هو خير، وقد جعل الله تعالى أخلاق النبيِّ ﷺ من دلائل نبوَّته؛ فقال تعالى للنبيِّ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فوَصَفه الله تعالى وخصَّه بما أعطاه من عظيم الأخلاق ما يدلُّ على عظمته ﷺ، وعظمةِ رسالة الإسلام، ومن ثَمَّ صارت أخلاقه ﷺ دليلًا نقليًّا في القرآن، ودليلًا عقليًّا على نبوَّته ﷺ؛ فأنَّى يكون صاحب هذه الأخلاق العظيمة دَعيًّا يفتري على الله الكذب؛ وهو النَّموذج الذي وضعه الله للبشر ليتأسَّوْا به، وأخبرهم أنه على خُلق عظيم؟!

وإن أوَّل من آمن برسالة النبيِّ ﷺ كأم المؤمنين خديجة وأبي بكر الصديق، آمنوا به ﷺ بدليل مكارم أخلاقه فقط؛ فلم يكن قد نزل القرآن، ولم يروا معجزاتٍ للنبيِّ ﷺ إنما كانت مكارم النبيِّ ﷺ وأخلاقه العظيمة وكماله البشريُّ هو دليلَهم الوحيد لصدق النبيِّ، واستحالة أن يفتريَ الكذب.

نشـــاط (٢)

ابحث عن الأخلاق التي كان النبي ﷺ يتحلى بها قبل أن يكون رسول، ثم اكتبها في الأسطر التالية.

.....

.....

وفي هذا الحديث تروي أُمُّ المُؤْمِنِينَ عائشةُ رضي الله عنها كيف بدأ الوحيُ للنبيِّ ﷺ، قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ) والرؤيا الصالحةُ هي الرؤيا الصادقة. (فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)، وفَلَقُ الصُّبْحِ: هو ضياؤه، وإنّما يُقال هذا في الشّيء الواضح البيِّن. وفي ابتدائه ﷺ بالرُّؤيا حكمةٌ من الله تعالى، وتدريج لنبيِّه ﷺ لما أراده الله تعالى به؛ لئلَّا يَفْجَأَه المَلَكُ، ويأتيَه صَريح النبوَّة بَغْتةً، فلا تَحتمِلها القوى البشرية، فبُدئ بأوَّل خصال النُّبوَّة وتباشير الكرامة من صدق الرُّؤيا، وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضَّوء وسماع الصَّوت، وسلام الحَجَر والشَّجَر عليه بالنُّبوَّة، حتى استشعر عظيمَ ما يُراد به، واستعَدَّ لما يَنتظِره، فلم يأتِه المَلَك إلا لأمر عنده مقدِّماتُه وبشاراته[1].

(ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ)؛ أي: الخَلْوة، وهي شأن الصَّالحين، وعبادِ الله العارفين، فحُبِّبت العُزلة إليه ﷺ لأنَّ معها فراغَ القلب، وهي مُعينة على التَّفكُّر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشَّع قلبُه. (وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ): وحراء جَبَلٌ معروفٌ بمكَّةَ، والغارُ نَقْبٌ فيه. (فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِه)؛ أي: يتعبَّد لياليَ في خَلْوَته بالغار قبل أن يرجع إلى أهله. "وخلوته ﷺ بغار حراء وتحنُّثه: فيه تنبيه على فضل الخَلْوة والعُزلة، وثمرة التفرُّغ لذكر الله؛ فإن ذلك يُريح السِّرَّ من الشُّغل بغير الله، ويُقِلُّ الهمَّ بأمور الدنيا، ويُخلي القلب عن التعلُّق والركون لأهلها، فيصفو، وتنفجر ينابيعه بالحكمة، وتُشرق جوانبه بالحقائق والمعرفة، ويَفيض عليه من نفحات فضل الله وأنوار رحمته ما قُدِّر له"[2].

نشـــاط (٣)

اذكر أربعة من فوائد الخلوة وعدم مخالطة الناس كثيرًا:

.....

.....

.....

.....

(١) انظر: "شرح النوويِّ على مسلم" (٢/ ١٩٧، ١٩٨).

(٢) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (١/ ٤٨٢).

(**وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا**)؛ أي: يتزوَّد بحاجته من ماء وطعام، فإذا انتهى، رجع لخديجة فتزوَّد لخَلْوة مثلِها، "وتَزوُّدُه ﷺ في تحنُّثه يردُّ قول الصوفية: إن من أَخلَص لله أنزل الله عليه طعامًا، والرسولُ ﷺ كان أَوْلى بهذه المنزلة؛ لأنه أفضلُ البشر، وكان يتزوَّد"[1].

وفي هذا تنبيه على فضل الخَلْوة والعُزلة، وثمرة التفرُّغ لذكر الله؛ فالخَلْوة هي شأن الصَّالحين، وعبادِ الله العارفين، فحُبِّبت الخَلوة والعُزلة إليه ﷺ لأنَّ معها فراغَ القلب، وهي مُعينة على التَّفكُّر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشَّع قلبُه، وذلك يُريح السِّرَّ من الشُّغل بغير الله، ويُقِلُّ الهمَّ بأمور الدنيا، ويُخلي القلب عن التعلُّق والركون لأهلها، فيصفو، وتنفجر ينابيعه بالحكمة، وتُشرق جوانبه بالحقائق والمعرفة، ويَفيض عليه من نفحات فضل الله وأنوار رحمته ما قُدِّر له[2].

حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ»؛ أي: لا أعرف القراءة.

قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي»؛ أي: ضمَّني وعَصَرني حتى حَبَس نَفَسي. وفيه دليلٌ على أن الإنسان يُذكَّر ويُنبَّه إلى فعل الخير، وإن كان عليه فيه مشقَّة.

قال: "حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»؛ أي: حتى بلغ مني غاية المشقَّة، ثم أَطلَقني، "فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ".

"قوله: (فغطَّني)، ثلاث مرات، فيه دليلٌ على أن المستحبَّ في مبالغة تكرير التنبيه، والحضِّ على التعليم، ثلاثُ مرَّات. وقد رُوي عنه ﷺ أنه كان إذا قال شيئًا، أعاده ثلاثًا؛ للإفهام، وقد استدلَّ بعض الناس من هذا الحديث، أن يؤمَر المؤدِّب أن لا يضرب صبيًّا أكثرَ من ثلاث ضربات"[3].

"وهذا الغطُّ من جبريل له – عليهما السلام – شَغْلٌ له عن الالتفات إلى شيء من أمر الدنيا، وإشعار بالتفرُّغ لما أتاه به؛ وإنما كان ذَلك ليبلُوَ صبره، ويُحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كُلِّفه من أعباء النُّبُوَّة؛ ولذلك كان يعتريه مثل حال المَحموم، ويَأخُذه الرُّحَضَاءُ – أي: العَرَق – وذلك يدلُّ على ضعف القوَّة البشرية والوَجَل؛ لتوقُّع تقصير فيما أُمِر به"[4].

قوله ﷺ: "**ثُمَّ أَرْسَلَنِي**»، فَقَالَ: ﴿﴾.

(١) "شرح صحيح البخاريِّ" لابن بطال (١/ ٣٦).

(٢) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (١/ ٤٨٢).

(٣) "شرح صحيح البخاريِّ" لابن بطال (١/ ٣٦، ٣٧).

(٤) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (١/ ٤٨٣).

نشـــاط (٤)

لخص المراحل التي مر بها الوحي، ثم اذكرها:

.....

.....

.....

(فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ)؛ أي: رجع يَخفِقُ قلبُه ويتحرَّك بشِدَّة. (فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ الله عَنْهَا، فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»)؛ أي: لُفُّوني وغطُّوني بالثياب. (فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ)؛ أي: حتى ذهب عنه الفَزَع. (فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»).

"وقوله: "لقد خشيتُ على نفسي»: ليس بمعنى الشكِّ فيما أتاه من الله؛ لكنه عساه خَشِيَ أنه لا يقوى على مقاومة هذا الأمر، ولا يَقدِر على حمل أعباء الوحي، فتَزهَق نفسُه، أو ينخلع قلبُه؛ لشِدَّة ما لَقِيَه أوَّلًا عند لقاء المَلَك"[1].

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: (كَلَّا): للنفي والإبعاد. (**وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا**)؛ أي: لا يَفضَحُك ولا يُهينُك؛ بلْ يُثبِّتُكَ حتى لا يُنسَبَ إليك كَذِبٌ فيما قُلتَه، ولا يُسَلَّط عليك شيطانٌ، وهذا تأنيسٌ منها للنبيِّ ﷺ. ثم أخذت تعدِّد مكارم أخلاقه:

(**إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ**): تصل أرحامك وقرابتك، وتُكرمهم وتواسيهم. وصلة الرَّحِم: هي الإحسان إلى الأقارب على حَسَبِ حال الواصل والموصول، فتارةً تكون بالمال، وتارةً بالخِدمة، وتارةً بالزِّيارة والسّلام، وغير ذلك.

(**وَتَحْمِلُ الكَلَّ**): وتحمل وتقوم بشأن من لا يستقِلُّ بأمره، ويَدخُل في حَمل الكَلِّ: الإنفاقُ على الضَّعيف واليتيم والعيال، وغير ذلك، وهو من الكَلَال، وهو الإعياء.

(**وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ**) وتتبرَّع بالمال لمن عَدِمه، وتُعطي الناسَ ما لا يجدونه عند غيرك.

"أمّا معنى (تكسِب المعدوم)، معناه: تُكسب غيرَك المالَ المعدومَ؛ أي: تُعطيه إيَّاه تبرُّعًا، فحَذَف أحد المفعولين، وقيل: معناه: تُعطي الناسَ ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد، ومكارم الأخلاق،

(١) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (١/ ٤٨٤، ٤٨٥).

وقيل معناها كمعنى الضّمِّ، وقيل: معناها: تَكسِب المالَ المعدومَ، وتُصيب منه ما يَعجِز غيرُك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادَحُ بكسب المال المعدوم، لا سيَّما قُريشٌ"[1].

(**وَتَقْرِي الضَّيْفَ**): وتُكرِم الضَّيف، فتُهيِّئ له القِرى، وهو ما يُقدَّم للضَّيف من طعام وشراب.

(وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ): وتُعِين على الحوادث التي تنزل بالإنسان في الحقِّ، فالنّوائب جمع (نائبة)، وهي الحادثة، وإنما قالت: (نوائب الحقِّ)؛ لأنّ النّائبة قد تكون في الخير والحقِّ، وقد تكون في الباطل والشّرِّ.

نشـــاط (٥)

اذكر الأخلاق الحنة والأخلاق السيئة التي كان العرب يتصفون بها في الجاهلية قبل الإسلام، وأي الأخلاق كان يغلب الآخر.

الأخلاق الحسنة	الأخلاق السيئة

"معنى كلام خديجةَ رضي الله عنها: إنّك لا يُصيبك مكروه؛ لِما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشّمائل، وذَكَرت ضُروبًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أنّ مكارم الأخلاق وخصال الخير سببُ السَّلامة من مَصارع السُّوء، وفيه مدحُ الإنسان في وجهه في بعض الأحوال؛ لِمصلحة نظر، أو فيه تأنيس مَن حَصَلت له مخافة من أمر، وتبشيره، وذكر أسباب السّلامة له، وفيه أعظمُ دليل وأبلغُ حُجَّة على كمال خديجةَ رضي الله عنها وجَزالة رأيِها، وقوَّة نفسها، وثبات قلبها، وعِظَم فِقهها"[2].

(١) "شرح النوويِّ على مسلم" (٢/ ٢٠١).

(٢) "شرح النوويِّ على مسلم" (٢/ ٢٠٢).

نشـــاط (٦)

إن من إنعام الله تعالى على العبد أن يحسن إليه إن أحسن إلى الناس وأن يرحمه إذا رحم الناس.

بين هذا في كلام السيدة عائشة.

.....

.....

وهذه الأشياء تدل على عظيم خلق النبي ﷺ، في مرحلة ما قبلَ الوحي، وهي دليلٌ على نبوَّته ﷺ، فقد قال تعالى للنبيِّ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فجعل الله تعالى أخلاقه ﷺ من دلائل نبوَّته؛ فكيف يكون صاحب هذه الأخلاق العظيمة دَعيًّا يفتري على الله الكذب؟!

فمن آمن برسالة النبيِّ ﷺ قبل نزول القرآن، أو رؤية معجزات له؛ كأمِّ المؤمنين خديجةَ وأبي بكر الصدِّيق، كان دليلهم الوحيد لصدق النبيِّ، واستحالة أن يفتريَ الكذب، هو مكارمَه ﷺ، وأخلاقه العظيمة، وكماله البشريَّ.

(فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ)؛ أي: صار نصرانيًّا، والجاهليَّةُ ما قبل رسالته ﷺ، سُمُّوا بذلك لِما كانوا عليه من فاحش الجهالة، (وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ)؛ أي: أنّه تمكَّن من معرفة دين النّصارى، بحيث إنّه صار يتصرَّف في الإنجيل، فيَكتُب أيَّ موضع شاء منه بالعِبرانيّة إن شاء، وبالعربيّة إن شاء، (وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى) وناموس الرجل: صاحب سرِّه، وكلُّ شيء سَتَرت فيه شيئًا فهو ناموسٌ له هو صاحب السرِّ، والمراد جبريلُ عليه السلام سُمِّيَ بذلك لاختصاصه بالوحي.

قول ورقة: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا)؛ أي: يا لَيتني في أيَّام النّبوَّة ومُدَّتها، (جَذَعًا)؛ أي: شابًّا قويًّا؛ حتّى أبالغ في نُصرتك. **(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ)**؛ أي: ليتني أكون حيًّا حين يُخرِجُك قَوْمُك.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ: (نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ)؛ فهو طريق صراع مع الكفر والباطل، لن يكون ممهَّدًا؛ بل طريق الابتلاء والآلام وترك الديار، (وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ)؛ أي: يومُ إخراجك، أو يوم ظهور نبوَّتك، وانتشار دينك، (أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)؛ أي: أنصرْك بكلِّ قوَّة، وأُعِينُك.

(**ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ**)؛ أي: ثم لم يَلبَث ورقةُ أن مات، (**وَفَتَرَ الوَحْيُ**)؛ أي: تأخَّر عن النُّزول مدَّةً من الزمن.

نشـــاط (٧)

لورقة بن نوفل موقف خالد مع النبي ﷺ لم ينسه له التاريخ.

اذكر هذا الموقف، ثم اذكر الصفات التي كان يتميز بها ورقة.

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

وَنـودِيَ (اقْـرَأْ) تَعـالى الله قائِلُهـا	لَم تَتَّصِـل قَبـلَ مَـن قيلَـت لَـهُ بِفَـمِ
هُنـاكَ أَذَّنَ لِلرَحمَـنِ فَامتَـلأَتْ	أَسـماعُ مَكَّـةَ مِـن قُدسِـيَّةِ النَّغَـمِ
فَلا تَسَلْ عَن قُرَيشٍ كَيفَ حَيْرَتُها	تَسـاءَلوا عَـن عَظيـمٍ قَـد أَلَمَّ بِهِـمْ
تَسـاءَلوا عَـن عَظيـمٍ قَـد أَلَمَّ بِهِـمْ	رَمـى المُشـايِخَ وَالوِلْـدانِ بِاللَّمَـمِ
سائِلِ حِراءَ وَرُوحَ القُدْسِ هَلْ عَلِمَا	مَصُـونَ سِرٍّ عَـنِ الإِدراكِ مُنكَتِـمِ
كَـم جَيْئَـةٍ وَذَهَـابٍ شُرِّفَـتْ بِهِـما	بَطْحَـاءُ مَكَّـةَ فِي الإِصباحِ وَالْغَسَـمِ
وَوَحشَـةٍ لِابـنِ عَبـدِ الله بينَهُـما	أَشْهى مِنَ الأُنسِ بِالأَحسابِ وَالحَشَمِ
يُسَـامِرُ الوَحْـيَ فيهـا قَبْـلَ مَهْبِطِـهِ	وَمَـن يُبَـشِّرْ بِسـيما الخَـيْرِ يَتَّسِـمِ
إِنَّ الشـائِلَ إِن رَقَّـت يَـكادُ بِهـا	يُغـرى الجَـمادُ وَيُغرى كُلُّ ذي نَسَـمِ

وقال الآخر:

لَيْتَ شِـعْرِي كَيْفَ الْقُلُوبُ قِفَارٌ؛	وَبِذِكْـرِ الرَّسُـولِ تَغْـدُو رَبِيعَا؟!
فَصَـلَاةٌ عَـلَى النَّبِـيِّ شَـذَاهَا	يَكْسِـبُ النَّفْـسَ رِفْعَةً وَخُشُـوعَا
وَسَـلَامٌ عَـلَى النَّبِـيِّ صَـدَاهُ	يَجْعَلُ الـرُّوحَ كَالشُّـمُوسِ طُلُوعَا

٦. من هدايات الحديث:

١. قال ﷺ: "لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعًا لِما جئتُ به»[(١)].

٢. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(٢)].

٣. لقد آمن المسلمون الأوائل بدليل أخلاقه ﷺ فقط؛ فلم يكن قد نزل القرآن، ولم يروا معجزاتٍ للنبيِّ ﷺ؛ إنما كانت مكارم النبيِّ ﷺ وأخلاقه العظيمة وكماله البشريُّ هو دليلَهم الوحيد لصدق النبيِّ، واستحالة أن يفتريَ الكذب.

٤. لقد امتنَّ الله تعالى على عباده بأن بعث فيهم هذا النبيَّ ﷺ من أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٥. إن الله تعالى نجَّى النبي ﷺ من عبادة الأصنام قبل الإسلام، فالنبي ﷺ لم يعبد صنمًا أبدًا، وكان يبتعد عن الشرك والمشركين ويتفكر في عظمة الله تعالى ويتأمل في الكون؛ لذلك حُبِّبَ إليه الذهاب للغار.

٦. الرؤية الصالحة جزء من النبوات، فإن النبوات انتهت بموت نبي الله محمد ﷺ ولم يبقَ من أثرها شيء سوى الرؤيا الصادقة.

٧. تروي عائشة رضي الله عنها هذا الحديث، وفيه بيان فضائل خديجة رضي الله عنها التي قالت في حقها: "مَا غِرْتُ

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في "التاريخ" (٤/ ٣٦٩)، والبغويُّ في "شرح السنة" (١٠٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٥)، وابن بطة في "الإبانة" (١/ ٣٨٧)، وقال النوويُّ في "الأربعين": (حديث صحيح، وفيه نعيم بن حماد مختلف فيه).

(٢) رواه البخاريُّ (١٥)، ومسلم (٤٤).

عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ»[1]، ولم تمنعها الغيرة التي فطر الله النساءَ عليها من أن تُحَدِّث بهذا الحديث؛ فلا يجدر بإنسانٍ أن يكتم فضلَ امرئٍ أو يجحد حقَّه لمنافسته أو خصومته.

٨. تضرب لنا خديجة رضي الله عنها خير مثل للزوجة الصالحة التي تحتوي زوجها وقت الشدائد والأزمات؛ فيجب على البنات والنساء المؤمنات الاقتداء بها.

٩. أدركت خديجةُ العاقلة سنة الله تعالى الكونية بأن الله يعين من يعين الناس، فلا يخزيه؛ فلا تبخل بجهد بدنك أو مالك أو وقتك أو فكرتك، وقدم المعروف للناس بنفس قوية منشرحة، واحتساب لله، وابذل في وقت رخائك لشدتك.

١٠. موقف النبي ﷺ وزوجته خديجة مع ورقة بن نوفل يدلنا على أن الإنسان إذا وقع في أمر أو جهل شيئًا؛ يجب عليه أن يذهب إلى من هو أعلم منه وأكثر خبرة؛ وسيجد الجواب الكافي.

١١. اقتدِ بنبيك ﷺ وحاول جاهدًا أن تختلي بنفسك لعبادة الله تعالى والتأمل في مظاهر قدرته وعظمته.

١٢. إن مُعَادة الأنبياء والصالحين قديمة، فما من نبي أرسله الله تعالى إلا أوذي وعُذِّب، فلا تحزن إن كنت ناجحًا وعاداك الفاشلون، أو كنت صالحًا وعاداك المشركون والعاصون.

(١) رواه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

ثالثا: التقييم

س١: تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي:

1. أول علامة من علامات الوحي:
   ١. ظهور جبريل.
   ٢. الرؤيا الصادقة.
   ٣. تكليم الملائكة.

2. قول خديجة رضي الله عنها: "**والله لا يخزيك الله أبدا**" كان له أثر عظيم في:
   ١. ثبوت الوحي وعدم انقطاعه.
   ٢. تثبيت قلوب المسلمين.
   ٣. خوف النبي ﷺ.

3. من صفات النبي ﷺ:
   ١. يكسب المعدوم.
   ٢. يعين على نوائب الدهر.
   ٣. يصل الرحم.
   ٤. جميع ما سبق.

4. زوجة النبي ﷺ التي كانت معه وهدأت من روعه بعد أن نزل عليه الوحي أول مرة.
   ١. خديجة رضي الله عنها.
   ٢. عائشة رضي الله عنها.
   ٣. صفية رضي الله عنها.

5 قول النبي ﷺ: "فغطني حتى بلغ مني الجهد تصوير لـ ..... التي كان يلاقيها النبي ﷺ عند الوحي:

١. الفرحة.

٢. الشدة.

٣. السهولة.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. كان النبي ﷺ لا يلاقي أي شدة أو صعوبة أثناء نزول الوحي. ( )

٢. كان النبي ﷺ من القلَّة الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة قبل الإسلام. ( )

٣. ذهبت السيدة عائشة بالنبي ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل قبل أن يذهب إلى الغار. ( )

٤. طمأن ورقة بن نوفل النبي ﷺ بأن دينه سينتشر بسرعة ولن يعاديه أحد. ( )

٥. أول ما نزل من القرآن سورة الشرح. ( )

س٣: وصل

م	القائمة (أ)	م	القائمة (ب)
أ	أول من أخبر النبي ﷺ بأنه سيكون رسولا	١	السيدة عائشة
ب	أول ما بدأ به الوحي	٢	السيدة خديجة
ج	زوجة النبي ﷺ التي كانت معه وقت نزول الوحي	٣	ورقة بن نوفل
د	راوي هذا الحديث	٤	الرؤيا الصادقة

الحديث السادس
مجمل التعريف بالإسلام

مجمل التعريف بالإسلام

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ".

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، (رواه مسلم (٨)).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

الله ﷻ لم يفضل الناس على بعض لأجل أحسابهم ولا أنسابهم ولا مالهم ولا جاههم، بل إن التفاضل عند الله تعالى أساسه الدين، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالدين هو معيار التفضل عند الله تعالى، لذلك فإن الله تعالى جعل الدين درجات ومنازل، فكلما ارتفعت في الدين منزلة ازدت من الله تعالى قربًا، ومراتب الدين هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تفرق بين الإيمان والإسلام والإحسان.
٦. تحافظ على أركان الإسلام.
٧. تستشعر أهمية الإيمان في حياة المسلم.
٨. تعدد أنواع الإحسان.
٩. تسعى أن تترقى إلى درجة الإحسان.
١٠. تعدد علامات الساعة الواردة في الحديث.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. أركان الإسلام

٢. أركان الإيمان..

٣. ركن الإحسان.

٤. وقت الساعة وأشراطها.

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو حفصٍ عمرُ بنُ الخطَّاب القرشيُّ العَدويُّ ﵁، الملقَّب بفاروق الأمَّة، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشَرة المبشَّرين بالجنَّة، وُلِد بعد عام الفيل بثلاثَ عشْرةَ سنةً، وكان من أشراف قريش، وإليه السفارة في قريش، وذلك أن قريشًا كانوا إذا وقع بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيرًا، أسلم في السنة السادسة من البعثة، وكان إسلامه عزًّا أظهر الله به الإسلام والمسلمين، كان لا يخاف في الله لومة لائم، هاجر إلى المدينة المنوَّرة، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو من علماء الصحابة ﵃ وزهَّادهم وأكثرِهم تواضُعًا، توفِّي النبيُّ ﷺ وهو عنه راضٍ، وتولَّى الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصدِّيق ﵁ سنة (١٣هـ)، وكانت مدَّة خلافته عشْرَ سنينَ ونصفًا تقريبًا، اشتُهِر بعدالته وإنصافه للمظلومين، فَتَح العراق والشام ومصرَ وأرمينية وأذربيجان وغيرها من البلاد، وهو أوَّل من أرَّخ

التأريخ الهجريَّ، وأول من سمِّي بأمير المؤمنين، استُشهد سنة (٢٣) من الهجرة عن عمر يناهز ثلاثةً وستِّين عامًا، وهي نفس السنِّ التي توفِّي فيها النبيُّ ﷺ وأبو بكر الصدِّيق ﵁[1].

نشـــاط (١)

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصلي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عمرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وصلينا معه.

كيف أعز الله ﷻ الإسلام بعمر بن الخطاب ﵁.

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
أمارتها	علامتها
الأمَة	المملوكة
العالة	جمع عائل، وهو الفقير، من عال؛ أي: افتقر.
رعاء	جمع راعٍ
الشاء	الضأن والماعز، والواحدة شاة
ربَّتها	سيدتها
مليًّا	وقتًا غير قصير

(١) يراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (١/ ٣٨)، "أسد الغابة" لابن الأثير (٤/ ١٣٧)، "الإصابة" لابن حجر (٤/ ٤٨٤).

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا)؛ أي: ظهر (رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ) هو جبريل عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ في صورة رجل لا يعرفونه (لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ)؛ أي: ليس عليه هيئة المسافر من غبرةٍ أو شُعوثة، (وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ)؛ أي: فألصق الرَّجل رُكْبَتَيه برُكْبَتَي النبيِّ ﷺ، (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ)؛ أي: فَخِذَيْ نفسه جالسًا على هيئة المتعلِّم، (وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ)؛ أي: ما هو الإسلام؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ»؛ أي: الإسلام أن تَعلَم وتصدِّق وتسلِّم أن لا معبود بحق إلا الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول من الله إلى العالمين بذلك. "وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»؛ أي: تأتي بهذه الأركان على وجهها الشرعيِّ بأركانها وشروطها؛ فهذه أركان الإسلام الخمسة التي بُنِيَ عليها الإسلام.

(قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ)؛ أي: قال الرجل للنبيِّ ﷺ: صدقتَ فيما أجبتَ به، فعجب الحضور من الصحابة من الرجل؛ كيف يسأله ويصدِّقه، وهو ليس يُعرَف بلقاء النبيِّ ﷺ؟! ثم هو قد سأل سؤال عارف محقِّق مصدِّق.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»؛ أي: أن تؤمن بهذه الأركان الستة، فهي أركان الإيمان.

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ أي: الإحسان هو إحسان العبادة، والإخلاص فيها، والخضوع، وفراغ البال حال التلبُّس بها، ومراقبة المعبود، فإن لم تكن في عبادته كأنك تراه، فاستمرَّ على إحسان العبادة، واستحضر أنك بين يدي الله تعالى، وأنه مطَّلِع على سِرِّك وعلانيتك؛ ليحصل لك أصل الكمال.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ)؛ أي: متى تقوم القيامة؟

قَالَ: "مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»؛ أي: لا يعلم متى الساعة أحدٌ إلا الله، حتى الرسول ﷺ نفسه.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا)؛ أي: علامتها التي تدلُّ على قُرْبِها.

قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»؛ قيل: أي: أن تكثُر السَّراريُّ حتى تلد الأمَة السُّرِّية بنتًا لسيِّدها، فتَصِير البنتُ سيِّدةً لوالدتها؛ حيث إنها بنتُ السيِّد، وقيل غير ذلك.

«وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»: الحافي: هو مَن لا نعل له، والعاري: هو مَن لا شيء على جسده، والمراد هنا: من ليس عليه ثياب أشراف الناس، والعالة: هم الفقراء، ورعاء الشاء: المراد الأعراب وأصحاب البوادي؛ فالمعنى: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تُبسَط لهم الدنيا؛ حتى يتباهَوْا في البُنيان.

(قَالَ – أي: عمر –: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا). قال عمرُ: ثم ذهب الرجل السائل، فمكثتُ لا أدري مَن الرجل وقتًا غير قصير.

ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»؛ أي: قال النبيُّ ﷺ: ذلك الرجل جبريلُ أتى ليبيِّن لكم أمر دينكم بسؤاله.

نشـــاط (٢)

قبل الخوض في الشرح المفصل للحديث، ضع علامة أمام العنوان المناسب لكل عبادة من تلك العبادات.

العبادة	الإسلام	الإيمان	الإحسان
الإيمان بالله			
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك			
صوم رمضان			
إقام الصلاة			
الإيمان بالقدر			

٤. الشرح المفصل للحديث:

تناول هذا الحديث الشريف مراتب الدين الثلاث: الإسلامَ والإيمان والإحسان، وإن بين هذه المراتب الثلاث ارتباطًا وثيقًا؛ فدائرةُ الإسلام أوسعُ هذه الدوائر، تليها دائرة الإيمان، فالإحسان.

وفي هذا الحديث يروي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا

رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ): فبينما الصحابة ﭫ عند النبيِّ ﷺ جُلوسٌ، إذ طلع عليهم ذلك الرجل بهذه الهيئة، فتعجَّب الصحابة من هذا الرجل، فهو غير معروف أنه من أهل البلد، وليس عليه هيئة المسافر؛ فهيئتُه هيئة شابٍّ لا يُرى عليه أثر السفر؛ لأن المسافر يكون أشعثَ أغبرَ؛ لأنهم يسافرون على الإبل، أو على الأقدام، والأرض كلُّها غبار. (حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ)؛ أي: فألصق الرَّجل رُكْبَتَيه برُكْبَتَي النبيِّ ﷺ، (وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ)؛ أي: فَخِذَيْ نفسه جالسًا على هيئة المتعلِّم.

نشـــاط (٣)

في هذا الحديث ثلاث آداب لطلب العلم، نتعلمها من فعل جبريل ﷺ، اذكرها

.....

.....

.....

.....

قال العلماء: وَضَع كفَّيْهِ على فَخِذَيْ نفسه، لا على فَخِذَي النبيِّ ﷺ، وذلك من كمال الأدب في جِلسة المتعلِّم أمام المعلِّم، بأن يجلس بأدب واستعداد لِما يَسمَع[1].

وهذا الرجل هو جبريلُ ﷺ تمثَّل في هيئة ذلك الرجل، وجبريلُ أحد الملائكة العِظام؛ بل هو أفضل الملائكة؛ لشَرَف عمله؛ لأنه يقوم بحمل الوحيِ من الله تعالى إلى الرسل ﷺ وقد رآه النبيُّ ﷺ على صورته التي خُلِق عليها مرَّتين:

المرة الأولى: رآه ﷺ وهو في غار حِراء، رآه وله ستُّمائةِ جَناح، قد سدَّ الأُفُق أمام الرسول ﷺ فلا يرى السماءَ؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٤-٩]، دنا جبريلُ من فوقُ فتدلَّى؛ أي: قَرُب إلى محمدٍ ﷺ فأوحى إلى عبده - الرسول ﷺ - ما أوحاه من وحيِ الله الذي حمَّله إيَّاه.

والمرة الثانية: عند سِدْرة المنتهى؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤].

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (١/ ٣٤٧).

نشـــاط (٤)

كم مرة رأى النبي ﷺ جبريل ﷺ على صورته الأصلية؟

.....

.....

كان النبي ﷺ يرى جبريل على صورة أحد الصحابة.. من هذا الصحابي؟

.....

.....

وقد جعل الله تعالى للملائكة قُدرةً على أن يتشكَّلوا بغير أشكالهم الأصلية، فها هو قد جاء في صورة ذلك الرجل، (**وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ**)؛ أي: ما هو الإسلام؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»؛ أي: تَشهَد بلسانك نُطقًا، وبقلبك إقرارًا: أن لا إله إلا الله؛ يعني: لا معبود بحقٍّ إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد أرسل الله تعالى بهذه الكلمة (لا إله إلا الله) جميعَ الرسل؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ أي: ابتعدوا عن الشِّرك. فهذه الكلمة إذا حقَّقها الإنسان، وقالها من قلبه ملتزمًا بما تقضيه من الإيمان والعمل الصالح، فإنه يدخل الجنة بها.

«**وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله** ﷺ»؛ أي: تشهد بأن محمدًا ﷺ رسولُ الله إلى الناس كافَّةً؛ كما قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فهو رسول إلى جميع الخلق، وقال ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

(١) رواه مسلم (٢٥٠).

نشـــاط (٥)

هل تقع شهادة أن لا إله إلا الله دون شهادة أن محمدا رسول الله؟ ولماذا؟

.....

.....

وقد جمعت الشهادتان: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) شَرْطَي العبادة، وهما: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ؛ لأن من قال: "لا إله إلا الله" أخلص لله، ومن شهد أن محمدًا رسول الله، اتَّبَع رسول الله، ولم يَتَّبع سواه؛ "ولهذا عُدَّ هذان ركنًا واحدًا من أركان الإسلام؛ لأنهما يعودان إلى شيء واحد، وهو تصحيح العبادات؛ لأن العباداتِ لا تصحُّ إلا بمُقتَضى هاتين الشهادتين.

وتعني شهادة أن محمدا رسول الله أن الله أرسله إلى العالمين جميعًا؛ رحمةً بالعالمين؛ كما قال الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأن تؤمن بأنه خاتم النبيين؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا نبيَّ بعده، ومن ادَّعى النبوَّة بعده، فهو كافر كاذب، ومن صدَّقه فهو كافر. ويَلزَم من هذه الشهادة أن تتَّبِعه في شرعه وسُنَّته، وأن لا تبتدع في دينه ما ليس منه"[1].

نشـــاط (٦)

قال العلماء إن الله تعالى خلق هذا العالم أجمع لأجل شهادة أن لا إله إلا الله، وضح المراد بكلامهم هذا بعد فهمك لمعنى هذه الكلمة.

.....

.....

قوله ﷺ:«وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»؛ أي: تأتي بهذه الأركان على وجهها الشرعيِّ بأركانها وشروطها؛ فهذه أركان الإسلام الخمسة التي بُني عليها

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (١/ ٣٥١).

الإسلام؛ عن عبد الله بن عمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1]. والمرادُ من هذا الحديث أنَّ الإسلامَ مبنيٌّ على هذه الخمس؛ فهي كالأركان والدَّعائم لبُنْيَانه.

(قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ)؛ أي: قال الرجل للنبيِّ ﷺ: صدقتَ فيما أجبتَ به، فعجب الحضور من الصحابة من الرجل؛ كيف يسأله ويصدِّقه.

نشـــاط (٧)

مر بك حديث بدء الوحي، وعلمت أنواع الوحي وصوره، فما صورة الوحي المستنتجة من حديث اليوم؟

.....

.....

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ)، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»؛ أي: أن تؤمن بهذه الأركان الستة، فهي أركان الإيمان؛ فقد فسَّر النَّبيُّ ﷺ الإيمان في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة التي في القلب، وقد ذكر الله تعالى الإيمان بهذه الأصول في مواضعَ من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٣-٤].

وقد أَدخَل في الإيمانِ الإيمانَ بالقدر خيره وشرِّه، ولأجل هذه الكلمة؛ روى ابنُ عمرَ هذا الحديث محتجًّا به على من أَنكَر القَدَر، وقد غلَّظ ابن عمر عليهم، وتبرَّأ منهم، وأخبر أنَّه لا تُقبَل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر.

(١) رواه البخاريُّ (٨)، ومسلم (١٦).

والإيمانُ بالقدر على درجتين:

إحداهما: الإيمان بأنّ الله تعالى سَبَق في علمه ما يَعمَله العباد من خير وشرٍّ، وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنَّة، ومن هو منهم من أهل النّار، وأَعَدَّ لهم الثَّواب والعقاب؛ جزاءً لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنّه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأنّ أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

والدَّرجة الثَّانية: أنّ الله خَلَق أفعال العباد كلَّها من الكُفر، والإيمان، والطَّاعة، والعصيان، وشاءها منهم"[1].

نشـــاط (٨)

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] استخرج أركان الإيمان التي ذكرت في هذه الآية الكريمة.

.....

.....

(قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ)، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ أي: الإحسان هو إحسان العبادة، والإخلاص فيها، والخضوع، وفراغ البال حال التلبُّس بها، ومراقبة المعبود، فإن لم تكن في عبادته كأنك تراه، فاستمرَّ على إحسان العبادة، واستحضر أنك بين يدي الله تعالى، وأنه مطَّلِع على سِرِّك وعلانيتك؛ ليحصل لك أصل الكمال.

وقد جاء ذكر الإحسان في القرآن في مواضع، تارةً مقرونًا بالإيمان؛ كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، وتارةً مقرونًا بالإسلام؛ كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وتارةً مقرونًا بالتّقوى؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقد يُذكَر مفردًا كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦]، "وقد ثبت في صحيح مسلم عن النّبيِّ

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ١٠٣).

ﷺ تفسير الزّيادة بالنّظر إلى وجه الله ﷻ في الجنَّة، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛ لأنّ الإحسان هو أن يَعبُد المؤمن ربَّه في الدّنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنّه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النَّظَرَ إلى الله عِيانًا في الآخرة... فقوله ﷺ في تفسير الإحسان: "أن تعبد الله كأنّك تراه..." إلخ، يُشير إلى أنّ العبد يعبد الله على هذه الصِّفة، وهي استحضار قُربه، وأنّه بين يديه كأنّه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهَيبة والتَّعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: "أن تخشى الله كأنّك تراه»، ويوجب أيضًا النُّصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها"[1].

والإحْسَان نوعان: إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنَّه يراه، فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه، وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها.

وإحسانٌ في حقوق الخَلْق... هو بذل جميع المنافع مِن أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوق يكون؛ ولكنَّه يتفاوت بتفاوت المُحْسَن إليهم، وحقِّهم ومقامهم، وبحسب الإحْسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحْسِن وإخلاصه، والسَّبب الدَّاعي له إلى ذلك[2].

"فإنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب، مَنَعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مُواقَعَتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صُحبة رفقته الخاصَّة، وعَيْشهم الهَنيء، ونعيمهم التَّامُّ، فإن أراد الله به خيرًا، أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين"[3].

قال بعض العارفين: اتّق الله أن يكون أهونَ النّاظرين إليك.

وقال بعضهم: خَفِ الله على قدر قُدرته عليك، واستحْيِ منه على قدر قُربه منك.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ)؛ أي: متى تقوم القيامة؟ قَالَ: "مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»؛ أي: لا يعلم متى الساعة أحد إلا الله، حتى الرسولُ ﷺ نفسه، وفيه إشارة إلى أنّ الله تعالى استأثر بعلمها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله: لا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا الله، وَلا

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ١٢٦).

(٢) "بهجة قلوب الأبرار" للسعديِّ (٢٠٤- ٢٠٦).

(٣) "الجواب الكافي" لابن القيم (٥٥-٥٦).

يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الارْحَامُ إِلَّا الله، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا الله، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا الله»[1].

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا)؛ أي: عن علامتها التي تدلُّ على اقترابها. وقد قسَّم العلماء هذه العلاماتِ التي أخبرَ بها النبيُّ ﷺ في الأحاديث إلى علاماتٍ صُغرى وعلاماتٍ كُبرى. أمَّا الأماراتُ أو العلاماتُ الصُّغرى فكثيرةٌ، وقد ظهَرَ أغْلَبُها، وفي هذا الحديث يَذكر النبيُّ ﷺ علامتينِ منها، وأمَّا العَلاماتُ الكُبرى، فقد أخبَرَ بها ﷺ في أكثرَ من موضعٍ، ولم تَظهَر بعدُ، وظهورُها يكون قُبَيْلَ نهاية الزمان، وقيام الساعة؛ ومنها: طلوع الشمس من مغربها، وظُهورُ المَهْديِّ المُنتظَرِ، وخُروجُ الدَّجَّال، ونُزولُ عيسى بنِ مَريَمَ، وغير ذلك.

وإخبارُ النبيِّ ﷺ بما سيكون في آخر الزمان من أحداث وعلامات تدُلُّ على قُرب قيام الساعة؛ ليكون المسلمُ على بيِّنةٍ من أمره، فيُعِدَّ للأمر عُدَّته من الإيمان والتصديق والتسليم، ويأخذَ حِذْره فيتَّخِذَ من الوسائل ما يُعينه على النجاة من هذه الفتن إنْ هو أدركَها.

قَالَ ﷺ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا" قيل: أي: أن تَكثُر السَّراريُّ حتى تلد الأمَة السُّرِّية بنتًا لسيِّدها، فتَصير البنتُ سيِّدةً لوالدتها؛ حيث إنها بنتُ السيِّد، وقيل غير ذلك.

والمرادُ بربَّتها سيِّدتها ومالكتها، وهذه إشارة إلى فتح البلاد، وكثرة جلب الرّقيق حتّى تَكثُر الإماء، ويَكثُر أولادهنَّ، فتكون الأمَة رقيقةً لسيِّدها وأولادُه منها بمنزلته؛ فإنَّ ولد السَّيِّد بمنزلة السَّيِّد، فيصير ولد الأمَةِ بمنزلة ربِّها وسيِّدها. وقيل: معناه أنّ الإماء تلدن الملوك.

قوله ﷺ: "وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»: الحافي: هو مَن لا نعل له، والعاري: هو مَن لا شيء على جسده، والمراد هنا: من ليس عليه ثياب أشراف الناس، والعالة: هم الفقراء، ورعاء الشاء: المراد الأعراب وأصحاب البوادي؛ فالمعنى: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تُبسَط لهم الدنيا؛ حتى يتباهَوْا في البنيان، والمراد: أنّ أسافل النّاس يصيرون رؤساءهم، وتَكثُر أموالهم حتّى يتباهَوا بطول البنيان وزخرفته وإتقانه. وفي قوله: "يتطاولون في البنيان" دليلٌ على ذمِّ التَّباهي والتَّفاخُر، خاصَّةً بالتَّطاول في البُنيان.

ومما ورد في الأحاديث من علامات الساعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى

(١) رواه البخاريُّ (٤٦٩٧).

إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: "أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟" قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: "إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»[4].

نشـــاط (٩)

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تبادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم، وأمر العامة".

- **اذكر علامات الساعة التي في هذا الحديث؟**

.....

.....

- **ما الفرق بينها وبين العلامات التي في حديث جبريل؟**

.....

.....

- **وهل هناك تعارض بين الحديثين؟ ولماذا؟**

.....

.....

(١) رواه البخاريُّ (٥٩).
(٢) رواه البخاريُّ (١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧).
(٣) رواه البخاريُّ (٧٠٦٢)، ومسلم (٢٦٧٢).
(٤) رواه مسلم (١٥٨).

وفي ردود النبيِّ ﷺ على من يسأل عن موعد الساعة توجيهٌ إلى أنه ليس مطلوبًا من المؤمن أن يَعرِف موعد يوم القيامة؛ بل المطلوب منه أن يتجهَّز لها بالطاعات والقُربات، وفيه توجيهٌ لأنْ يأخذَ المسلمُ حِذْرَه، ويُحصِّن نفْسه، ومَن هم تحتَ ولايته من شرِّ هذه الفتن ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ عن أَنَسِ بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ خَارِجَانِ مِنَ المَسْجِدِ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟"، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ، وَلا صَلاةٍ، وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، قَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"[1].

نشـــاط (١٠)

لساعة علامات صغرى وعلامات كبرى، لخِّص هذه العلامات واكتبها، واذكر الذي وقع منها والذي لم يقع.

.....

.....

(قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا). قال عمر: ثم ذهب الرجل السائل، فمكثتُ لا أدري من الرجل وقتًا غير قصير. ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"؛ أي: قال النبيُّ ﷺ: ذلك الرجل جبريلُ أتى ليبيِّن لكم أمر دينكم بسؤاله.

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

سُبْحَانَ مَن ملأَ الوجودَ أدلَّةً	ليلُوحَ ما أخفَى بها أَبْدَاهُ
سُبحانَ مَنْ أحْيَا قلوبَ عبادِهِ	بلوائحٍ من فَيْضِ نورِ هُداهُ
هَلْ بعدَ معرفةِ الإلَهِ زيادةٌ	إلَّا استدامةُ ما يُديمُ رِضَاه

(١) رواه البخاريُّ (٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩).

والله لا آوي لغَيْرِك إنَّه	حُرِمَ الهُدَى مَنْ لم تكنْ مأْوَاه

وقال الآخر:

وَيَا فَوْزَ مَن أدَّى مناسِكَ دينِه	وعاشَ سليمَ القلبِ وهْو طَهُورُ
وتابَعَ دِينَ الحقِّ فِقْهًا وحِكْمَةً	ولَبَّى نِداءَ الله وهْوَ شَكُورُ
وتَحْظى به بين الأرائكِ حُورُ	وتَحْظى به بين الأرائكِ حُورُ

وقال الآخر:

ارْتِفَاعُ الأَذَانِ فَوْقَ المَآذِنْ	فِي انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ وَاللَّيْلُ سَاكِنْ
دَعْوَةٌ تَحْمِلُ الحَيَاةَ إِلَى الْكَوْ	نِ وَسُكَّانِهِ قُرًى وَمَدَائِنْ
وَنِدَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْ	ضِ إِلَى ظَاهِرٍ عَلَيْهَا وَبَاطِنْ
وَلِقَاءٌ بَيْنَ المَلَائِكِ وَالإِيـ	ـمَانِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ آذِنْ
وَانْطِلَاقٌ إِلَى الْفَلَاحِ إِلَى الخَيْـ	ـرِ إِلَى الْحَقِّ وَالهُدَى وَالمَحَاسِنْ

وقال الآخر:

وَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا يَكُنْ لَهُ	نَصِيبٌ مِنَ الدَّارَيْنِ يَبْقَى وَلَا يَفْنَى
وَمَنْ يَبْتَغِ الدُّنْيَا مَصِيرَ مَآلِهِ	فَقَدْ خَسِرَتْ يُمْنَاهُ إِنْ طَفَّفَ الْوَزْنَا
لَنَا قِبْلَةٌ نُحْيِي ذُرَاهَا وَنَتَّقِي	حِمَاهَا وَنَهْوَى دُونَهَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا

٦. من هدايات الحديث:

١. وَضَع كفَّيْهِ على فَخِذَيْ نفسه، لا على فَخِذَيِ النبيِّ ﷺ، وذلك من كمال الأدب في جِلسة المتعلِّم أمام المعلِّم، بأن يجلس بأدب واستعداد لِما يَسمَع، واستماع لِما يُقال من الحديث[1].

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (١/ ٣٤٧).

٢. إن الدين درجات ومراتب، وكلما ارتفعت درجة ازدت من الله تعالى قربًا وحُبًّا، وكنت أكثر تعلُّق بدينك.

٣. ليس معنى أركان ألإسلام أن الإسلام ينحصر في تلك العبادات فحسب، بل هي أركانه التي لا يقوم بدونها، وسائر العبادات مكملة لهذا البناء، ويؤثر فقدها في تشويه البناء مع بقاء أركانه، بخلاف الأركان التي إن فُقدت انهدم البناءُ أصلًا.

٤. أعلى مراتب الدين مرتبة الإحسان، فحاول أن تحمِلَ نفسك على أن تعبد الله وكأنك تراه، وإن لم تكن تراه؛ فاعبد الله تعالى واعلم أنه يراك.

٥. إذا علمت أن الله تعالى يراك ويطلع عليك دائمًا، فيجب عليك أن تستحي أن تفعل معصية؛ حتى لا يراك الله تعالى وأنت تفعلها.

٦. الإسلام عظَّم شأن اليوم الآخر، وهو إن لم يخبر بوقته فقد أخبر بعلاماته، وهي تحفز على الاستذكار الدائم ليوم القيامة.

٧. أعطى الله سبحانه الملائكةَ القدرةَ على التشكُّل في صورة الآدميين وغيرهم.

٨. قيل لوهب بن منبِّه: أليس (لا إله إلّا الله) مِفتاحُ الجنّة؟ قال: "بلى؛ ولكن ليس مفتاح إلّا له أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلّا لم يُفتَح لك"[1]؛ يعني: وأسنان هذا المفتاح فعلُ ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى الله عنه.

٩. ليس المراد من نطق الشهادتين مجرَّد القول باللسان؛ فإن من الناس من يتلفَّظ بالشهادتين ولا يفعل شيئًا يدلُّ على إيمانه؛ ولكن المراد بذلك قول القلب واللسان؛ أي: أن يقول الإنسان بلسانه، بعد أن يُقِرَّ ذلك في قلبه، ويعتقده اعتقادًا جازمًا لا شكَّ فيه.

١٠. أداءُ الصلاةِ على وقتها أحبُّ الأعمال إلى الله، حيث تتَّجِه بالعبادة لله وحدَه، ترتفع وتتسامى عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء، حيث تُحنى الجباه لله لا للعبيد، والقلب يَسجُد لله حقًّا، ليلَ نهارَ يتَّصِل بربِّه خالق الخلق، يجد لحياته غايةً أعلى من أن تُستغرق في الأرض وحاجاتها، فيصير مؤمنًا ربَّانيَّ التصوُّر، ربَّانيَّ الشعور، ربَّانيَّ السلوك.

١١. الصّلاةُ أفضل الأعمال، وهي مؤلَّفة من كَلِم طيِّب وعمل صالح؛ أفضلُ كَلِمها الطّيِّب وأوجبُه القرآنُ، وأفضلُ عملها الصّالح وأوجبه السّجود[2].

(١) "صحيح البخاريِّ" (٢/ ٧١).

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٥).

١٢. لا يؤدِّي زكاةَ مالِه طيّبةً بها نفسُه إلّا مؤمن، وسببُ هذا أنّ المال تحبُّه النّفوس وتَبخَل به، فإذا سَمَحت بإخراجه لله – عزّ وجلّ – دلَّ ذلك على صحَّة إيمانها بالله، ووعده، ووعيده؛ ولهذا منعت العرب الزّكاةَ بعد النّبيِّ ﷺ، وقاتلهم الصّدِّيق رضي الله عنه على منعها[1].

١٣. "إنَّ الإحْسَان إذا باشر القلب، مَنَعه عن المعاصي، فإنَّ مَن عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبَّته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مُواقَعَتها، فإذا خرج مِن دائرة الإحْسَان، فاته صُحبة رفقته الخاصَّة، وعَيْشهم الهَنيء، ونعيمهم التَّامُّ، فإن أراد الله به خيرًا، أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين"[2].

١٤. إخبارُ النبيِّ ﷺ بما سيكون في آخر الزمان من أحداث وفِتَن وعلامات تدُلُّ على قُرب قيام الساعة؛ ليكون المسلمُ على بيِّنةٍ من أمره، فيُعِدَّ للأمر عُدَّته من الإيمان والتصديق والتسليم، ويأخذَ حِذْره، فيتَّخِذَ من الوسائل ما يُعينه على النجاة من هذه الفتن إنْ هو أدركَها.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٢٤).

(٢) "الجواب الكافي" لابن القيم (٥٥-٥٦).

ثالثا: التقييم

س١: أكمل الفراغات الآتية:

- جاء جبريل عليه السلام على هيئة ..... .
- عدد أركان الإسلام ..... وأركان الإيمان ..... والإحسان ..... .
- أركان الإيمان هي: الإيمان بـ ..... ، ..... ، ..... ، ..... ، ..... ، ..... .
- الحج من أركان ..... .
- من علامات الساعة ..... ، ..... ، ..... ، ..... ، ..... .

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته:
   ١. مرة واحدة.
   ٢. مرتان.
   ٣. ثلاث مرات.

2. العلاقة بين الإسلام والإيمان تتمثل في أن:
   ١. الإيمان أعلى رتبة من الإسلام.
   ٢. كلاهما متساويان.
   ٣. الإسلام أعلى رتبة من الإيمان.

3. من علامات الساعة:
   ١. أن تلد الأمة ربتها.
   ٢. أن تنشق الشمس.
   ٣. أن تغيب الشمس.

4. الإحسان هو:
   ١. أن تعبد الله كأنك تراه.
   ٢. ألا تشرك بالله.
   ٣. أن تقيم الصلاة في وقتها.

5. معنى كلمة ربتها في قول النبي ﷺ: "أن تلد الأمة ربتها".
   ١. أختها.
   ٢. أمها.
   ٣. عمتها.

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. معنى علامات الساعة: يوم القيامة. ( )
٢. لم ير النبي ﷺ أحدًا من الملائكة على صورته الحقيقية. ( )
٣. إن الإحسان أقل رتبة من الإيمان. ( )
٤. كل مسلم مؤمن، وليس كل مؤمن مسلم. ( )
٥. تقوم القيامة فجأة دون أي مقدمات. ( )

الحديث السابع:
الأنبياء الإخوة

الأنبياء الإخوة

عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أَوْلى الناس بعِيسى بنِ مَريمَ في الدنيا والآخرةِ، والأنبياءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أمهاتُهم شتَّى، ودِينُهم واحدٌ»، وزاد في رواية مسلم: "ليس بَيْني وبينَه نَبِيٌّ".

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

نشـــاط (١)

هل تعرف العلاقة التي بين الأنبياء عليهم السلام؟

- **اقرأ الحديث في صمت، ثم دون ما فهمته منه.**

.....

.....

- **ارجع إلى الحديث مرة أخرى بعد قراءة الشرح ثم دون ما فهمته منه مرة أخرى.**

.....

.....

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبن ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعلل ولاية النبي ﷺ لعيسى ابن مريم عليه السلام .
٦. تعلل سبب ذكر النبي ﷺ لعيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء.
٧. تستدل على أن الإسلام هو الدين الجامع لكل الأنبياء.

٨. تستدل على أنه لا يوجد نبي بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ.

٩. تؤمن بجميع الأنبياء والرسل.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

ولاية النبي لعيسى بن مريم	أخوة الأنبياء
الإسلام دين جامع للأنبياء	علاقة النبي بعيسى مريم

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد

رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، "يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها على ثَلاثمِائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين"[1]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرينِ، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[2].

نشـــاط (٢)

لأبي هريرة أحاديث كثيرة رواها عن النبي ﷺ، فهو أكثر الصحابة رواية للحديث، ابحث عن سبب ذلك الأمر، ثم اذكر حديثين رواهما أبو هريرة رضي الله عنه.

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
إخوة لِعَلَّاتٍ	من أبٍ واحد وأمهاتٍ مختلفة (إخوة لأب)
شتَّى	مختلفين متفرِّقين.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُرَيرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: "**أنا أَوْلى الناس بعِيسى بنِ مَريمَ في الدنيا والآخرةِ**»؛ أي: أنا أَخَصُّ النّاس به، وأقربُهم إليه؛ لأنه بشَّر بي قبل بَعثتي، وسيَتَّبِع شريعتي في آخر الزمان، وينصر

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

ديني، فكأننا واحد. "**والأنبياءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**»: استئناف فيه دليل على الحكم السابق، وكأن سائلاً سأل عما هو المقتضي لكونه أَوْلى الناس به، فأجاب بذلك.

قوله ﷺ: "**أمهاتُهم شتَّى، ودِينُهم واحدٌ**»؛ أي: إن أصل دينهم وإيمانهم واحد، وهو التَّوحيد، وأما فروع الشرائع، ففيها الاختلاف.

قوله ﷺ: "**ليس بَيْني وبينَه نَبِيٌّ**»: هذا أورده كالشَّاهد لقوله: إنّه أقرب النّاس إليه.

٤. الشرح المفصل للحديث:

يدعو الحديث إلى الإيمان بأنبياء الله جميعًا، وعدم التفرقة في الإيمان بهم جميعًا، ولا يصحُّ الإيمان بالله تعالى إلا بالإيمان بهم جميعًا، ولا يصحُّ إيمان من كَفَر بواحد منهم؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فهذا الحديثُ يُرشدنا إلى بيان الوَحْدة والاتِّفاق بين جميع الأنبياء عليهم السلام فإنهم جميعًا إخوةٌ، وهم أَوْلى الناس بعضهم ببعض؛ فإنهم وإن اختلفت أنسابهم، فإن الدِّين يجمُعهم جميعًا.

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

- **بين معنى الأخوة في الآية الكريمة، وكيفية تطبيقها مع المسلمين.**

.....

.....

- **ما معنى موالاة المسلمين في الدين.**

.....

.....

فقوله ﷺ: "**أنا أَوْلى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة**»؛ أي: أحقُّ الناس به، وأقربُهم وألصقهم به؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦].

وإنما ذكَر عيسى عليه السلام دونَ غيره من الأنبياء؛ لكونه ليس بينه وبينه نبيٌّ؛ كما في رواية مسلم، فهو أقرب المرسَلين إليه، ودِينه متَّصلٌ بدِينه، كما أن عيسى كان مُبَشِّرًا به، داعيًا الخَلْقَ إلى تصديقه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف: ٦][1].

نشـــاط (٤)

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف: ٦].

اقرأ هذه الآية قراءة جيدة، ثم اذكر الصلة التي بين نبي الله عيسى عليه السلام ونبي الله محمد ﷺ من خلال ما فهمت من الآية.

.....

.....

وقوله ﷺ : "**الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّات؛ أمهاتهم شتَّى، ودِينهم واحدٌ**" ليس مرادُ الحديث أنهم من أبٍ واحد، وأمَّهات مختلفة فِعلًا؛ إذ إن أمَّهاتِهم وآباءهم مختلفون، وما اختصاص عيسى بن مريم حينئذٍ من بينهم؟! وإنما أراد أن دينهم واحدٌ، وإن اختلفت شرائعُهم؛ فالدِّين الذي هو الأصلُ هو الإسلام وأصوله وأحكامه، التي قال الله ﷻ فيها: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ

(١) انظر: "تحفة الأبرار شرح مصابيح السنَّة" للبيضاويِّ (٣/ ٤٥٣)، "شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبيِّ (١١/ ٣٦٢٠).

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، وفي قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فهذه الأصولُ التي اتَّفقت عليها شرائعُ الإسلام عند الأنبياء جميعًا؛ وإنما اختلفوا في الأحكام؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][1].

لم يشرع الله لنبيٍّ من الأنبياء أن يعبد غير الله البتَّة؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فأمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرَّقوا فيه.

والإسلامُ هو الدين الذي أتت به جميع الأنبياء والرسل؛ قال نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال تعالى في حقِّ إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وفي حقِّ يعقوب عليه السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وعلى لسان أصحاب عيسى عليه السلام: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

فالإسلام يتضمَّن الاستسلامَ لله وحدَه؛ فمَن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومَن لم يستسلم له، كان مستكبِرًا عن عبادته، والمشرك به والمستكبِر عن عبادته كافرٌ، والاستسلامُ له وحْدَه يتضمَّن عبادته وحدَه وطاعته وحدَه، فهذا دين الإسلام الذي لا يَقبل الله غيرَه[2].

فلما كان الدين - وهو الإسلام - واحدًا، وهو الأصل والأساس، كان بمنزلة الأب الواحد، واختلاف الشرائع بينهم بمثابة اختلاف الأمَّهات التي هي مِن لقاح الأب الواحد[3].

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١٥/ ١٥٩).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٣/ ٩١).

(٣) انظر: "بدائع الفوائد" لابن القيم (٣/ ٢٠٢).

نشـــاط (٥)

قال تعالى:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]

عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ".

- **ما موقف الإسلام من عيسى ومن أمه عليهما السلام.**

.....

.....

- **ما واجبنا نحو نبي الله عيسى عليه السلام؟.**

.....

.....

- **ما التصرف الصحيح إذا وجدنا أحدا يسب أي نبي من أنبياء الله عليهم السلام؟**

.....

.....

لا يقبل الله دينًا غير دين الإسلام، لا من الأوَّلين ولا من الآخرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]. فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام؛ نصَّ الله تعالى في قرآنه عن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقال فيمن تقدَّم من الأنبياء: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، أما شرائع الأعمال والمأمورات، فقد تختلف، فهي بمنزلة الأمَّهات الشتَّى التي كان لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادَّة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متَّفق عليه.

وقوله: "ليس بيني وبينه نبيٌّ": بيانٌ للأوْلوية التي ذكَرَها النبيُّ ﷺ؛ فهو مع كونه مبشِّرًا به، ويَنزِل آخرَ الزمان حاكمًا بشريعته، فكذلك ليس بينهما فارقٌ زمنيٌّ.

وفيه دليلٌ على أنه ليس بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ نبيٌّ أو رسولٌ، وما ذُكر من أن الحواريين كانوا أنبياءَ بعد ذلك، أو أن الرسل الثلاثة الذين أرسلهم عيسى كانوا أنبياءَ؛ فكلُّه ضعيفٌ مردودٌ بهذا الحديث الصحيح. ولو قلنا بصحة ذلك، لكان المراد أنه ليس بينهما نبيٌّ مستقلٌّ بشريعة، والأول أصحُّ، والله أعلم[1].

ليس من التفريق بين الأنبياء في الإيمان بهم جميعًا تفضيلُ بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات؛ فأفضلهم أولو العزم، ومنهم من كلَّمه الله... إلخ؛ قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

قدْ جاءَ عيسى إلى التَّوحيدِ يُرْشِدُكمْ	فالنُّورُ هـذا هُـداهُ لا الدَّياجـيرُ
مبـشِّرًا بالرسـول المصطفـى، فـإذا	أتى البشيرُ ففي جوِّ الهُدى طِيروا

(١) انظر: "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقن (١٩/ ٥٦٨)، "فتح الباري" لابن حجر (٦/ ٤٨٩).

٦. من هدايات الحديث:

١. لقد أرسل الله تعالى جميعَ أنبيائه ورسله للدعوة إلى دين واحد، وهو الإسلام، وهم كلُّهم مسلمون، فأصل الدين واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت الشرائع.

٢. الأخوة في الدين هي أرفع معاني الأخوة.

٣. الغاية من إرسال الأنبياء جميعًا: دعوة الخلق إلى معرفة الحقِّ، وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم، ويَحسُن مَعادُهم، فهم متَّفقون في هذا الأصل، وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدِّية، والأوعية الحافظة له.

٤. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، لا يقبل الله دينًا غيره من أحد من العالمين، لا من الأوَّلين ولا من الآخرين؛ فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام.

٥. لا ينبغي للمؤمنين بعد أن آمنوا بالأنبياء جميعًا أن يشتغلوا بالتفضيل بينهم؛ خَشيةَ الزلل والانتقاص، وقد يجرُّ التفضيل إلى الطعن في غيره وهو ضد الإيمان بهم؛ ولهذا جاءت أحاديث بالنهي عن المفاضلة بين الأنبياء؛ كقوله ﷺ: " لا تُفَضِّلُوا بيْنَ أَنْبِيَاءِ الله»[1]؛ مع كون النبي ﷺ هو أفضلهم؛ قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2].

٦. إن الدين الإسلامي أمَرنا بتوقير الأنبياء جميعًا والإيمان بهم، فمن كفر وكذَّب نبيًّا واحدًا؛ فكأنه كذب بجميع الأنبياء.

٧. من علامات الساعة الكبرى نزول عيسى عليه السلام وقتله المسيح الدجال، وحين ينزل عيسى عليه السلام سيتبع شريعة نبينا محمد ﷺ.

٨. بشر عيسى عليه السلام قومه بنبينا محمد ﷺ؛ فحقيقة الإيمان بعيسى عليه السلام هو بالإيمان بمحمد ﷺ؛ فالمقام مقام اتباع الحق وليس العصبية والاستكبار والعناد.

٩. حين تنتمي إلى تاريخ وأمة؛ فتذكر أن تاريخك ممتد إلى كافة الأنبياء، وأنهم كلهم إخوة لنبيك الذي تؤمن به، وتنبعث مشاعرك بتقديرهم وحبهم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فاقتدِ بهداهم، وتداول مع أهلك وصحبك سيرتهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٤، ٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) رواه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذيُّ (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألبانيُّ الصحيحة (١٥٧١).

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. الشيء الذي يجمع بين الأنبياء هو:
   ١. النسب والدم.
   ٢. زمان بعثهم.
   ٣. أصل الدين.

2. الدليل على تبشير عيسى عليه السلام بنبي الله محمد ﷺ هو:
   ١. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]
   ٢. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]
   ٣. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

3. الأصل الذي أرسل به جميع الأنبياء والرسل:
   ١. شهادة أن لا إله إلا الله.
   ٢. شهادة أن محمدا رسول الله.
   ٣. الصوم والصلاة.

4. النبي الذي بعد عيسى عليه السلام:
   ١. محمد ﷺ.
   ٢. موسى عليه السلام.
   ٣. نوح عليه السلام.

5. أمرنا الله تعالى بـ:
   ١. عدم التفريق بين الأنبياء والرسل.
   ٢. تفضيل الأنبياء على بعض.
   ٣. عدم الإيمان إلا بنبينا محمد ﷺ

س٢: وصل كل نقطة بما يناسبها

م	القائمة (أ)	م	القائمة (ب)
أ	علاقة الأنبياء ببعضهم	١	الإيمان بهم جميعا.
ب	الرسول الذي كان قبل نبينا محمد ﷺ هو:	٢	جميع الأنبياء والرسل.
ج	واجب المسلمين نحو الرسل	٣	الإسلام.
د	الإسلام هو دين	٤	عيسى عليه السلام.
هـ	الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى	٥	أخوة في الدين

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. الأنبياء والرسل لا تجمعهم أي صلة قرابة. ( )
٢. النبي الذي كان قبل نبينا محمد ﷺ هو نوح عليه السلام. ( )
٣. جميع الرسل أرسلوا بالإسلام. ( )
٤. تفاصيل العبادات كانت تختلف باختلاف الرسل. ( )
٥. بشر موسى عليه السلام قومه بنبينا محمد ﷺ. ( )

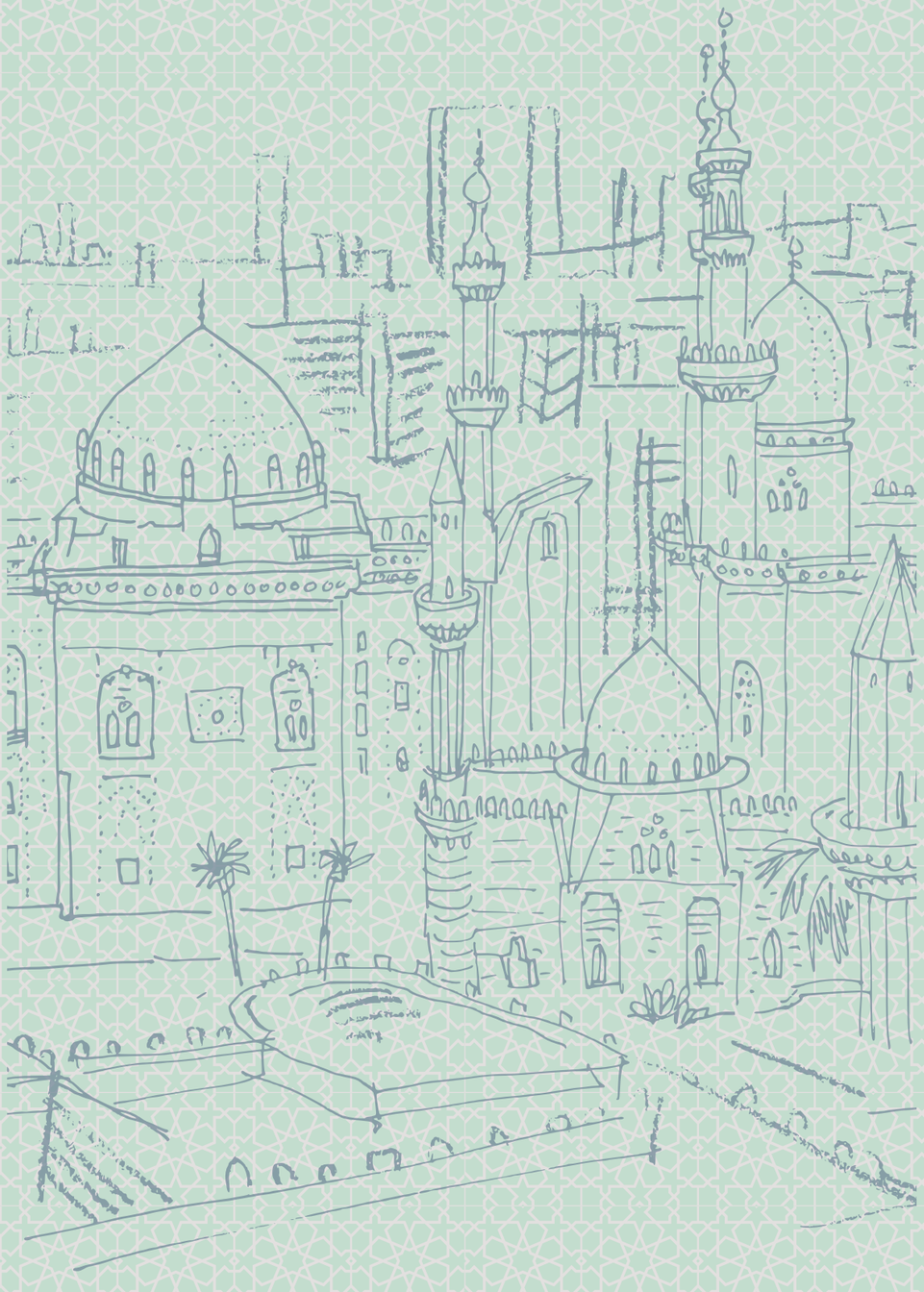

الحديث الثامن:

النار

النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ" قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»[1]. رواه البخاريُّ (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل تأملت يومًا النار التي يوقدها الإنسان؟ وهل أحسست بحرارتها التي تؤذي من يقترب منها؟ وهل أحسست بالعذاب الذي يلحق من يلمسها؟ أو هل رأيت أحدًا احترق بها؟

وهل تساءلت قبل ذلك ما مقام ومقدار نار الدنيا بجانب نار جهنم؟

فإذا أردت أن تعرف مقدار نار جهنم وحجمها ومقدار ألمها؛ فانظر في هذا الحديث.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب: يتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا بعد عون الله تعالى على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعدد خصائص نار الآخرة.
٦. تستدل على عظم الآخرة.
٧. تقارن بين نار الدنيا ونار الآخرة من حيث القوة وسبب الوجود.
٨. تحذر من نار الآخرة.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

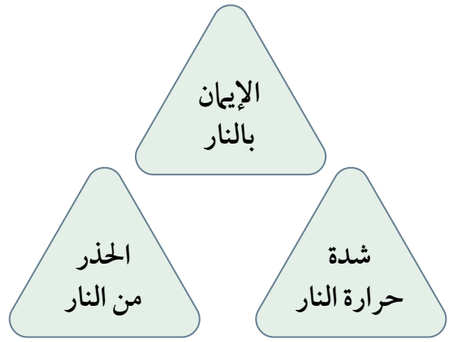

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ رضي الله عنه، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، "يروي عنه -كما قال البخاريُّ- أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا

منها على ثَلاثمِائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين" [1]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرينِ، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[2].

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
إِن كَانَت لكَافِيَة	إنَّ نار الدنيا لكانت كافية للعذاب.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ، أنه قال: "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ"؛ أي: لو جُمِع كلُّ ما في الوجود من النار التي يوقدها بنو آدم، لكان شدَّةُ حرِّها جزءًا صغيرًا بالنسبة إلى شدَّة حرارة نار جهنَّم، التي تفوق حرَّ نار الدنيا بسبعين جزءًا.

قَالُوا: (وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ الله)؛ أي: إن حرارة نار الدنيا لكافيةٌ للعذاب.

قال ﷺ: "فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا"؛ فأجابهم ﷺ بتأكيد أن شدَّة حرارتها تفوقها بتسعة وستين ضِعفًا، كلُّ جزء مثلُ حرِّ نار الدنيا.

٤. الشرح المفصل للحديث:

خَلَق الله الخير والشرَّ حتى يتمايز الناس، ويُقيم عليهم الحُجَّة؛ قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فيَصيرون إلى الجنَّة بفضله، أو إلى النار بعدله، وأعَدَّ الجنة للصالحين من عباده وأوليائه؛ قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وجعل النار من نصيب من كفروا به أو عصوا ولم يتوبوا أو يعفوا الله عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقد خَلَقها الله تعالى قبل خلق الإنسان؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَدْرُونَ مَا هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»[1].

نشـــاط (١)

اجمع من القرآن الكريم الآيات التي تحدثت عن عذاب النار ثم أذكرها هنا:

.....

.....

وفي الحديث يُخبر النبيُّ ﷺ عن صفة من صفات جهنَّمَ، فيقول ﷺ: "**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**»؛ أي: شدَّة حرارة ناركم هذه التي يُشعِلها الإنسان في الدنيا، ما هي إلا جزءٌ صغير من سبعين جزءًا من نار الآخرة، "يعني: أنه لو جُمِع كلُّ ما في الوجود من النار التي يوقدها بنو آدم، لكانت جزءًا من أجزاء جهنَّم المذكورة، وبيانُه: أنه لو جُمِع حطب الدنيا، فَوُقِد كلُّه حتى صار نارًا، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم، الذي هو من سبعين جزءًا، أشدَّ من حرِّ نار الدنيا، كما بيَّنه في آخر الحديث»[2].

وقد كان النبيُّ ﷺ يستعيذ من حرِّها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: "اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»[3].

وتخصيص العدد بسبعين غيرُ مراد؛ وإنما المراد المبالغة في الكثرة وشدَّة الحرِّ، ففي رواية لأحمد في مسنده: "هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ»[4]، "والجمع بين الروايتين بأن المراد المبالغةُ في الكثرةِ، لا العدد الخاصُّ، أو الحكم للزائد»[5].

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٢) "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم" للقرطبيِّ (٧/ ١٨٧).

(٣) رواه النسائيُّ (٥٥٢٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في "صحيح وضعيف سنن النسائيِّ".

(٤) رواه أحمد (٨٩٢١)، وصححه الألبانيُّ في "صحيح الجامع الصغير وزيادته" (٧٠٠٦).

(٥) "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر (٦/ ٣٣٤).

نشـــاط (٢)

تعاون مع صديقك في إعداد لوحة فيها بعض صور أهوال جهنم، ثم اذكر الدليل عليها.

أهوال جهنم	الدليل
سلاسل النار	
شجرة الزقوم	
طعام أهل النار	

فقال الصحابة رضي الله عنهم: (**وَالله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ الله**)؛ أي: والله لو أن شدَّة حرارة النار في الآخرة كشدَّتها في الدنيا، لكان ذلك كافيًا في إيلام الكفَّار والمذنِبين وعذابهم؛ فنارُ الدنيا تُحرق الأشجارَ والجماداتِ والحيوانات، وقادرةٌ كذلك على حرق الإنسان، فهَلَّا اكتفى بها ربُّ العباد.

فأجابهم النبيُّ ﷺ بقوله: "**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**»؛ أي: أن نار الآخرة كما فضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا في العدد، فضِّلت عليها كذلك في شدَّة الحرِّ بتسعة وستين ضعفًا، فالنار التي هي من صُنع الخالق ليست كالنار التي يُشعِلها الخلق. فـ«لا بدَّ من التفضيل لتمييز عذاب الله من عذاب الخلق؛ ولذلك أُوثر النار على سائر أصناف العذاب، زيادةً في تنكيل عقوبة أعداء الله تعالى، وغضبًا شديدًا على مَرَدة خلق الله من الجنِّ والإنس»[1].

نشـــاط (٣)

عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا".

بيِّن دلالة هذا الحديث على حجم النار وعِظَمها، والمشقة التي يجدها الملائكة في جرِّها

.....

.....

(١) "الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبيِّ (١١/ ٣٥٨٦).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

حكمتَ فأقسطْتَ في العالمينَ ... وبالعَدْلِ فليحْكُمِ الحَاكِمونَ
فنارُك يَصْلَى بها الكافرونَ ... وجناتُ عَدْنٍ بها المؤمنونَ
تباركتَ يا ربَّ هذا الوُجُودِ ... ومَن باسمِه سبَّح العَالمونَ

وقال الآخر:

لله يَوْمٌ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ ... وَتَشِيبُ مِنْه ذَوَائِبُ الأَطْفَالِ
يَوْمُ النَّوازِلِ والزَّلازِلِ وَالْحُوا ... مِلِ فِيه إِذْ يَقِذفْنَ بالأَحْمَالِ
يَوْمُ التَّغابُنِ والتَّبايُنِ والتَّنَا ... زُلِ وَالأُمُورِ عَظِيمَةِ الأَهْوَالِ
يومٌ ينادَى فيه كُلُّ مُضلَّلٍ ... بمقطَّعاتِ النارِ والأغلالِ
لِلْمُتَّقِينَ هُناكَ نُزْلُ كَرامَةٍ ... عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضرةٍ وَجَمالِ

٦. من هدايات الحديث:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَدْرُونَ مَا هَذَا؟" قَالَ: قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»[1].

٢. كان النبيُّ ﷺ يستعيذ من حرِّ جهنَّمَ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: "اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»[2].

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٢) رواه النسائيُّ (٥٥٢٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في "صحيح وضعيف سنن النسائيِّ".

٣. قال مُحَمَّدُ بنُ المُنْذر: لَمَّا خُلقت النَّار، فَزِعت المَلَائِكَة وطارت أفئدتهم، وَلَمَّا خُلق آدمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- سَكَن ذَلِك عَنْهُم[1].

٤. إياك والمعاصيَ، فاحذر من نارٍ، شديدٍ حرُّها، بعيدٍ قعرُها.

٥. عليك بصالح الأعمال؛ لتنجوَ من شدَّة الأهوال.

٦. إن نار الآخرة ليست كأي نار، بل هي نار مرَّ عليها ألف عام حتى احمرت، ومر عليها ألف عام حتى ابيضت، ومر عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة، نار وقودها الناس والحجارة، فعلى المكلف أن لا يغيب وصفها عن عقله، وسوف يستقيم أمره.

٧. على العاقل أن يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسبه الله تعالى في الآخرة، وأن يعاقب نفسه على تقصيره قبل أن يعاقبه الله يوم القيامة، فإن حساب الدنيا أيسر بكثير من حساب الآخرة.

٨. كان النبي ﷺ دائمًا ما ينذر أصحابه من النار وعذبها، كي يأخذوا حذرهم ويطلبوا العمل الصالح التي يبعدهم عنها.

٩. إذا عزمت على فعل ذنب فتذكر العقوبة التي بانتظارك؛ فهذا أكبر رادع لترك ذلك الذنب.

١٠. كثيرًا ما كان النبي ﷺ يسأل ربه الجنة ويستعيذ به من النار؛ فالأَوْلَى بنا -نحن المقصِّرين المذنبين- أن نُكثر من الاستعاذة من النار.

١١. قال بعض السلف: ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار، وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها، فكيف تهنا الدنيا من كانت هذه صفته.

١٢. دلَّ هذا الحديث على أنَّ النارَ مَخلوقةٌ وموجودةٌ الآنَ، وبيانُ عِظَمِ نارِها وحَرارتِها، أجارَنا الله تعالَى منها.

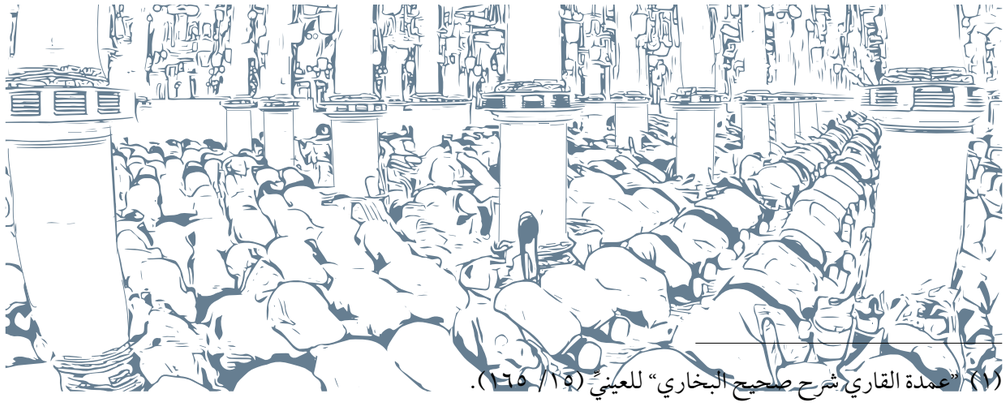

(١) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للعينيِّ (١٥/ ١٦٥).

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. وقود جهنم:
   ١. الناس والحجارة.
   ٢. الحطب.
   ٣. الشياطين.

2. يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها:
   ١. سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ.
   ٢. عشرون زمام.
   ٣. ألف ألف زمام.

3. إن طعام أهل النار:
   ١. الشوك والصديد.
   ٢. بقايا طعام أهل الجنة.
   ٣. ما يشتهيه أهلها.

4. خلق الله تعالى النار:
   ١. للمشركين فقط.
   ٢. للعصاة والمشركين.
   ٣. للعصاة فقط.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. نار جهنم أشد من نار الدنيا بسبعين مرة. ( )

٢. النار ليست موجودة الآن. ( )

٣. خلق الله تعالى النار لتدل على رحمته وكرمه. ( )

٤. لا يدخل جهنم إلا من كفر بالله. ( )

٥. وقود جهنم الماء. ( )

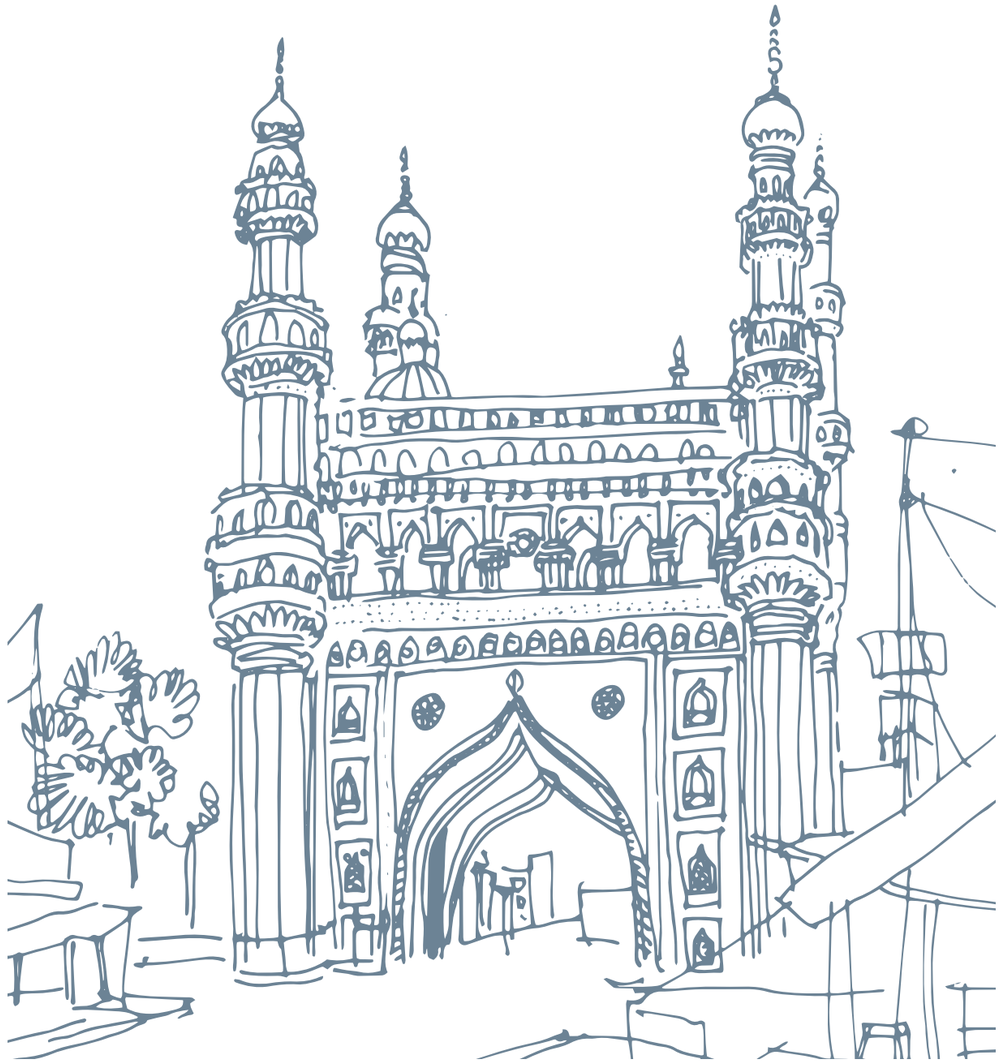

الحديث التاسع:

الجنة

الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ الله: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]". رواه البخاريُّ (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل فكرت يوما في نعيم الجنة؟

هل تأملت الصفات التي وردت فر القرآن الكريم عن الجنة؟

تخيل وتأمل ما شئت فإن نعيم الجنة أكبر من أن يخطر على عقل وقلب بشر، انظر في هذا الحديث لتعلم ذلك.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب: يتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا بعد عون الله تعالى على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تبرهن على شرف العبودية لله تعالى.
٦. تعدد صور نعيم أهل الجنة.
٧. تستدل على عظم نعيم أهل الجنة.
٨. إخفاء الله تعالى عن عباده الخير الكثير والنعيم الوفير الذي أعده لهم.
٩. تربط بين الجزاء والأعمال.
١٠. تستشعر عظم نعيم أهل الجنة.
١١. تتأمل نعيم الله الذي أعده لعبادة الصالحين.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

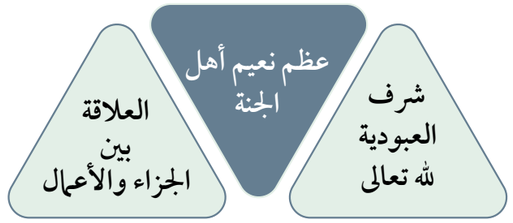

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

ترجمة راوي الحديث | سبب ورود الحديث | المعنى الإجمالي للحديث | الشرح التفصيلي للحديث | من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ رضي الله عنه، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، "يروي عنه -كما قال البخاريُّ- أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها على ثَلاثمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين" [(١)]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[(٢)].

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــاط (١)

هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة يتحدث عن نعيم الجنة.

ارجع إلى الأحاديث التي وصفت نعيم الجنة، ثم اذكر أحد الأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه في هذا الموضوع.

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
أَعْدَدْتُ	هيَّأتُ
خَطَرَ	مرَّ
قُرَّة أَعْيُن	أقرَّ الله عينَه؛ أي: أعطاه حتّى تَقَرَّ فلا تطمح إلى من هو فوقَه

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ أنه روى عن ربِّه تعالى أنه قَالَ: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]": في هذا الحديث القُدُسيِّ يَرْوِي النبيُّ ﷺ عن ربِّ العِزَّة - عزَّ وجلَّ - أن الله تعالى بعد أن وَعَد الصالحين من جِنس ما يعرفونه من مَطعَم ومَشرَب ومَلبَس ومَنكَح، وغيرِ ذلك، زادهم من فضله ما لا يعرفونه مما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا يَخطُر على القلب تصوير ما لم يَرَ ولم يسمع.

٤. الشرح المفصل للحديث:

خَلَق الله الخَلْقَ، وأرسل إليهم الرُّسل، وأنزل عليهم الكُتب، وبيَّن لهم طريقَي الخَير والشَّرِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ورتَّب لهم الثواب والعقاب على أعمالهم؛ فقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فيَصيرون إلى النار بعَدْلِه، أو إلى الجنَّة برحمتِه وفضله، وأَعَدَّ الله الجنَّة للصالحين من عباده وأوليائه، جَعَلَنا الله من أهلها؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأخفى لهم فيها ثَوَابًا لا يَعلَم مِقدارَه إلا الله تعالى؛ جزاءً على أعمالهم.

قال الحسن رضي الله عنه: "أخفى القَوم أعمالاً في الدنيا، فأخفى الله لهم ما لا عَيْنٌ رأت، ولا أُذن سَمعت"[1]، وجَعَل النَّارَ من نَصيب الكفَّار والمُذنبين من خلقه، أعاذنا الله منها؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

نشـــاط (٢)

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ما أكبر نعمة ينعم الله تعالى بها على الإنسان يوم القيامة، تدبر الآية جيدًا ثم اكتب ما فهمته منه:

.....

.....

وفي هذا الحديث القُدُسيِّ الذي يَرْوِيه النبيُّ ﷺ عن ربِّ العِزَّة - عزَّ وجلَّ - يُخبرنا فيه عن نعيم أهل الجنة، وما أَعَدَّه الله لعباده الطائعين؛ فيقول ﷺ: قَالَ الله: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ»؛ أي: خَلَقْتُ وهيَّأتُ للمؤمنين الطائعين الذين أَدَّوْا ما أَمَرهم الله به، وانتهَوْا عما نهى

(١) "تفسير الكشاف" للزمخشريِّ (٣/ ٥١٣).

الله عنه، وعَبَدوني حقَّ العبادة في الجنة نعيمًا ليس بعدَه نعيم، وصِفةُ هذا النعيم: أنه لم تَرَ أيُّ عَيْنٍ من عيون البشر مِثْلَه في الحُسن والجمال، كما لم تسمع أيُّ أُذن من آذانهم مِثْلَه في الطَّرَب والاستمتاع.

اعْلَمْ أن الله - عزَّ وجلَّ - وَعَد الصالحين من جِنس ما يعرفونه من مَطعَم ومَشرَب ومَلبَس ومَنكَح، وغيرِ ذلك، ثم زادهم من فضله ما لا يعرفونه فقال: "ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت" ولا يَخطُر على القلب تصوير ما لم يَرَ ولم يسمع، فقال: "ولا خَطَر على قلب بشر»[1]، وذلك فضل وإكرام من ربِّ العباد لعباده المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، "معناه: أنه تعالى ادَّخَر في الجنة من النعيم، والخَيرات، واللذَّات ما لم يَطَّلِع عليه أحدٌ من الخَلق، بطريق من الطُّرق، فذكر الرُّؤية، والسمع؛ لأن أكثر المحسوسات تُدرَك بهما، والإدراك ببقيَّة الحواسِّ أقلُّ، ولا يكون غالبًا إلا بعدَ تقدُّم رؤية، أو سماع، ثم زاد أنه لم يجعل لأحد طريقًا إلى توهُّمها بذِكر، وخُطور على قلب، فقد جَلَّت عن أن يُدرِكها فِكرٌ، وخاطر"[2]، فلم يترك فرصةً لأن يتصوَّر الناس أنهم قادرون على تخيُّل هذا النعيم الأبَديِّ في فكرهم مجرَّد تخيُّل، فقال: "وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»؛ أي: ولا مَرَّ على عقولهم وقلوبهم مجرَّد خاطر عن شيء من هذه النِّعم والمُلَذَّات التي أَعَدَّها الله للموحِّدين الصادقين في الجنة؛ فكلُّ ما يَدُورُ في ذِهنهم أو خاطرهم أو يتخيَّلونه إنما أَعَدَّ الله ما هو أفضلُ منه بكثير.

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

من خلال قراءتك للآية الكريمة، اذكر بعض المتع والملذات التي وعد الله تعالى بها.

.....

.....

.....

(١) "كشف المُشكِل من حديث الصحيحين" لابن الجوزيِّ (٣/ ٤٣٣).

(٢) "فَيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي (١١/ ٣٥٨٦).

قال ﷺ: "فَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]"؛ أي: مِصداقُ هذا الكلام قولُ الله - عزَّ وجلَّ - في سورة السجدة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: فلا تَعلَم أيُّ نفسٍ - كائنةً من كانت - ما أخفاه الله تعالى عنهم، وخبَّأه لهم من الخير الكثير، والنَّعيم الوَفير، والسعادة والسُّرور، والراحة والاطمئنان.

"والمعنى: لا تعلم النفوس - كلُّهنَّ، ولا نفس واحدة منهنَّ، لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل - أيَّ نوع عظيم من الثواب ادَّخر الله لأولئك، وأخفاه من جميع خلائقه، لا يَعلَمه إلا هو، ممَّا تَقَرُّ به عُيونهم، ولا مَزيد على هذه العِدَة ولا مَطمَح وراءها"[1].

وهذا النعيم الذي أخفاه ربُّ العالمين إنما هو بسبب أعمالهم التي كانوا يتقرَّبون بها إلى الله تعالى في الحياة الدنيا، فنعيمُ الجنة لا يتصوَّره عقل؛ ففي الجنة شجرةٌ يَسير الراكب في ظلِّها مائةَ عام لا يقطعها؛ قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا"[2]، والنعيمُ القليل فيها أفضل من مَلذَّات الدنيا بأكملها؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[3].

لذا؛ كان الفوز كلُّه في دخول الجنة، والنجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

نشـــاط (٤)

تعاون مع صديقك في إعداد لوحة فيها بعض صور نعيم الجنة، ثم اذكر الدليل عليها.

نعيم الجنة	الدليل
أنهار الجنة	
خمر الجنة	
الحور العين	
رؤية الله تعالى	

(١) "تفسير الكشاف" للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٢٥١).

(٣) رواه البخاريُّ (٣٢٥٠).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

اعْمَلْ لِـدَارِ الْبَقَا رِضْـوَانُ خَازِنُهَا	الجَـارُ أحمَـدُ والرحمـنُ بانِيهـا
أرضٌ لَهَا ذَهَـبٌ والْمِسْـكُ طِينَتُها	والزَّعْفَـرَانُ حَشِـيشٌ نَابِـتٌ فيها
أنهارُهـا لَبَنٌ مَحْـضٌ ومِنْ عَسَـلٍ	وَالخَمْـرُ يَجْـري رَحِيقًـا في مَجاريها
مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ بِالْفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا	بِرَكْعَـةٍ في ظَـلامِ اللَّيْـلِ يُخْفِيهـا
أَوْ سَـدِّ جَوْعَةِ مِسْـكِينٍ بِشَـبْعَتِهِ	فِي يَـوْمِ مَسْـغَبَةٍ عَـمَّ الغَـلا فِيها

وقال الآخر:

وإِنْ ضَاقَتِ الدُّنيـا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا	وَلَم يَـكُ فِيهـا مَنْـزِلٌ لَـكَ يُعْلَـمُ
فَحَـيَّ عـلى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فَإِنَّها	مَنَازِلُـكَ الأُولَى وفِيهَـا المُخَيَّـمُ

٦. من هدايات الحديث:

١. سبحان الله! يوفِّق العبدَ لطاعته، ويَجزيه على ذلك من كرمه، وكلُّ ما عَمِله العبد الصالح لا يساوي شُكر بعض النِّعَمِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى!

٢. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا"[1].

٣. أقلُّ نعيم في الجنة أفضلُ من مَلذَّات الدنيا بأكملها؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"[2].

٤. اصبر على مشقة الأعمال الصالحات؛ فهي طريقك للجنة، وما فيها من النعيم والمُلَذَّات.

(١) رواه البخاريُّ (٣٢٥١).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٢٥٠).

٥. لما خُلقَ آدمُ عليه السلام أُسكِنَ هو وزوجتُه الجنةَ، ثم أُهبِطا منها، ووُعدا بالرجوع إليها، وصالح ذريَّتهما، فالمؤمن أبدًا يحِنُّ إلى وطنه الأول[1].

٦. في هذا الحديث دلالة على أن الجنة مخلوقة، وأنها موجودة الآن.

٧. كان النبي ﷺ يكثر من المبشرات لأمته، وأخبرهم بما أعده الله تعالى للصالحين منهم؛ حتى يكثروا من الصالحات، ويتجهزوا للرحمات.

٨. كان النبي ﷺ ينذر أمته ويبشرهم؛ فعلى الداعية أن يكون كلامه مقسَّما بين الترغيب والترهيب، فلا يبشر دائمًا ولا يُنذر دائمًا، بل يكون وسطًا بين هذا وذاك.

٩. تنكير كلمتي (عين- أذن) في سياق النفي يدل على العموم والشمول، أي: إن جميع الأعين والآذان لم تره ولم تسمع به.

١٠. إن الله تعالى قصر هذا الجزاء على عباده الصالحين، فلن تبلغ هذه المنزلة إلا إذا كنت عبدًا صالحا لله تعالى.

١١. هذا الحديث فيه حث على الطاعة والعمل الصالح والاجتهاد في العبادة، حتى ينال المسلم النعيم الأبدي الذي لا ينقطع.

١٢. إن عقول البشر قاصرة، لا تستطيع تصور الأمور الغيبية، فمهما حاول الناس أن يتخيلوا نعيم الجنة أو عذاب النار فلن يستطيعوا.

١٣. إن فاكهة الجنة وطعامها نعرف بعض أسمائها، ولكن لا نعرف حقيقتها، فقد ذكر الله تعالى أن من فواكهها الرمان، ولكنه ليس الفاكهة المعروفة لدينا، بل له طعم خاص وشكل خاص أعده الله تعالى لأهل الجنة، فلا نعرف منه إلا الاسم فقط.

(١) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٣٧٩).

ثالثا: التقييم

س١: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. نعيم الجنة يدوم لمدة يسيرة ثم ينقطع. ( )

٢. أعظم نعيمة الجنة النظر إلى وجه الله تعالى. ( )

٣. هناك من البشر مَن اطلع على جميع ما في الجنة من نعيم وعرفه. ( )

٤. إن الله تعالى أعد الجنة لجميع الخلق. ( )

٥. إن طعام الجنة يشترك في الشكل والطعم مع طعام الدنيا. ( )

س٢: أكمل الحديث الشريف:

عَنْ أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ الله: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي ..... مَا لا عَيْنٌ ..... وَلا ..... سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى ..... بَشَرٍ، فَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]".

س٣: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. معنى كلمة قلب في قوله: "ولا خطر على قلب بشر".
   ١. عقل.
   ٢. عين.
   ٣. أذن.

2. أعد الله تعالى الجنة.
   ١. لعباده الصالحين.
   ٢. للملائكة.
   ٣. لجميع الناس.

3 أعظم نعيم الجنة.

١. النظر إلى وجه الله تعالى.

٢. الطعام والشراب.

٣. الحور العين.

4 عدد أبواب الجنة.

١. ثمانية.

٢. خمسة.

٣. سبعة.

5 طعام الجنة.

١. يشبه طعام الدنيا.

٢. مثل طعام الدنيا.

٣. يختلف عن طعام الدنيا

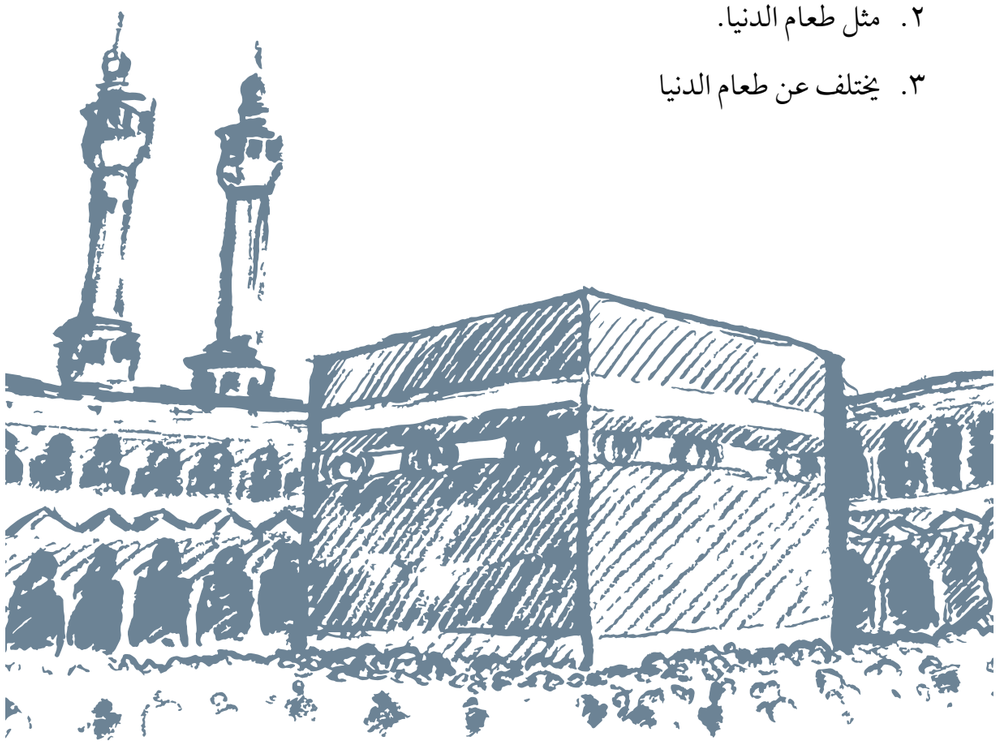

الحديث العاشر:
القدر الحكيم

القدر الحكيم

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كنتُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يومًا، فقال: "يا غلامُ، إنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ:

احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْه تُجاهَكَ.

إذا سألْتَ فاسأَلِ الله، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله.

واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لوِ اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ، لم يَنفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله لكَ.

ولوِ اجْتَمَعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله عليكَ .

رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ". (رواه الترمذيُّ (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصحَّحه عبد الحقِّ في "الأحكام الوسطى" (٤/ ٢٨٥)، والألبانيُّ في "صحيح الجامع الصغير وزيادته" (٢/ ١٣١٧)).

وفي رواية: "تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا". (رواه أحمدُ (٢٨٠٣)).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إذا أردت أن تسير في طريق السعادة الأبدية، حيث راحة البال، وسلامة الدين، وصفاء القلب، وعدم تعلق النفس بشيء ولا أحد إلا الله تعالى، والبعد عن إرضاء الناس على حساب الدين والأخلاق، فهذا الحديث يرشدنا إلى هذا الطريق، ويوضح لنا ذلك المسلك العزيز، حيث بيَّن فيه النبي ﷺ أن الأمور كلها بيد الله تعالى ولا أحد من البشر يملك الضر أو النفع إلا بإذن وتقدير منه ﷻ. فتدبر هذا الحديث وتأمله.

قال بعض العلماء: تدبَّرتُ هذا الحديث، فأدهشني وكدتُ أَطيشُ، فوا أسفًا من الجهل بهذا الحديث، وقلَّة التفهُّم لمعناه![1]

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح معاني مفردات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تفسر كيف يحفظ العبد ربه سبحانه.
٦. تشرح كيف يحرز المسلم حفظ الله تعالى له.
٧. تستدل من الحديث على الإيمان بالقدر.
٨. تستنج أثر الإيمان بالقدر في سلوك المسلم.
٩. تبرهن على أهمية تعليم العقيدة للصغار.
١٠. توقن بأن النفع والضر بيد الله وحده.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٦٢).

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو العبَّاس، عبدُ الله بنُ عبَّاسِ بنِ عبد المطَّلِب، القُرَشيُّ، الهاشميُّ، المَدَنيُّ، وُلد بـ"شِعب بني هاشم" قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وهو رضي الله عنه حَبر الأمَّة وتُرجمان القرآن، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وكان يُقال له: البَحر؛ لكثرة عِلمِه؛ فقد دعا له النبيُّ ﷺ بقوله: "اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[1]، وهو من الصحابة المُكْثِرين من رواية الحديث، روى (١٦٩٦) حديثًا، أسلم صغيرًا، ولازَم النبيَّ ﷺ بعد الفتح وروى عنه، وكُفَّ بصرُه في آخِرِ عُمُره، وتُوفِّيَ بالطائف سنةَ (٦٨هـ)[2].

(١) رواه البخاريُّ (١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٧).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البرِّ (٣/ ٩٣٣)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٢٩١).

نشـــاط (١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: "اللهمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ".

بين دلالة هذا الأثر على قرب ابن عباس رضي الله عنهما من النبي ﷺ وحبه له، وكيف استجاب الله تعالى لدعاء النبي ﷺ وحققه في ابن عباس؟

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
احفظ الله يحفظْكَ، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَك	المعنى: إن تحفظِ الله يحفظْكَ وتجدْه تجاهك.
رفعت الأقلام وجفت الصحف	هذه كناية عن نفوذ المقادير وكتابتها والفراغ متها؛ فإن الإنسان إذا كتب شيئا وفرغ من كتابته، وبعُد عهده به، رفعت الأقلام التي كتبت بها، وجف المداد الذي على الصحيفة المكتوبة عليها.

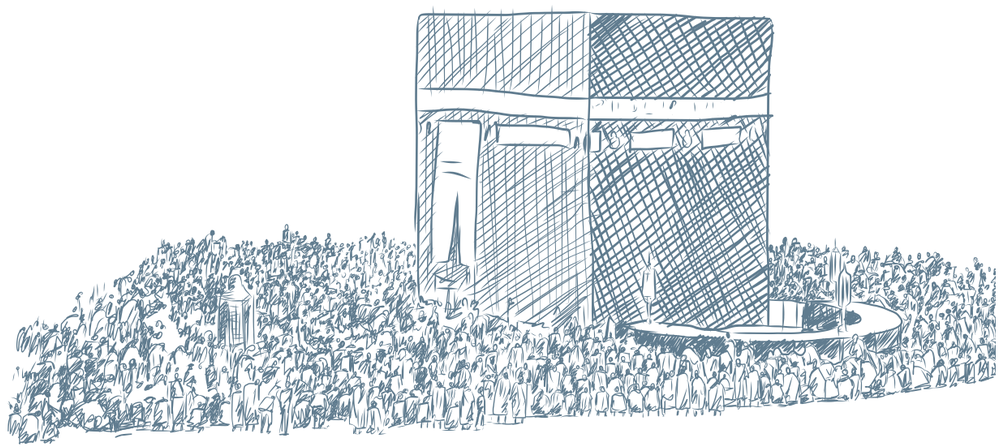

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي ابن عبَّاسٍ ﷺ: "**كنتُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يومًا**»: يُحتمَل أنه كان راكبًا خلفَه، أو ماشيًا خلفَه. "فقال: يا غلامُ»: لأن ابن عباس ﷺ كان صغيرًا. "**إنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ**»؛ أي: فانتبه لها، واحفظها، وافهمها، وبلِّغها، ينفعْك الله بها، وهذه الكلمات هي:

«**احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْه تُجاهَكَ**»؛ أي: احفظ حدودَه وحقوقَه، مؤتمرًا بأوامره، منتهيًا عن نواهيه، يَحفَظْك في دينك ونفسك وأهلك ومالك، ووجدتَه معك بحفظه أينما توجَّهتَ.

«**إذا سألْتَ فاسأَلِ الله**»: لا تسأل المخلوق شيئًا، ولو سألتَه ما يَقدِر عليه، فهو سبب، والمسبِّب هو الله تعالى. "**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله**»: وتوكَّلْ عليه، يُعِنْكَ، وإذا استعنتَ بمخلوق فيما يَقدِرُ عليه، فاعتقد أنه سببٌ، وأن الله هو الذي سخَّره لك.

«**واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لوِ اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ، لم يَنفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله لكَ، ولوِ اجْتَمَعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله عليكَ**»: فإنَّ نَفْعَ الخلق للإنسان أو ضُرَّهم له، هو من الله في الحقيقة؛ لأنه هو الذي كَتَبه له أو عليه، فاعتمد على الله تعالى، وارضَ بقضائه وقَدَره، واعلم أن الخلق مهما قَوُوا وكَثُروا، لا يجلبون خيرًا، ولا يدفعون ضرًّا، إلا بإذن الله تعالى.

«**رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصحُفُ**»: يعني أن ما كتبه الله تعالى قد انتهى؛ فالأقلام رُفِعت، والصُّحف جَفَّت، ولا تبديل لكلمات الله.

٤. الشرح المفصل للحديث:

في هذا الحديث وصيَّةٌ عظيمةٌ من النبيِّ ﷺ لابن عبَّاس ﷺ خاصَّةً، ولأمَّته عامَّةً، بيَّن فيها النبيُّ ﷺ ثمراتِ مراقبةِ الله ﷻ وتقواه، وركَّز على أمور عظيمة من أمور العقيدة، وهي الدعاءُ، والاستعانةُ بالله وحدَه، والإيمانُ بالقضاء والقدر.

ولأن هذا الحديث جمَعَ من الوصايا المُهمَّة والقواعد الكلية لأمور الدين؛ فقد عُنِيَ به أهلُ العلم، وجعلوا عليه مدارَ التوحيد، ولا عَجَبَ أن يُفرِد له الحافظ ابن رجب كتابًا خاصًّا في شرحه، وذِكْر فوائده، وهو كتاب: "نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ ﷺ لابن عبَّاس".

استهلَّ النبيُّ ﷺ كلامَه بقوله: "يا غلامُ، إني أُعلِّمكَ كلماتٍ»، مما يجذِب الانتباهَ، ويَسترعي الفَهْم، ويَجلِب النَّظَرَ، وهذا مما ينبغي على الداعية اتِّباعُه، أن يستهلَّ كلامَه بما يجعل المتلقِّيَ متشوِّقًا إليه، ومن ذلك النداء.

نشـــاط (٢)

الصغار هم مستقبل الأمة الواعد؛ لذا يجب أن يُعَدُّوا إعدادًا جيدا من قِبَل آبائهم ومعلميهم ومن حولهم.

قدِّم بعض التوجيهات التربوية لأطفالك فيها إرشاد ديني وتنشئة عقدية لهم، واكتبها هنا:

.....

.....

ثم قال: "احفظ الله»؛ أي: احفظ حدودَه وحقوقَه، فكن مطيعًا لربِّك، مؤتمرًا بأوامره، منتهيًا عمَّا نهاك عنه؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢-٣٣][1].

قال بعض السَّلَف: "مَن اتَّقى الله، فقد حفِظ نفْسَه، ومَن ضيَّع تقواه، ضيَّع نفْسه، والله الغنيُّ عنه"[2].

وفي قوله ﷻ: "يحفظك" مكافأة؛ إذِ الجزاءُ من جنس العمل، فإن حَفِظْتَ الله حفظكَ الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وحفظُ الله للعبد على نوعين:

النوع الأول: حفظُ العبدِ في بَدَنه، ومَعَاشِه، ومالِه ودُنياه؛ قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

كان بَعْضُ الْعُلَمَاء قد جَاوَزَ الْمِائَةَ سَنَةً، وهو مُتَمَتِّعٌ بقُوَّته وعقله، فَوَثَبَ يومًا وَثْبَةً شديدة، فَعُوتِبَ في ذلك، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصي في الصِّغَرِ، فحفظها الله علينا في الْكِبَرِ. وعَكْسُ هذا أن بعض السَّلَفِ رأى شَيْخًا يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيفٌ ضَيَّعَ الله في صِغَرِهِ، فَضَيَّعَهُ الله في كِبَرِهِ[3].

---

(١) انظر: "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٧٦)، "نور الاقتباس في وصية النبيِّ لابن عبَّاس" لابن رجب (ص: ٤١).

(٢) "نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ لابن عبَّاس" لابن رجب (ص ٥٤).

(٣) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٦٦).

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

اذكر أثر هاتين الآيتين في حفظ العبد لربه ومراقبته إياه وخشيته منه.

.....

.....

إنَّ حفظ الله للعبد لا يقتصر عليه وحدَه؛ بل يَشمَله وعيالَه وأهله؛ قال ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: "إِنَّ الله ليحفظُ بِالرجل الصالح ولدَه، وولدَ ولدِه، وَالدُّوَيْرَاتِ التي حَوْلَه، فما يزالون في حفظ من الله وسِتْرٍ"[1].

بل إن حفظَ الله ﷻ ليَشمَلُ أهلَه بعد موته؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فأرسل الله ﷻ موسى والخَضِر؛ ليَبنِيَا الجدار المائل؛ كي يحفظ الله مال الغُلامينِ الصغيرينِ؛ لأن أباهما كان صالحًا.

قال سعيد بن المسيِّب لابنه: "إني لأَزيد في صلاتي من أجْلك؛ رجاءَ أن أُحفَظَ فيكَ، وتلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]"[2].

والنوع الثاني من الحفظ: هو الحفظ في الدِّين، بأن يثبِّت الله ﷻ عبدَه على طاعته، ويصرِفَه عن معصيته، وهو أعظم نوعَي الحفظ؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ذكر الحسن البصريُّ ﷺ أهلَ المعاصي فقال: هانوا عليه فعَصَوْه، ولو عزُّوا عليه لعصَمَهم.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٦٧).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٦٧).

نشـــاط (٤)

وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجرُّه إلى النار[1].

اذكر مدلول هذا القول في محبة الله للعبد المؤمن وحفظه له، وإرادة تخليصه من النار.

.....

.....

وقوله: "**احفظ الله تَجِدْه تُجَاهك**" فيه استشعارُ المعيَّة الخاصَّة لله ﷻ ففي الحديث القُدسيِّ عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله قال: مَن عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُهُ، كنتُ سمْعَه الذي يسمَع به، وبصرَه الذي يُبصِر به، ويده التي يبطِشُ بها، ورِجْله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذَني لأُعِيذنَّه»[2].

ثم يذكر النبيُّ ﷺ بابًا عظيم من أبواب العقيدة، وهو الطلب والقصد والدعاء، فيقول: "إذا سألتَ فاسألِ الله»، السؤال هو الدعاء، وفي الحديث: عن النُّعمان بنِ بَشير ﷺ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: "الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][3].

وإنما نهى النبيُّ ﷺ عن سؤال غير الله؛ لأن السؤال عبادةٌ من العبادات التي لا يجوز صَرْفُها لغير الله؛ لأن السؤال فيه إظهار الذلِّ من السائل، والْمَسكَنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعترافُ بقُدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونَيل المطلوب، وجلب المنافع، ودَرْءِ الْمَضارِّ، ولا يَصلُح الذلُّ والافتقار إلا لله وحدَه؛ لأنه حقيقةُ العبادة[4].

(١) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٧٠).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

(٣) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذيُّ (٣٢٤٧)، والنسائيُّ في "السنن الكبرى" (٣٨٢٨)، وقال الترمذيُّ: حسن صحيح، وصحَّحه الألبانيُّ في "صحيح سنن أبي داود" (٣٢٤٧).

(٤) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٨١).

ولأن العبد عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مَصَالحه، ودَفْعِ مَضارِّه، ولا مُعِينَ له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ فمَن أعانه الله فهو المُعان، ومَن خذَله فهو المخذول؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، فإذا ترك الإنسانُ سؤالَ مَن يَقدِر على حاجته إلى مَن لا يقدر، كان ذلك حُمقًا وغباءً.

والله سبحانه يحب أن يُسأل ويُرغب إليه في الحوائج، ويُلَحَّ في سؤاله ودعائه، ويغضب على مَن لا يسأله، ويستدعي مِن عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلِّهم سُؤْلَهم من غير أن يَنقُص من مُلكه شيءٌ، والمخلوق بخلاف ذلك كلِّه: يكره أن يُسأل؛ لعجزه وفَقره وحاجته، ولهذا قال وهب بن منبِّهٍ لرجُل كان يأتي الملوك: ويْحَكَ! تأتي مَن يُغلق عنك بابه، ويُظهر لك فقره، ويواري عنك غِنَاه، وتدع مَن يفتح لك بابه نصفَ الليل ونصفَ النهار، ويُظهر لك غِناه، ويقول: ادْعُني أستجبْ لك!

وفي قوله ﷺ: "وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله" تأكيدٌ على توحيد الله ﷻ في الطلب؛ فلا يُرجى غيره، ولا يُستعان بغيره، ولا يُتعلَّق بغيره في جميع أموره، ما قلَّ منها وما كثُر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣][1].

وقد كان النبيُّ ﷺ أحرصَ الناس على تعليم الأمَّة الاستعانةَ بالله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: "احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعِنْ بالله ولا تَعجِزْ»[2]، وعن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه، أن رسول ﷺ أخذ بيده وقال: "يا معاذُ، والله إني لأُحِبُّكَ، والله إني لأُحبكَ»، فقال: "أوصيكَ يا معاذُ، لا تدعَنَّ في دُبر كلِّ صلاة تقول: اللهم أعنِّي على ذِكركَ وشُكركَ وحُسْن عبادتكَ»[3].

وقوله ﷺ: "إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله" مُنتزَعٌ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فإن الله ﷻ لَمَّا أمَر بطاعته وحفظ حقوقه، أرشدَ بعدها إلى دعائه وحدَه، والدعاءُ هو العبادة، ثم أرشدَ بعدها إلى الاستعانة بالله وحدَه. وهي كلمة عظيمة جامعة، يقال: إن سرَّ الكتب الإلهية كلها ترجِع إليها[4].

(١) انظر: "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائيُّ (١٣٠٣)، وصحَّحه النوويُّ في "خلاصة الأحكام" (١/ ٤٦٨)، والألبانيُّ في "صحيح سنن أبي داود" (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: "نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ لابن عبَّاس" لابن رجب (ص ٩٣).

نشـــاط (٥)

رأيتَ صديقًا لك إذا وقع في مصيبة أو أصابه هم؛ شكا إلى الناس واستعان بهم، ونسي أن له ربًّا هو أحق بالقصد والاستعانة.

قدم له نصيحة، وبين له الفرق بين الاستعانة بالخالق والاستعانة بالمخلوق.

.....

.....

وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى يحبُّ أن يُسأل ويُرغب إليه في الحوائج، ويُلَحَّ في سؤاله ودعائه، ويَغضُب على مَن لا يسأله، ويستدعي مِن عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلِّهم سُؤْلَهم من غير أن يَنقُص من مُلكه شيءٌ، والمخلوق بخلاف ذلك كلِّه؛ يكره أن يُسأل؛ لعجزه وفَقره وحاجته.

لقد حضَّ النبيُّ ﷺ على الاستعانة بالله في أحاديثَ كثيرةٍ؛ منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: "احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعِنْ بالله ولا تَعجِزْ»[1]، وعن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه، أن رسول ﷺ أخذ بيده وقال: "يا معاذُ، والله إني لأُحِبُّكَ، والله إني لأحبكَ»، فقال: "أوصيكَ يا معاذُ، لا تدعَنَّ في دُبر كلِّ صلاة تقول: اللهم أعنِّي على ذِكركَ وشُكركَ وحُسْن عبادتكَ»[2].

وسؤال الحاجات يكون لله فقط، ولا يُسأل المخلوق شيئًا، وإذا سُئل المخلوق ما يَقدِر عليه، فعلى أنه سبب من الأسباب، وأن المسبِّب هو الله تعالى، لو شاء لَمَنعه من إعطاء السؤال؛ فالاعتماد على الله تعالى وحدَه. فمن نَقْصِ التوحيد أن يسأل الإنسان غير الله؛ ولهذا تُكره المسألة لغيرِ الله تعالى في قليل أو كثير، والله سبحانه وتعالى إذا أراد عونك، يسَّر لك العون، سواء كان بأسباب معلومة أو غير معلومة.

فالاستعانة بالمخلوق إنما تجوز فيما يَقدر عليه من الأمور الدنيوية؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "كل سُلَامَى عليه صدقةٌ، كلَّ يوم يعين الرجل في دابته، يحامله عليها، أو يَرفع عليها متاعَه صدقةٌ»[3].

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائيُّ (١٣٠٣). وصحَّحه النوويُّ في "خلاصة الأحكام" (١/ ٤٦٨)، والألبانيُّ في "صحيح سنن أبي داود" (٥/ ٢٥٣).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

وقوله ﷺ: "**واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لوِ اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ، لم يَنفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتَبَه اللهُ لكَ، ولوِ اجْتَمَعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتَبَه اللهُ عليكَ**" فيها خلاصةُ الحديث كله؛ فإن العبد إذا علم أنَّ أمره كلَّه بيد الله ﷻ لا يستطيع أحدٌ من الخَلق أن ينفعه أو يضرَّه، فمَدَار جميع هذه الوصيَّة على هذا الأصل، وما ذُكر قبلَه وبعدَه، فهو متفرِّعٌ عليه، وراجعٌ إليه؛ فإن العبد إذا عَلِم أن لن يصيبه إلا ما كَتَب الله له من خير وشرٍّ، ونفع وضُرٍّ، وأن اجتهاد الخلق كلِّهم على خلاف المقدور غير مفيد البتَّةَ، عَلِم حينئذ أن الله وحدَه هو الضارُّ النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيدَ ربِّه ﷻ وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده؛ فإن المعبود إنما يُقصَد بعبادته جلبُ المنافع، ودفعُ المَضارِّ؛ ولهذا ذمَّ الله مَن يعبُد مَن لا ينفع ولا يضرُّ، ولا يُغني عن عابده شيئًا، فمَن يعلم أنه لا ينفع ولا يضرُّ، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء، والمحبَّة والسؤال، والتضرُّع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخَلق جميعًا، وأن يتَّقيَ سُخْطَه، ولو كان فيه سخط الخَلق جميعًا، وإفراده بالاستعانة به، والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد، ونسيانه في الرخاء، ودعاء مَن يرجون نفعه من دونه[1].

وقوله ﷺ: "**رُفعت الأقلامُ وجَفَّت الصحفُ**»: يُريد أن الله ﷻ قد كتب مقاديرَ العباد وما يُصيبهم من الخير والشرِّ، وما يقترفون من الأفعال، وما ينزل عليهم من المصائب والآفات؛ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]. وأخرج مسلم عن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "كتَب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألْفَ سنةٍ، قال: وعرشُه على الماء»[2].

فالمقصود أن الله ﷻ قد كتب مقادير العباد قبل أن يخلُقَهم، ولن يقدر أحدٌ على أن يغيِّر شيئًا كتبه الله؛ فإذا كان الأمر كذلك، وجب صرفُ الدعاء والمسألة له، والاستعانة به وحدَه.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٨٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجَةً	وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لا تُحْجَبُ
فَاجْعَلْ سُؤَالَكَ لِلْإِلَهِ فَإِنَّمَا	في فَضْلِ نِعْمَةِ رَبِّنَا تَتَقَلَّبُ
لا تقصِدِ المخلوقَ ربُّك أقربُ	من يقصد المخلوق حقًّا يَتْعَبُ
لا تسأَلَنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً	وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ
الله يَغضَبُ إن تركْتَ سؤالَه	وبُنَيُّ آدمَ حين يُسأَلُ يَغْضَبُ

٦. من هدايات الحديث:

١. احفظ الله يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك؛ لأن الله تعالى يجزي المحسنين بإحسانه، وأهمُّ هذه الأشياء هو أن يحفظك في دينك، ويسلِّمك من الزيغ والضلال.

٢. «احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تجَاهَك»: يدلُّك على كلِّ خير، ويقرِّبك إليه، ويهديك إليه، ويدفع عنك كلَّ شر، ولا سيَّما إذا حفظتَ الله بالاستعانة به؛ فإن الإنسان إذا استعان بالله وتوكَّل عليه، كان الله حسبَه، ولا يحتاج إلى أحد بعد الله.

٣. قال بعض السَّلَف: مَن اتَّقى الله، فقد حفِظ نفْسَه، ومَن ضيَّع تقواه، ضيَّع نفْسه، والله الغنيُّ عنه[1].

٤. إن حفظَ الله للعبد الصالح ليَشمَلُ أهلَه بعد موته؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢]، أرسل الله موسى والخَضِر؛ ليَبنِيَا الجدار المائل؛ كي يحفظ الله مال الغُلامينِ الصغيرينِ؛ لأن أباهما كان صالحًا.

٥. قال سعيد بن المسيِّب لابنه: إني لأَزيد في صلاتي من أجْلك؛ رجاءَ أن أُحفَظَ فيكَ، وتلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢][2].

(١) "نور الاقتباس في وصيَّة النبيِّ لابن عبَّاس" لابن رجب (ص ٥٤).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٦٧).

٦. قال طاوسٌ لعطاء رحمهما الله: إيَّاك أن تطلب حوائجَكَ إلى مَن أغلق بابه دونَكَ، ويجعل دونها حُجَّابَه، وعليك بمَن بابُه مفتوح إلى يوم القيامة، أَمَرك أن تسأله، ووعدكَ أن يُجيبكَ[1].

٧. إن الله تعالى قد كتب مقادير العباد قبل أن يخلُقَهم، ولن يقدر أحدٌ على أن يغيِّر شيئًا كتبه الله؛ فإذا كان الأمر كذلك، وجب صرفُ الدعاء والمسألة له، والاستعانة به وحدَه.

٨. المعيَّةُ الخاصةُ من النُّصرة والتأييد والحفظ إنما تكون للمؤمنين فحسبُ؛ فحافِظْ على إيمانكَ تَنَلْ معيةَ الله.

٩. إن نالك ضرر من أحد، فاعلم أن الله قد كتبه عليك، فارضَ بقضاء الله وبقدره، ولا حرج أن تحاول أن تدفع الضرَّ عنك.

١٠. كان النبي ﷺ أكثر الناس تواضعًا؛ فكان يركب الدابة ويركب خلفه.

١١. كان النبي ﷺ حريصًا على تعليم الصحابة في كل وقت، ولا يضيع لحظة لا يستغلها في الخير.

١٢. كان الصحابة حريصين على العلم أشد من حرصهم على أي شيء.

١٣. كان النبي ﷺ حريصًا على تربية الأطفال تربية دينية محكمة منذ صغرهم .

١٤. لم يُطل النبي ﷺ الوصية، بل كانت كلمات قليلة، فهي أرجى أن تُسْتَوعب ويُعمل بها، خصوصًا مع الصِّغار.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٤٨١).

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. حفظ الله تعالى يكون بـ:
   ١. تضييع فروضه.
   ٢. حفظ حدوده وشرائعه.
   ٣. حفظ القرآن.

2. معية الله الخاصة تكون لـ:
   ١. المؤمنين.
   ٢. الناس أجمعين.
   ٣. المؤمنين والمنافقين.

3. إذا وقع الإنسان في ضائقة فإنه:
   ١. يسأل الله ﷻ ويستعين به.
   ٢. يأخذ بالأسباب النافعة التي تنجيه منها.
   ٣. كلاهما.

4 النفع والضر متوقف على:

١. إذن الله تعالى.

٢. حب الناس ورضاهم.

٣. قوة الإنسان وضعفه.

5 دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بأن:

١. يفقهه الله في الدين.

٢. يبارك الله له في عمره.

٣. يجعله الله من المؤمنين

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. إذا أراد العبد أن يحفظه الله؛ فليحفظ الله. ( )

٢. لُقِّب راوي الحديث بحبر الأمة. ( )

٣. رفعت الأقلام وجفت الصحف كناية عن نفوذ المقادير. ( )

٤. معية الله العامة تكون للمسلمين فقط. ( )

٥. دل الحديث على أن الجزاء من جنس العمل. ( )

الحديث الحادي عشر:

التشهد

التشهد

عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَن قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، وأَنَّ عِيسَى عبدُ الله، وابنُ أَمَتِهِ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله مِن أَيِّ أَبْوابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ شاءَ. وفي روايةٍ: أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلَى ما كانَ مِن عَمَلٍ متفق عليه. أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل يجب عليَّ الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، أم أنه يكفيني الإيمان بنبي الله محمد ﷺ؟

هل يجب عليَّ الإيمان باليوم الآخر وما فيه من مواقف وحساب أم لا؟

أسئلة تخطر على البال ويحار فيها المسلم، وإجابتها واضحة في كلام الله تعالى وكلام النبي ﷺ، وخاصة في مثل هذا الحديث، فاقرأ الحديث بتدبر وتمعن.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعرف منزلة لا إله إلا الله.
٦. ترسخ إيمانك بنبي الله عيسى عليه السلام.
٧. تعرف كيف خلق الله عيسى عليه السلام.
٨. تتعرف على طريق من طرق الجنة.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

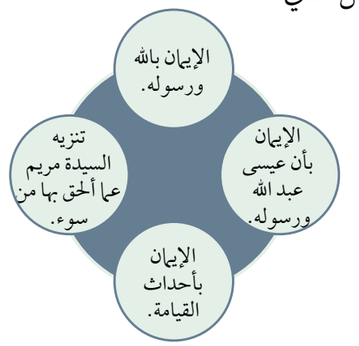

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

أبو الوليد، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، صحابيٌّ، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد بدرًا وسائر المشاهد. ثم حضر فتح مصر. وهو أول من وَلِيَ القضاء بفلسطين. ومات بالرملة أو ببيت المقدس. روى ١٨١ حديثًا، اتَّفق البخاري ومسلم على ستة منها. وكان من سادات الصحابة. توفي سنة: ٣٤ هـ[1].

(١) تراجع ترجمته في: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٢/ ٨٠٧)، "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢/ ٥)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٣/ ٥٠٥).

نشـــاط (١)

ارجع للكتب التي تكلمت عن الصحابة، واستخرج معلومات إضافية عن عبادة بن الصامت، ودونها هنا.

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
وَكَلِمَتُهُ	خلق بكلمته تعالى (كن)
وَرُوحٌ مِنْهُ	مَخلوقٌ مِن رُوحٍ مَخلوقةٍ له سُبحانَه.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

أخبر النبي ﷺ أن هناك أشياء هي سبب لفتح أبواب الجنة الثمانية أمام المسلم، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وشهادة أن عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام، والاعتراف بأن الجنة والنار حق، وأن الله تعالى خلقهما ليثيب المحسنين ويعاقب العاصين.

٤. الشرح المفصل للحديث:

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الْمَوْقِعِ، وَهُوَ أَجْمَعُ -أَوْ مِنْ أَجْمَعِ- الْأَحَادِيثِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْعَقَائِدِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ وسلم جَمَعَ فِيهِ مَا يُخْرِجُ عَنْ جَمِيعِ مِلَلِ الْكُفْرِ عَلَى اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ وَتَبَاعُدِهِمْ، فَاخْتَصَرَ ﷺ فِي هَذِهِ الْأَحْرُفِ عَلَى مَا يُبَايِنُ بِهِ جَمِيعَهُمْ وَسَمَّى عِيسَى عليه السلام كَلِمَةً لِأَنَّهُ كَانَ بِكَلِمَةِ كُنْ فَحَسْبُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ[1].

(١) "شرح النووي على مسلم" (١/ ٢٢٧).

نشـــاط (٢)

جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أن الإيمان بالرسل من أركان الإيمان.

ابحث عن هذا الحديث واكتبه، ثم ابحث عن حكم من كذَّب نبيا واحدا من الأنبياء الكرام.

.....

.....

أخبر النبي ﷺ بأشياء هي من أصول الدين، فمن شهد بها واعترف أدخله الله تعالى الجنة، وهذه الأشياء هي:

١. أن يشهد المسلم بأنه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وأنه إله واحد لا شريك له في ملكه ولا في تدبير شؤون كونه، لا أحد يستحق العبادة إلا هو ﷻ.

نشـــاط (٣)

لشهادة أن لا إله إلا الله شروط .

اكتب هذه الشروط باختصار، مع توجيه نصيحة لتعزيز الإيمان بهذه الكلمة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٢. وأن يشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، ليبلغ الناس رسالة ربه، فيطيعه فيما أمر ويجتنب ما نهى عنه، ويجب أن تكون هذه الشهادة خالصة من القلب واللسان.

٣. وأن يشهد أن نبي الله عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وليس إلها ولا ابن إله، بل هو كباقي الأنبياء عبد من عبيد الله تعالى، أرسله الله لدعوة الناس إلى الإسلام الذي هو دين الله تعالى، خلقه الله تعالى من دون أب وذلك بكلمته (كن) فتَكَوَّن بقدرة الله تعالى في رحم مريم، فجاء بدون أبٍ، ومعنى قوله ﷺ: "وروح منه»: أَنَّه مَخلوقٌ مِن رُوحٍ مَخلوقةٍ له سُبحانَه، فاللهُ خالِقُها ومُبدِعُها، وأُضِيفت الرُّوحُ إلى اللهِ على وجْهِ التَّشريفِ. وَالْإِضَافَةُ فِي كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ تَشْرِيفِيَّةٌ[1].

نشـــاط (٤)

انحرف النصارى عند ين عيسى عليه السلام، فصنعوا دينًا من عند أنفسهم، فمنهم من قال إن المسيح عيسى هو الله، ومنهم من قال إن الله ثالث ثلاثة.

كيف سترد عليهم بما في القرآن من الآيات؟

.....

.....

.....

.....

.....

٤. وأن يعتقد أن الجنة حق والنار حق، خلقهما الله تعالى لإثابة الطائع ومعاقبة الكافر والعاصي، وأنهما موجودتان الآن.

٥. فمن فعل تلك الأشياء كان ثوابَه أنْ فَتَحَ اللهُ تعالى له أبوابَ الجنة الثمانية ليدخل من أي باب يريد.

---

(١) "تحفة الأحوذي" (١٠/ ٦١).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

رُوحُ القَصِيدَةِ وَثَّقَتْ مَحْيَاهَا ... مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيا وَفي أُخْرَاها (لا إله إلا الله)

قَدْ أَشْرَقَتْ كَالشَّمْسِ بَعْدَ ضُحاها ... وتَهَلَّلَتْ كَالبَدْرِ حِينَ تَلاها (لا إله إلا الله)

بِالكَوْنِ تُكْتَبُ فَالكَواكِبُ أَحْرُفٌ ... والنَّجْمُ يَنْقُطُ والسَّماءُ ثَراها (لا إله إلا الله)

صَوتُ الحياةِ يَصِيحُ في النَّاسِ: اسمَعُوا ... آهٍ فَدوَّى في الوُجُودِ صَدَاها (لا إله إلا الله)

ذي كِلْمَةُ التَّوْحيد دَوَّى صَوتُها ... فأَجابَ كُلُّ مُوَحِّدٍ دَعْوَاها (لا إله إلا الله)

ذي كِلْمَةُ التَّوْحيد شَقَّ وَمِيضُها الدْ ... دُنْيا فأَقْبَرَتِ الحيَاةُ دُجَاها (لا إله إلا الله)

ذي كِلْمَةُ التَّوْحيد أَكْبرُ كِلْمَةٍ ... اَلكَوْنُ في كُلِّ الوُجُودِ يَرَاها (لا إله إلا الله)

ذي كِلْمَةُ التَّوْحيد أَعْذَبُ لَفْظَةٍ ... حَمْدًا لِمَنْ لِلْخَلْقِ قَدْ أَسْداها (لا إله إلا الله)

ذي كِلْمَةُ التَّوْحيد مِن مِثْقالها ... حَمْدًا لِمَنْ لِلْخَلْقِ قَدْ أَسْداها (لا إله إلا الله)

٦. من هدايات الحديث:

١. إن النطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) بداية حياة جديدة، بها يعتق الله تعالى الإنسان من الشرك، ويجعله متحررًا من عبودية أحد غير لله تعالى وحده.

٢. إن أكبر كذبة ادعاها المشركون أن جعلوا لله تعالى ولدًا، وقد وصف الله تعالى حال الكون بعد سماع هذه الكلمة بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

٣. إن الله تعالى قادر على كل شيء فلا يتعجب أحد من أن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام بأم دون أب، فقد خلق من قبله آدم عليه السلام من غير أم وأب.

٤. إن هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن عصاة المؤمنين لن يخلدوا في النار، فما دام أن المسلم نطق بكلمة التوحيد فإن مآله سيكون إلى الجنة، وإن دخل النار فإن الله تعالى سيعاقبه على قدر ذنوبه، ومن ثَمَّ يخرجه من النار ويدخله الجنة.

٥. إن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل خلق البشر بدليل أن آدم عليه السلام كان في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض، فيجب على المسلم أن يؤمن بهما، ومن أنكرهما فقد كفر.

٦. قدم الله تعالى صفة العبودية على صفة الرسالة في حق عيسى عليه السلام لأن العبودية هي أشرف صفة وأعظمها، وكانت أحب الأوصاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٧. من رحمة الله تعالى وحبه لمن شهد بهذه الأشياء؛ أنه يفتح له أبواب الجنة ويخيره في الدخول من أي باب من أبوابها.

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. دل خلق عيسى عليه السلام بدون أب على:
   ١. نقص مقدرة الله
   ٢. طلاقة قدرة الله..
   ٣. عيسى عليه السلام ليس بنبي بل هو إله أو ابن إله.
2. عصاة المسلمين في النهاية يدخلون:
   ١. الجنة.
   ٢. النار.
3. أرسل الله تعالى نبيه محمد ﷺ:
   ١. ليبلغ الناس رسالة الله تعالى.
   ٢. ليحكم الناس.
   ٣. ليعذب المشركين.
4. عدد أبواب الجنة:
   ١. ثمانية.
   ٢. خمسة.
   ٣. عشرة.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. لا يدخل الإنسان الإسلام إلا بالشهادتين. ( )
٢. من شهد واعترف بما في هذا الحديث أدخله الله تعالى الجنة. ( )
٣. معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله تعالى. ( )
٤. لا يجب أن تكون الشهادة خالصة من القلب واللسان. ( )
٥. ليس لله تعالى أبناء إلا عيسى عليه السلام. ( )
٦. أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام لدعوة الناس إلى الإسلام. ( )
٧. الإنسان الوحيد الذي جاء بغير أب هو موسى عليه السلام. ( )

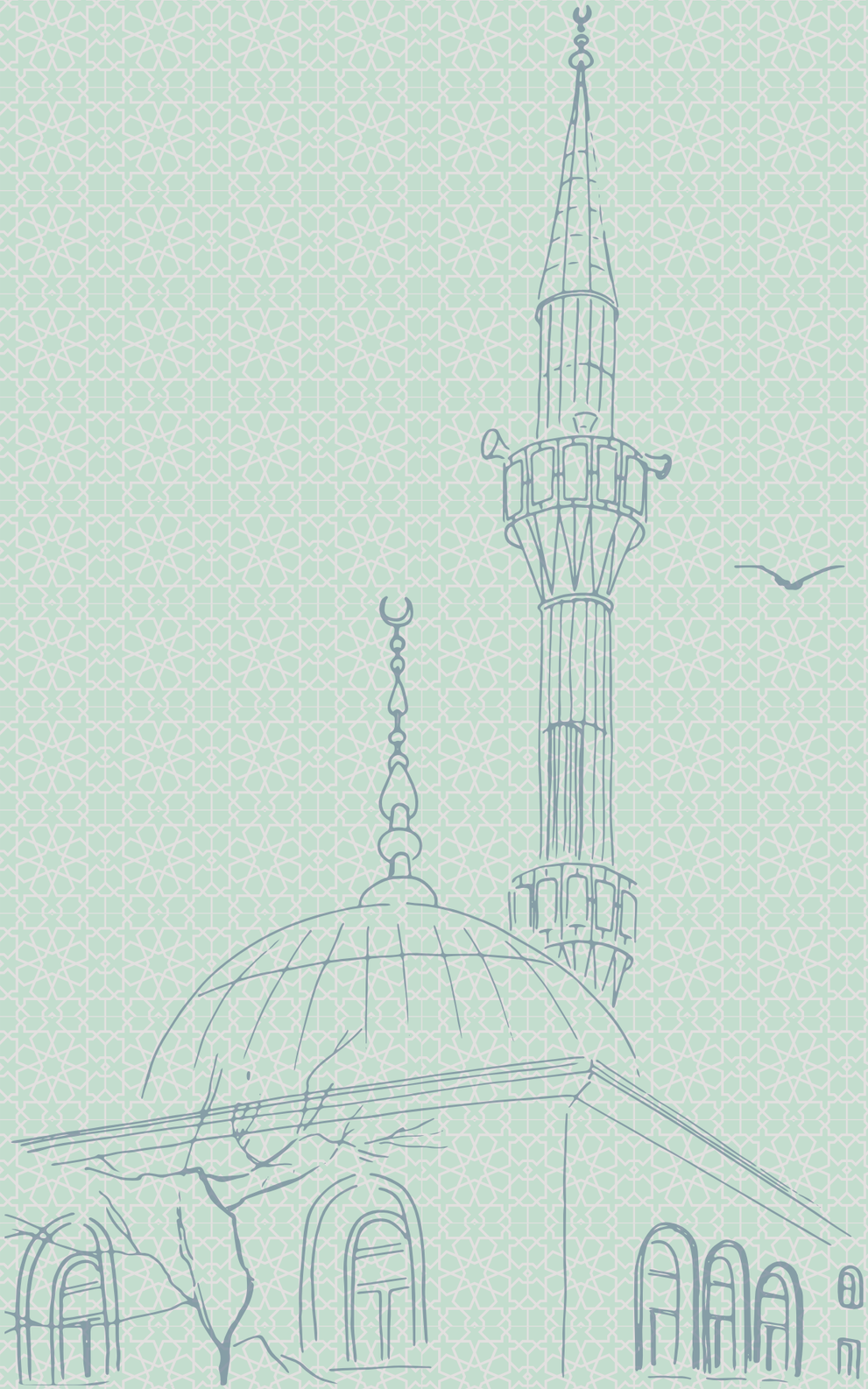

الحديث الثاني عشر:
تعال نعلم الآخرين

التشهد

عَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلى هُدًى، كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهم شيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ، كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهم شَيئًا". رواه مسلم (٢٦٧٤).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

قال تعالى على لسان لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ٧١]، تأمل معنا وأجب:

- **لماذا خَص لقمانُ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر من بين سائر الوصايا ووصى بها ابنه؟**

.....

.....

- **ما أجر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وما ثواب الآمر بالمعروف إن عمل الناس بما يأمرهم به وتركوا ما ينهاهم عنه؟**

.....

.....

- **ما جزاء من فعل عكس ذلك فأمر الناس بالمنكر ونهاهم عن المعروف، وما جزاؤه إن استجاب الناس له؟**

.....

.....

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.

٢. توضح لغويات الحديث.

٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.

٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.

٥. تستدل على فضل الدعوة إلى الله تعالى.

٦. تحدد أساليب الدعوة إلى الهدى أو الضلال.

٧. تحرص على الدعوة إلى الله تعالى.

٨. تحذر من الدعوة إلى ما يخالف الشريعة الإسلامية.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. فضل الدعوة إلى الله تعالى.

٢. أهمية الدعوة إلى الله تعالى.

٣. أثر الدعاة في توجيه العباد.

٤. خطورة الدعاة إلى الضلال.

٥. وسائل الدعوة إلى الهدى والضلال.

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو هريرة، واسمه على الأرجح: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، ولازمَ النبيَّ ﷺ حرصًا على العلم، وسأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال له ﷺ: "لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أَوَّلَ منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث»[1]. وكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ) رضي الله عنه[2].

نشـــاط (١)

كان أبو هريرة راوي الحديث محبًّا للسنة وللدعوة إليها ونبذ البدع، بيِّن ذلك بعد ما عرفتَ أنه هو الذي روى هذا الحديث.

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
دعا إلى هدًى	أي: دعا إلى الحقِّ والطاعةِ والإيمان.
ضلالة	من الضلال، وهو الباطلُ والانحرافُ عن الطريق المستقيم.

(١) رواه البخاريُّ (٩٩).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُريرةَ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: "مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهم شيئًا»؛ أي: مَن حثَّ الناس على عملٍ صالحٍ، ودلَّهم عليه بقوله أو فِعله، كان لهذا الداعي من الأجر مثلُ أجور مَن تبعه على دعوته، دون أن يَنقُص هذا الأجرُ الذي حصل عليه الداعي من أجر العامل شيئًا. "ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ، كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ آثامِهم شَيئًا»؛ أي: ومَن أرشدَ غيرَه إلى فِعلِ إثمٍ؛ بأن ابتدعه، أو سُبق إليه، أو أحْياه بعد اندثار، أو أمَر به، أو أعان عليه، كان عليه من الإثم مثلُ ما وقَعَ على مَن اتَّبعه وقلَّده في ضلاله، ولا يَنقُص هذا الإثمُ من إثم المتَّبع شيئًا.

٤. الشرح المفصل للحديث:

الدعوة إلى الله تعالى فاتحةٌ لكلِّ خيرٍ، ومُغْلِقةٌ لكلِّ شرٍّ، والتواصي بالحقِّ والصبر من أخصِّ سمات المسلم، وطريقٌ لفلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث يحثُّ النبيُّ ﷺ المسلمَ على بذل ما استطاع من جُهْد في الأخذ بيَدِ الناس إلى الحقِّ والخير، وأن يكون مِفتاحًا لذلك، وقدوةً يَقتدي الناسُ به، ويَعِدُ النبيُّ ﷺ على ذلك بأعظم الجزاء، ويُحذِّر في المقابل من أن يكون المسلم مِفتاحًا للباطل والشرِّ في المجتمع، ويبيِّن سوءَ عاقبة مَن فعل هذا.

يقول ﷺ: "مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كان لهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهم شيئًا»، الدعوة: هي الحثُّ على الشيء[1]، وكلمة "هدى" تشمل كلَّ عمل من أعمال البرِّ والخير والصلاح[2]، والمعنى: مَن حثَّ على عمل صالحٍ، ودلَّ الناس عليه بقوله أو فعله، كان لهذا الداعي من الأجر مثلُ أجور مَن تبِعه على دعوته، دون أنْ يَنقُص هذا الأجرُ الذي حصل عليه الداعي من أجر العامل شيئًا. وقد ذكَر ﷺ كلمة "هُدًى" نكرةً لتَشمل جميع ما يُهتدى به؛ فـ"الهدى في الحديث: هو ما يُهتدى به من الأعمال الصالحة، وهو بحسَب التنكير مطلَقٌ شائعٌ في جنسِ ما يُقال له: هُدًى، يُطلَق على القليل والكثير، والعظيم والحقير، فأعظمُه هدًى مَن دعا إلى الله وعمِل صالحًا، وقال: إنني من المسلمين، وأدناه هُدًى: مَن دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين، ومِن ثَمَّ عظُم شأن الفقيه الداعي المنذِر؛ لأن نفْعَه يعُمُّ الأشخاص والأعصار إلى يوم الدِّين"[3].

(١) انظر: "المعجم الوسيط" (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: "كنوز رياض الصالحين" (٣/ ٥٥٥).

(٣) "الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبي (٢/ ٦٢٥- ٦٢٦).

نشـــاط (٢)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [نوح: ٦-٧]

- **في هذه الآيات ظهرت مهمة نبي الله نوح عليه السلام التي أرسله الله تعالى من أجلها. في ضوء فهمك للآيات اذكر مهمة الأنبياء والرسل التي أرسلهم الله تعالى لأجلها.**

.....

.....

- **ما الأشياء التي دعا نوح عليه السلام قومه إليها، وما كان جوابهم عليه؟**

.....

.....

وكما أن الداعيَ إلى الصالحات يأخُذ مثلَ أجر مَن استجاب لدعوته، فكذلك الدعوةُ إلى السيِّئات والمنكَرات؛ فإن الداعيَ إلى مُنكَر عليه وِزرُه ووِزرُ مَن عمِل بدعوته؛ قال ﷺ: "ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ، كان عليه مِنَ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تَبِعهُ، لا يَنقُصُ ذلك مِن آثامِهم شَيئًا»؛ أي: مَن أرشدَ غيرَه إلى فِعل إثمٍ؛ بأن ابتدعه، أو سُبق إليه، أو أحْياه بعد اندثار، أو أمَر به، أو أعان عليه[1]، كان عليه من الإثم والذنْب والعقوبة مثلُ ما وقَع على مَن اتَّبعه وقلَّده في ضلاله، ولا يَنقُص هذا الإثمُ الواقعُ عليه من إثم المتَّبع شيئًا، فلكلٍّ منهما وِزرٌ كاملٌ.

"وأما الضلالة، فإن مَن يدعو إليها بكلمة خبيثة، أو عَقْد إشكال، أو نابِضة شكٍّ، أو طليعة حَيرة، فإنه عليه إثمُها، وإثمُ كلِّ مَن يضِلُّ بها إلى يوم القيامة"[2].

وفي هذا المعنى يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣]، ومِثلُه قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ

(١) انظر: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" للمُلاَّ علي القاري (١/ ٢٤٢).

(٢) "الإفصاح عن معاني الصحاح" ليحيى بن هُبيرة (٨/ ١٧٧).

رَبُّكُمْ ۚ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٤-٢٥].

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]

- **من خلال ما فهمته من الآيتين بين العاقبة المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

.....

.....

- **ما الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن يدعو الناس إلى سنة سيئة وأمرهم بالمنكر أو نهاهم عن المعروف؟ بين ذلك من خلال ما فهمته من الآية؟**

.....

.....

"واعلمْ أن الدعوة إلى الهُدى، والدعوة إلى الإثم تكون بالقول؛ كما لو قال: افعَلْ كذا، افعَلْ كذا، وتكون بالفعل، خصوصًا مِن الذي يُقتدى به من الناس، فإنه إذا كان يُقتدى به ثم فعَل شيئًا، فكأنه دعا الناس إلى فِعله؛ ولهذا يحتجُّون بفِعله ويقولون: فعَل فلانٌ كذا، وهو جائزٌ، أو ترَك كذا، وهو جائزٌ"[1].

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (٢/ ٣٦١).

نشـــاط (٤)

اذكر بعض الأمثلة للدعوة إلى الهدى والدعوة إلى الضلالة:

الدعوة إلى الهدى	الدعوة إلى الضلالة
الصلاة	
الدعاء	
الذكر	
الخوف	
الرجاء	
الحج	

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

تَحْيَا الخلائِقُ وَالْغَوِيُّ يَشُدُّها	نحوَ الضَّلالِ لَحَمْأَةٍ وفَسَادِ
يَسْعى بهم أهلُ الدَّهَاءِ بمَكْرِهم	ليجنِّبوهم منهجَ الإرشاد
لا يَفْتُرُونَ عَنِ الوسائلِ للهوى	مهما رَأَوْا مِن شِدَّةٍ وعِنادِ
حَمَلوا النفوس على الغِوايَة والأذى	وتَعَمَّقُوا في الزَّيْغِ والإفساد

٦. من هدايات الحديث:

١. إن الدعوة إلى الله تعالى شرف وواجب، فبها تنتشر الفضائل والمكارم، وتنمحي الرذائل، وتعلو كلمة الله، ويهتدي الحيارى، ويَعِزُّ الإسلام والمسلمون.

٢. للإنسان سيئاتٌ جاريةٌ كما له حسناتٌ جاريةٌ؛ فكما يموت الإنسانُ وصحيفةُ حسناته لَمَّا تُقْفَلْ بعدُ، فكذا قد تكون له سيئاتٌ جاريةٌ تُسطَّر في ديوانه بعد موته، فاحرص أن تكون حسناتُكَ جاريةً، وسيِّئاتُك منقطِعةً بعد مَوتك.

٣. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]؛ أي : لا أحد أحسنُ قولًا ممن دعا إلى الله مع العمل الصالح الذي يُصدِّق قوله، ومع استسلامه لله تعالى منكِرًا ذاته، فتصبح دعوته خالصةً لله تعالى، ليس له فيها إلا التبليغ.

٤. على المسلم أن يدعوَ إلى الله تعالى بما وهبه الله من مواهبَ، لا يُشترط أن يكون خطيبًا مفوَّهًا؛ بل إن وسائل الدعوة كثيرة، خاصَّة في العصر الحديث، وما استُحدث فيه من وسائلَ هائلةٍ.

٥. أمر النبيُّ ﷺ بتبليغ ولو آيةً واحدة؛ حتى يسارع كل مسلم إلى تبليغ ما بَلَغه من الشرع مهما قلَّ، وحتمًا سيصل كل ما جاء به ﷺ إذا فعل كل مسلم ذلك.

٦. على كل مسلم أن يستشعر المسؤولية العظمى تُجاه دينه وأمَّته، ودوره في مواجهة التحدِّيات التي تواجهها، والسعي للنهوض بأمَّته، ورفع الجهل عنها، ومعالجة عللها وأدوائها، خاصَّةً الدعاةَ إلى الله، الذين التزموا بدينه وشرائعه، أهل الخير والدعوة إليه، الذين يغترفون من مَعين الحقِّ؛ فهؤلاء هم أجدر الناس للقيام بذلك بعزيمة وقوَّة.

٧. إن الدعوة إلى الله تعالى هي أشرفُ الأعمال وأعظمها، وهي مَهمَّة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – ومن أكبر النعم على المرء أن يحظى بشرف الدعوة إلى الله تعالى، ويكفيه شرفًا أنه يبلِّغ ما جاء به المصطفى ﷺ.

٨. إن الدالَّ على الخير كفاعلِه، والدالَّ على الشرِّ كفاعله، ومَن فتَح بابَ خيرٍ كان له أجرٌ مِثلُ أجْرِ مَن عمِل به، ومَن فتح باب شرٍّ كان عليه من الوِزر مِثلُ وِزرِ مَن عمِل به؛ لأنه سببٌ ووسيلة في الخير أو الشرِّ[1].

٩. السَّعيد مَن كان إمامًا في الخير، وقائدًا إليه، والشقيُّ مَن كان عونًا على الشرِّ، وطريقًا إليه.

١٠. إن الاعتصامَ بالكتاب والسُّنة طريقُ الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

١١. التوازنُ بين الترغيب والترهيب في الدعوة والتربية منهجٌ إسلاميٌّ أصيلٌ الْتَزَمه رسولُ الله ﷺ وسار عليه أصحابه والتابعون من بعده.

١٢. إن الدعوة إلى الله تعالى فاتحةٌ لكلِّ خير، ومُغْلِقةٌ لكلِّ شرٍّ، والتواصي بالحقِّ والصبر من أخصِّ سمات المسلم، وطريقٌ لفلاحه ونجاحه في الدنيا والآخرة.

(١) "فتح المنعم شرح صحيح مسلم" لموسى شاهين لاشين (١٠/ ٢١٤).

ثالثا: التقييم

س١ : اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. مهمة الأنبياء .....:
   ١. تعليم الناس العلوم الدنيوية.
   ٢. إنقاذ العرب من أعدائهم.
   ٣. دعوة الناس إلى التوحيد وللهدى.

2. أكثر الناس شبهًا بالأنبياء .....:
   ١. من يدعو الناس إلى الهدى.
   ٢. من يكثرون الصلاة.
   ٣. من يذكر الله كثيرًا.

3. من أساليب الدعوة إلى الهدى .....: :
   ١. القول فقط.
   ٢. الفعل فقط.
   ٣. القول والفعل.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. من يدعو الناس إلى الخير يأخذ مثل أجور من تبعه. ( )
٢. هناك سيئات جارية كما أن هناك حسنات جارية. ( )
٣. الداعي إلى الباطل لا يحمل إلا سيئاته. ( )
٤. الدعوة إلى الله تعالى فاتحة لكل خير. ( )
٥. الدعوة إلى الهدى والخير يكون بالقول فقط. ( )

الحديث الثالث عشر:

اللقاءات الجميلة

التشهد

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهَرًا بِبابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن دَرَنِهِ؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ به الخَطايا. متفق عليه. أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن الله تعالى هيأ للمسلم جميع الوسائل التي يكفر بها ذنوبه ويمحو سيئاته، لأنه تعالى لم يخلق الخلق ليعذبهم، بل أقبل عليه سبحانه بمغفرته ورحمته، وجعل له من الأعمال والقُرُبَات ما يُكَفِّر ذنوبه وآثامه، حتى يُقبل على ربِّه طاهرًا من العيوب والخطايا. تأمل هذا الحديث؛ وستعرف سعة رحمة الله وكرمه.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تذكر بعض فضائل الوضوء.
٦. تتعرف على فضل الصلاة.
٧. تتعرف على طرق كفارة الذنوب.
٨. تحافظ على نظافة قلبك كما تحافظ على نظافة جسدك.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

ترجمة راوي الحديث | سبب ورود الحديث | المعنى الإجمالي للحديث | الشرح التفصيلي للحديث | من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَماميُّ، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها على ثَلاثمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين[1]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرينِ، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[2].

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــاط (١)

لأبي هريرة راوي الحديث أحاديث كثيرة عن الصلاة وفضلها، اذكر بعض هذه الأحاديث.

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
درنه	وسخه

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يبين النبيُّ ﷺ في الحديثَ بعض فضائل الوضوء والصلاة، وأنَّ المحافظة على الصلوات يمحو الله تعالى بها للمسلم ذنوبه وخطاياه، كما يمحو كثرة الاغتسال الأدران والأوساخ..

٤. الشرح المفصل للحديث:

إن الله عز وجل عظَّم قدرَ الصلاة لأنها أوفى خدمة العبد، والمراد من العبد التعبد، وهي جامعة بين خضوع بدنه ونطق لسانه وحضور قلبه، وإن الله تعالى جعل عبادة ملائكته بين سجود وركوع وذكر، وذلك مجموع في الصلاة، وليس لنا فعلٌ يدخل به الكافر في حكم الإسلام ويخرج بتركه المسلم من الإسلام إلا الصلاة . لذلك شبه رسول الله ﷺ الصلوات الخمس بالمرات الخمس في الاغتسال، فإذا كان الإنسانُ حين يغتسلُ تذهب ما على جسده من الأدران والأوساخ، ثم إذا خرج فلعلَّ شيئًا يَعْلَقُ به

من التراب ونحوه، فإذا اغتسل ثانيةً تساقط ذلك العالق به، وهكذا، كُلَّما عَلِقَ به شيءٌ أزاله بالاغتسال. فكذلك الصلوات الخمس، كلَّما أذنب العبدُ ذنبًا، جاءت الصلاةُ فأسقطت تلك الذنوب وكفَّرتها، ثم إذا أذنب بعد تلك الصلاة، كانت الصلاة الأخرى كذلك، وهكذا، حتى يكون طاهرًا من الذنوب والآثام باطنًا بالمداومة على الصلاة، ومن الأدران والأوساخ ظاهرًا بكثرة الوضوءِ وحسن المظهر.

نشـــاط (٢)

قارن بين فريضة الصلاة والصيام من حيث وقت فرضها، وشروطها، وأجرها:

المطلوب	الحج	الصلاة
وقت فرضها		
شروطها		
أجرها		

لذلك سأل النبي ﷺ أصحابه هذا السؤال الوارد في الحديث؛ ليأخذوا منه درسا يلزمونه طول عمرهم فلا ينسوه، ويكون مشجعا لهم على الإكثار من الوضوء وعدم تضييع الصلوات. فقال لهم: "أترون لو كان أمام بيت أحدكم نهرًا يغتسل منه ويتنظف كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على جسده أو ثوبه أي وسخ؟" فقال الصحابة رضي الله عنهم: لا يبقى عليه أي شيء من الوسخ؛ لأنه بالغ في التطهر والتنظف.

فقال لهم النبي ﷺ: "فهذا النهر الذي يغتسل منه الإنسان خمس مرات مثل الصلوات الخمس التي يصليها المسلم في يومه وليلته، فإن الله تعالى يمحو بها المعاصي والذنوب ويرفع بها الدرجات، فكما أن الماء يطهر الأوساخ الحسيَّة فإن الصلاة تطهر الأوساخ المعنوية. ويستمر محو المعاصي والذنوب كلما أكثر المسلم من الصلاة، حتى لا يبقى له ذنب إلا وكفرته الصلاة، ما عدا الكبائر التي تحتاج إلى توبة". فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: "الصَّلاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لما بينهن، ما لم تغش الكبائر»؛ رواه مسلم[1].

وإنما ضرب المثل بالماء؛ لأن الماء هو الماحي للكتابة، فإن الكاتبين يكتبان حركات العبد وأنفاسه، فكانت الصلوات مزيلة ما يرقمانه كما يزيل الماء أثر الكتابة المكتوبة بالمداد. وإن قوي الوضوء وحده على تكفير الخطايا فالمشي إلى المسجد والصلاة بعده تكون زيادة حسنات[2].

(١) برقم: (٢٣٣).

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" (ص٦٦ ت الدوسري).

نشـــاط (٣)

ورد في القرآن الكريم عبادة الصلاة والزكاة مجتمعين في مواضع كثيرة، اذكر أربعة من هذه المواضع.

.....

.....

.....

نشـــاط (٤)

هناك أمور كثيرة هي سبب لكفارة الذنوب، اذكر بعضها، مع ذكر الدليل على ما تقول.

.....

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر العربي:

إذا ما الليلُ أظلمَ كَابَدُوهُ	فيُسفرُ عنهُمُ وَهُمُ ركوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهُمُ فقاموا	وأهلُ الأمنِ في الدُّنيا هُجوعُ

٦. من هدايات الحديث:

١. كان النبي ﷺ يضرب لأصحابه الأمثال المحسوسة لأصحابه؛ ليقرب لهم العلم، وليكون الأمر أوضح لهم، فيجب على الداعية والمعلم أن ينتهج نهج النبي ﷺ.

٢. إن الصلاة تُربي الإنسان وتحسن أخلاقه وتنهاه عن الفحشاء والمنكر.

٣. الصلاة تُذْهِب الدنس المعنوي وهو الذنوب، كما يذهب الماء الدنس الحسي عن الأبدان.

٤. على الإنسان أن يراعي باطنه كما يراعي ظاهره، وأن يهتم بتطهير قلبه كما يهتم بتطهير ثوبه وبدنه.

٥. إن الله تعالى ينظر إلى القلوب ولا ينظر للأجساد والشكل، فعلى المسلم أن يهتم بتطهير قلبه؛ لأنه موضع نظر الرب.

٦. في الصلاة حضور القلب واستشعار عظمة الله في الصلاة.

٧. إذا أحضر المصلي قلبه في صلاته، فإنه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياه.

٨. الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حق أدائها، وجد نشاطا وراحة وروحا.

٩. الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا.

١٠. كما أن الصلاة للجسم رياضة بدنية تقويه وتفيده، فإنها رياضة للروح تقويها وتنعشها.

١١. الصلاة صلة بين العبد وربه، وتذكر العبد بدوام مراقبته لله عز وجل فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

١٢. الصلاة من أسباب إشاعة النظافة بين المؤمنين.

١٣. توحيد اتجاه جميع المصلين إلى بيت الله الحرام إشعار بوجوب توحيد القلوب على أمر الله وطاعته وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد متعاونين متآزرين.

١٤. الصلاة الجامعة: كالجمعة والجماعات وغيرهما تجمع المصلين ليقفوا على أحوال بعضهم بعضا وليتعلموا ويتعاونوا ويتآخوا في دين الله، ومن أجل هذا شرع بناء المساجد في الإسلام، وعد بناؤها من أكبر القربات عند الله.

١٥. تُقَوِّي الصلاةُ خُلُقَ المراقبة والخشية لله عز وجل.

١٦. تكرار الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات يكون تطهيرًا روحيًّا للمسلم، يتطهر بها من غفلات قلبه وزلات لسانه ومقترفات جوارحه.

١٧. الصلاة قوة خلقية هائلة، وفيها إحياء للضمائر المؤمنة تأمرها بالخير وتنهاها عن الشر.

ثالثا: التقييم

س١: أكمل مكان النقاط الفارغة في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهَرًا بباب أحَدِكُمْ ..... فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن .....؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ ..... الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ به الخَطايا.

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1 الوضوء من أسباب:

١. طهارة الجسد من الأوساخ.

٢. طهارة القلب من الذنوب.

٣. كلاهما.

2 الصلوات الخمس:

١. يرفع الله بها الدرجات.

٢. تنجي المسلم من سؤال القبر.

٣. ثوابها ليس بالكثير.

3 شبه النبي غسل القلب من المعاصي:

١. بغسل الجسد.

٢. بكثرة الذكر.

٣. بكثرة العبادات.

4 دل الحديث على:

١. فضل الوضوء والصلاة.

٢. فضل الذكر.

٣. أهمية العبادات الجسدية.

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. الصلوات تمحو الذنوب ولكنها لا ترفع الدرجات. ( )

٢. كان النبي ﷺ ينصح الصحابة بتطهير قلوبهم وأجسادهم. ( )

٣. كان النبي ﷺ يضرب الأمثال لأصحابه ليحسن تعليمهم. ( )

٤. لا فضل للوضوء في دخول الجنة. ( )

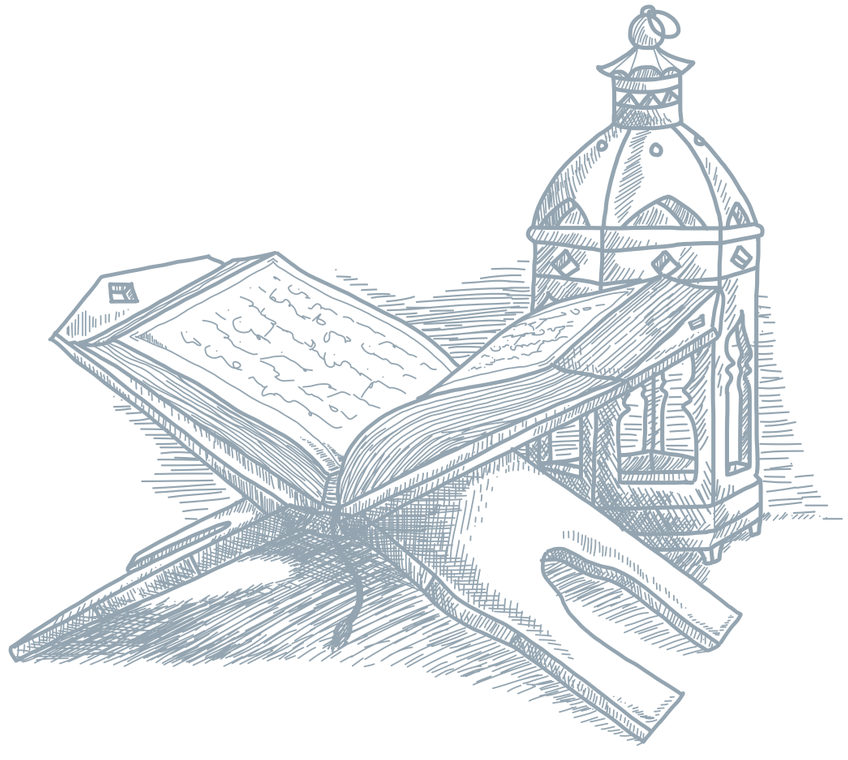

الحديث الرابع عشر:

العمل الإيجابي.. كن قويا

العمل الإيجابي.. كن قويا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" . رواه مسلم (٢٦٦٤).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل ندمت على شيء فعلته قبل، وقلت لو أن الزمان قد عاد بي لفعلت كذا وكذا، ولو أن الموقف تكرر لفعلت فيه غير ما فعلت قبل؟

هل فكرت في معنى كلمة (لو) هذه، وما الحكم الشرعي في قولها؟

إليك معناها وحكمها في هذا الحديث.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تتعرف على فضل القوة.
٦. تعرف الفرق بين قوة الدين وقوة الجسد.
٧. تزداد حرصًا على ما فيه نفع لك.
٨. لا تستعين بأحد إلا بالله تعالى.
٩. تعرف فضل الإيمان المطلق بالقدر.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

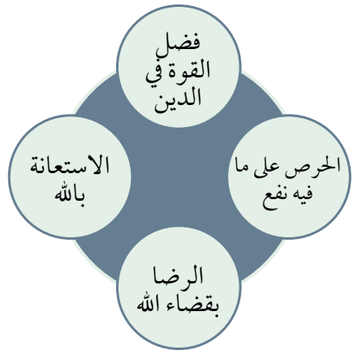

ثانيا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو هريرة، واسمه على الأرجح: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، ولازمَ النبيَّ ﷺ وحرص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ).[1].

(١) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــاط (١)

اذكر من محفوظك القديم ثلاثة من الأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه.

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
الواو في قوله: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ واستعنْ بالله»	حرف الواو هنا من معانيها: المعية، أي أن يكون الشيء مع الشيء، فتقتضي الجمعَ، فتكون الاستعانةُ مقرونةً بالحرص، فيطلب ما ينفعه مستعينا بالله تعالى أيضًا.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُول الله ﷺ أنه قال: "**المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»؛ أي: إن الله تعالى يحب قوَّة المؤمن عامَّةً، وأوَّلها قوَّة الإيمان.

قوله ﷺ: "**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»؛ أي: وفي كلٍّ من المؤمن القويِّ والمؤمن الضعيف خيرٌ بالإيمان.

قوله ﷺ: "**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»؛ أي: احرص واجتهد في تحصيل ما تنتفعُ به في أمر دينك ودنياك. "**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»؛ أي: استعن بالله ولا تفعلْ فعلَ العاجز بالتكاسل وعدم الحزْم وضعف العزيمة.

«**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**»؛ أي: بعد بذل الجهد والاستعانة بالله. "**فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»؛ أي: فقل: هذا تقدير الله وقضاؤه المكتوب، ولا يمكِن أن يتغيَّر عمَّا وقع؛ فإن (لو) تفتح عليك الوساوس والأحزان والنَّدَم والهموم.

٤. الشرح المفصل للحديث:

أخبر النبيُّ ﷺ في هذا الحديث أن المؤمنَ القويَّ - فيما يحبُّ اللهُ تعالى القوَّةَ فيه؛ كقوَّة الإيمان - خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، والقوَّة هنا في كل شيء، سواءٌ في دفع شر العدوِّ ، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر، والصبر على الطاعة، والصبر على الأذى ومخالطة الناس، واحتمال المشاقِّ؛ ولهذا مدح اللهُ ﷻ أصحاب نبيِّه ﷺ بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩][1].

قوله ﷺ: "وفي كلٍّ خيرٌ": وإنما قال ذلك لئلَّا يتوهَّمَ أحدٌ من الناس أن المؤمن الضعيف لا خيرَ فيه؛ بل المؤمن الضعيف فيه خيرٌ؛ لكنه قد فاته الحظُّ الأكبر، والمقام الأفخرُ، وفيه أيضًا جبرٌ لخاطر المؤمن الضعيف[2].

وليس المرادُ بالقويِّ هنا قويَّ البدن فقط؛ لأن قوة البَدَن قد تكون ضررًا على الإنسان إذا استعمل هذه القوَّةَ في معصية الله، فقوَّةُ البدن ليست محمودةً ولا مذمومةً في ذاتها، إن كان الإنسان استعمَل هذه القوَّة فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، صارت محمودةً، وإن استعان بهذه القوَّة على معصية الله، صارت مذمومةً[3].

نشـــاط (٢)

- **هل القوة المرادة في الحديث قوة البدن أم قوة الإيمان؟ ولماذا؟.**

.....

.....

- **أيهما أفضل القوة في البدن أم القوة في الدين؟**

.....

.....

(١) انظر: "شرح النوويِّ على مسلم" (١٦/ ٢١٥)، "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" لعلي القاري (٨/ ٣٣١٨).

(٢) انظر: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العبَّاس القرطبيِّ (٦/ ٦٨٢).

(٣) "شرح رياض الصالحين" للعثيمين (٢/ ٧٦، ٧٧).

فالمراد إذَن بالقوَّة في الحديث: القوّة المحمودة في الإيمان، وما يُرافقها من شدَّة البدن وعزيمة النّفس؛ لأنها تُعين المؤمن على الطاعة، فيكون أكثرَ عملًا، وأطولَ قيامًا، وأكثرَ صيامًا وحَجًّا، وأشدَّ عزيمةً في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّبر على الأذى في كلِّ ذلك، واحتمال المشاقّ في ذات اللهّ تعالى.

وقد تكون القوَّة بالمال والغِنى، فيكون المؤمن أكثرَ نفقةً في سبيل الخير، وأقلَّ مَيلًا إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها[1].

نشـــاط (٣)

اذكر بعض الأمثلة للدعوة إلى الهدى والدعوة إلى الضلالة:

القوة المحمودة	القوة المذمومة

وقوله ﷺ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ واستعنْ بالله، ولا تعجِزْ»؛ أي: استعمل الحرصَ والاجتهادَ في تحصيل ما تنتفعُ به في أمر دينك ودنياك التي تَستعينُ بها على صيانة وعيالكَ، ومكارم أخلاقكَ، ولا تفرِّطْ في طلب ذلك، ولا تتعاجزْ عنه متَّكِلًا على القدر، فتُنسَب للتقصير، وتُلام على التفريط شرعًا وعادةً، ومع إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته، فلا بدَّ من الاستعانة بالله، والتوكُّل عليه، والالتجاء في كلِّ الأمور إليه، فمَن سلكَ هذين الطريقين، حصل على خير الدارين[2].

والأمر بالاستعانة بالله لا يُنافي الاستعانة بالمخلوق فيما يستطيع؛ كحمل صندوق مثلًا، أو قضاء حاجة، فهذا جائزٌ؛ ولكن لا تُشْعِرْ نفسَكَ أنها كاستعانتك بالخالق؛ وإنما عليكَ أن تَشعُرَ أنها كمعونة بعض أعضائك لبعضٍ، كما لو عَجَزتَ عن حمل شيء بيد واحدة، فإنكَ تستعينُ على حمله باليد الأُخرى[3].

(١) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (٨/ ١٥٧).

(٢) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العبَّاس القرطبيِّ (٦/ ٦٨٢).

(٣) "القول المفيد على كتاب التوحيد" لابن عثيمين (٢/ ٣٦٩).

وقد جمع النبيُّ ﷺ في أمره هذا بين أصلين عظيمين، هما مفهوم التوكُّل ومقصودُه؛ فإنه أمرَ بالحرص على النفع مع الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ؛ ليجمع بين الفعل وحُسن التوكُّل، وهذا مطابقٌ لقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]؛ فإن الحرصَ على ما ينفع العبدَ هو طاعةُ الله وعبادته؛ إذ النافعُ له هو طاعةُ الله، ولا شيءَ أنفعُ له من ذلك، وكل ما يُستعان به على الطاعة فهو طاعة، وإن كان من جنس المباح[١].

ثم نهى النبيُّ ﷺ عن العَجز، والمراد: لا تفعلْ فعلَ العاجز من التكاسل وعدم الحزْم والعزيمة، وليس المعنى: لا يُصيبك عجزٌ؛ لأن العجزَ عن الشيء غيرُ التعاجُز؛ فالعجز يكون بغير اختيار من الإنسان.

ونرى بعض الناس يحرصُ على ما يَنفَعُه، ويَشرَعُ فيه، ثم يتعاجزُ ويتكاسلُ ويتركُه. وهذا خلافُ ما أمر به الرسولُ ﷺ، فما دمتَ عرَفتَ أن هذا الأمر نافع لك، فلا تدَعْه؛ لأنك إذا عجَّزت نفسكَ، خَسِرتَ العمل الذي عملتَ، ثم عوَّدتَ نفسكَ التكاسل والتدنِّيَ من حال النشاط والقوَّة إلى حال العجز والكسل، وكم من إنسان بدأ العمل - ولا سيَّما النافعُ - ثم أتاه الشيطانُ، فأقعدَه وثبَّطَه!

وقوله ﷺ: "فلا تقلْ: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا»: النهيُ هنا على القضاء والحتم؛ فإنه كائنٌ لا محالةَ؛ فأنت غير مضمِر في نفسكَ شرط مشيئة الله؛ لأنه سبقَ في علم الله كلُّ ما يناله المرء؛ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٥٧][٢].

ولا يعني هذا أن كلمة (لو) حرامٌ مطلقًا لا يجوزُ النُّطق بها؛ بل الأمر على خلاف هذا؛ فإن الإنسان إن قالها تحسُّرًا على القدر، وتسخُّطًا على قضاء الله، أو ظنَّ فعلًا وحتمًا أنه لو حصل له كذا من إدراك فوز، أو هربٍ من خسارة، دون ردِّ ذلك إلى قضاء الله وقدره، وأنه لا يكون في مُلكه إلا ما يُريد، كان حرامًا عليه، وهذا محلُّ النهي، وهو مثلُ قول الكافرين - كما حكاه الله ﷻ في القرآن -: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨][٣].

أما إن قالها الإنسان على وجه التأسُّف على الخطأ، أو افتراضٍ لأمرٍ مستقبَلٍ أنه لو فعل كذا سيحصل كذا، أو كان منه وهو يعلمُ تمام العلم أن الأمر كله بيد الله ﷻ فجاز ذلك، ومنه قولُ نبيِّ الله هود كما حكاه الله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]، ومنه ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال في أمر المرأة المتلاعِنة: "لو كنتُ راجمًا امرأةً من غير بيِّنة»[٤]، وقوله ﷺ: "لولا أن أشقَّ على أُمَّتي

(١) انظر: أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٥٠).

(٢) "شرح صحيح البخاري" لابن بطال (١٠/ ٢٩٥).

(٣) انظر: "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٥/ ٤٢١).

(٤) رواه البخاري (٧٢٣٨)، ومسلم (١٤٩٧).

لأمرتهم بالسواك»[١]، وقول أبي بكر الصديق ﷺ وهو في الغار مع النبيِّ ﷺ: "لو أن أحدَهم نظَر تحت قدميه لأبصرَنا»[٢]. فإن الإنسان إذا أخبر بـ"لو" عن أمرٍ مستقبلٍ، أو عن أمرٍ كان في استطاعته أن يفعله لولا المانعُ منه، أو كان حديثُه على غير التسخُّط على قَدَر الله عزَّ وجلَّ، كان جائزًا[٣]؛ ولهذا عقد الإمام البخاريُّ بابًا في صحيحه باسم: باب ما يجوز من اللَّوْ[٤].

وبهذا يوجِّه النبيُّ ﷺ إلى سلوكٍ قيِّم حيث يُصيب الإنسانَ الضُّرُّ؛ إذ لا تخلو الحياة من المتاعب والبؤس، فيأمر النبيُّ ﷺ بترك التأفُّف من القَدَر، وعدم الأسف على ما فات، والندم عليه بقولنا: "لو أني فعلتُ كذا لكان كذا، أو لما حدث كذا"؛ فإن هذا مما يجعل للشيطان عليكَ سبيلًا؛ فإنكَ لا تستطيع تغييرَ الواقع بهذه المقولة.

ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ الاحتجاج بالقدر ممنوعٌ إذا أراد الإنسان أن يستمرَّ على المعصية؛ ليَدفَع اللَّوم عن نفسه، نقول مثلًا: يا فلان، صلِّ مع الجماعة، فيقول: والله لو هداني الله لصلَّيتُ، فهذا ليس بصحيح؛ لأن هذا يحتجُّ بالقدر؛ ليستمرَّ في المعصية والمخالفة؛ لكن إن وقع الإنسان في خطأ وتاب إلى الله، وأناب إلى الله وندم وقال: إن هذا الشيء مقدَّر عليَّ؛ ولكن أستغفر الله وأتوب إليه. نقول: هذا صحيح، إن تاب واحتجَّ بالقدر، فليس هناك مانع[٥].

ولكن يجوز أن يحتجَّ الإنسان بالقَدَر على ما ليس في مقدوره، ولا يجوز له أن يحتجَّ بالقَدَر ويتكاسل عن الفعل الذي يستطيع.

نشـــاط (٤)

اذكر بعض الحالات التي يجوز أن تقال فيها كلمة (لو) والحالات التي لا يجوز أن تقال فيها مع ذكر الأمثلة.

.....

.....

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٥٨)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٦٣٨).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٨٥).

(٥) "شرح رياض الصالحين" للعثيمين (٢/ ٨٦).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِن اللهِ لِلْفَتَى	فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ	وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ
بِمَنْ يستغيثُ العبدُ إلَّا بربِّهِ	ومَنْ للفتى عند الشدائد والكربِ؟
ومَن مالكُ الدنيا ومالكُ أهلِها	ومَنْ كاشفُ البلوى على البُعدِ والقُربِ؟
ومَنْ يرفع الغمَّاءَ وقتَ نزولها	وهل ذاك إلَّا مِنْ فعالك يا ربي؟!

٦. من هدايات الحديث:

١. إذا شرعتَ في عمل خير، فاستمرَّ فيه بقوَّة، ولا تَعجِز، ولا تتأخَّر، ولا تقل: إن المدى طويل، والشغل كثير.

٢. احرص على كل شيء ينفعك في الدنيا والآخرة، ولكن اعلم أنه إذا تعارضت مَنفَعة الدين ومنفعة الدنيا، فقدِّم منفعة الدين؛ لأن الدين إذا صَلَح صَلَحت الدنيا، أما الدنيا إذا صلحت مع فساد الدين، فإنها تَفسَد.

٣. يوجِّه النبيُّ ﷺ إلى سلوكٍ قيِّم حيث يُصيب الإنسانَ الضُّرُّ؛ إذ لا تخلو الحياة من المتاعب والبؤس، فيأمر النبيُّ ﷺ بتركِ التأفُّف من القَدَر، وعدم الأسف على ما فات، والندم عليه بقولنا: "لو أني فعلتُ كذا لكان كذا، أو لما حدث كذا"؛ فإن هذا مما يجعل للشيطان عليكَ سبيلًا؛ فإنكَ لا تستطيع تغييرَ الواقع بهذه القولة.

٤. إن الله ﷻ يحبُّ مُقتَضى أسمائه وصفاته وما يوافقها؛ فهو القويُّ، ويحبُّ المؤمن القويَّ، وهو وتر يحبُّ الوتر، وجميل يحبُّ الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحبُّ المؤمنين، ومحسِنٌ يحبُّ المحسنين، وصابرٌ يحبُّ الصابرين، وشاكرٌ يحبُّ الشاكرين[1].

(١) "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" لابن القيم (ص: ١٩).

٥. الأمورُ أمران: أمرٌ فيه حِيلَة، وأمرٌ لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يُعجَز عنه، وما لا حيلة فيه، لا يُجزَع منه[1].

٦. كان النبيُّ ﷺ يُكثِر أن يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ، وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[2].

٧. الإسلام يسعى إلى رفع الهمم وتطوير الذات، فلا يرضى منكَ - وأنت مؤمنٌ - أن تكون ضعيفًا؛ بل يدعوك لأن تسموَ بنفسكَ إلى القوَّة والإقدام، وتأخذ بأسباب التفوُّق والارتقاء، فإن أدركتَ ذلك فهو المطلوب، وإن لم تدرك فأنت على خيرٍ.

٨. إذا بذلتَ الجهد، واستعنتَ بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد، فلا تندم، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، إذا قلتَ هذا، انفتح عليك من الوساوس والندم والأحزان ما يُكدِّر عليك الصَّفْوَ، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلِّم الأمر لله تعالى، قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل.

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. الاستعانة فيما لا يستطيعه الإنسان تكون من:
   ١. الله تعالى وحده.
   ٢. من الله والناس.
   ٣. من الناس.

2. الأمور التي يقدر عليها الإنسان:
   ١. يصح أن يستعان به.
   ٢. يكره أن يستعان به فيها.

(١) "مجموع الفتاوى" (٨/ ٢٨٥).
(٢) رواه البخاريُّ (٦٣٦٣).

٣. الاستعانة به شرك.

3 إذا حدث للإنسان ما يكره يقول:

١. قدر الله وما شاء فعل.

٢. سبحان الله وبحمده.

٣. لا إله إلا الله.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. قوة البَدَن قد تكون ضررًا على الإنسان إذا استعمل هذه القوَّةَ في معصية الله. ( )

٢. الأمر بالاستعانة بالله لا يُنافي الاستعانة بالمخلوق فيما يستطيع. ( )

٣. كلمة (لو) حرامٌ مطلقًا لا يجوزُ النُّطق بها. ( )

٤. الاحتجاج بالقدر ممنوع إذا أراد الإنسان أن يستمرَّ على المعصية. ( )

٥. وجد شرا في عمله فلا يلومن إلا نفسه. ( )

س٣: في هذا الجدول عبارات استخدمت فيها كلمة (لو) إذا كان التعبير جائزا فضع علامة في مربع (صواب) وإذا كان غير جائز فضع علامة في مربع (خطأ).

العبارة	صواب	خطأ
لو جاء محمد لأكرمته		
لو أخذت الدواء لشفيت		
لو لم يخرج خالد لم يمت		
لو أقمت عندنا لأكرمناك		
لو كنت حفظت القرآن لنفعني الآن		

الحديث الخامس عشر:

أخلاق المسلم

أخلاق المسلم

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَكْمَلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا. وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

نحن نعلم أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الناس يتفاوتون فيه بحسب ما وقر في قلوبهم، وبحسب ما يصدِّق ذلك أيضًا من أعمالهم بالجوارح واللسان، والنبي ﷺ يخبر في هذا الحديث أن أكملهم في هذا الإيمان هم أحسنهم أخلاقًا، فدل ذلك على أن الإيمان يعظم ويكمل بكمال الأخلاق، وأن الأخلاق تثقل الموازين، وأنها تزيد في إيمان العبد حتى يصل إلى مراتب الكمال، فهل تعلم من هو أكمل الناس إيمانا؟!

ستجد الإجابة والتعليل في هذا الحديث فاقرأه بحرص وعناية وتدبر.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. معرفة كيف يزيد الإيمان وينقص.
٦. تعرف قيمة حسن الخلق.
٧. تعرف منزلة الإحسان إلى الأهل.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. زيادة الإيمان ونقصانه.

٢. حسن الخلق.

٣. إكرام المرأة.

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو هريرة، واسمه على الأرجح: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ على يدي الطفيل بن عمرو الدوسي، ولازمَ النبيَّ ﷺ ما يقرب من أربع سنين، وحرص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ).

نشـــاط (١)

لأبي هريرة راوي الحديث ﷺ أحاديث أخرى تكلمت عن حسن الخلق، اذكر شيئا مما تحفظه أو اطلعت عليه منها:

.....

.....

.....

٢. المعنى الإجمالي للحديث:

«**أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا**" ذكر النبي ﷺ أن المؤمن الكامل الإيمان هو المؤمن حسن الخلق الذي يعامل الناس بخلق الإسلام.

«**وخيارُكُم خيارُكُم لنسائِهِم**" ثم وصى النبي ﷺ بالنساء، وبين أن خير الرجال من يعامل نساءه بحسن الخلق وبتعاليم الدين فلا يظلمهن.

٣. الشرح المفصل للحديث:

الإيمان يتفاوت ويتفاضل كما قال الله تعالى: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) [المدثر: ٣١]، وليس الناس في الإيمان سواء؛ من الناس من يؤمن بالغيب وكأنه يشاهد شهود عيان، يؤمن بيوم القيامة وكأنه الآن في تلك الساعات، يؤمن بالجنة وكأنها في تلك الرياض، يؤمن بالنار وكأنه يراها بعينه، يؤمن إيمانًا حقيقيًا مطمئنًا لا يخالطه شك، أما حسن الخلق مع الله، فأن يرضى الإنسان بشريعته، وينقاد إليها راضيًا، مطمئنًا بها، مسرورًا بها سواء كانت أمر يؤمر به، أو نهيًا ينهى عنه.

نشـــاط (٢)

الإيمان يزيد وينقص، اذكر بعض الأعمال التي تزيد الإيمان وبعض الأعمال التي تنقص الإيمان.

زيادة الإيمان	نقصان الإيمان

وهنا بيَّن النبي ﷺ درجة كمال الإيمان وتمام الدين، وذكر أن أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقًا، فكلما ازداد خلقك ازداد إيمانك، قوله: "أحسنهم خلقًا»، وهذا يدلنا على فضل الأخلاق الحسنة، وأن صاحبها يكون بهذه المنزلة الرفيعة التي بينها رسول الله ﷺ، فهو أكمل المؤمنين إيمانًا، وذلك لأنه يعاملهم بالمعاملة الطيبة، ويخالق الناس بالمخالقة الحسنة، ويعامل الناس كما يحب أن يعملوه، ومعلوم أن الإنسان يحب أن يعامله الناس معاملة طيبة، فإذا أراد ذلك؛ فعليه أيضًا أن يعامل غيره معاملة طيبة، فيحب لغيره ما يحب لنفسه.

فحسن الخلق مع الناس يكون بكف الأذى وبذل الندى، والصبر عليهم وعلى أذاهم، هذا من حسن الخلق مع الناس، الندى يعني العطاء سواء كان مالًا أو جاهًا أو غير ذلك، وكذلك تصبر على البلاء منهم، فإذا كنت كذلك؛ كنت أكمل الناس إيمانًا . فأحسن الناس خلقًا لا بد أن يكون أصدقهم حديثًا، لا بد أن يكون أصدقهم إيمانًا، وأخلصهم نية، وأكثرهم التزامًا بما يجب على العباد نحو ربهم من عبادة، وحسن توجه له وصلة به، وأكثرهم التزامًا بحقوق الناس المادية والأدبية.

نشـــاط (٣)

بعد اطلاعك على كتب السيرة النبوية، اذكر بعض المواقف التي بينت حسن خلق النبي ﷺ مع الناس:

.....

.....

.....

.....

ومن المستبعد جدًّا أن يكون الإنسان ذا خلق كريم مع الناس محبًّا للحق معطاءً متواضعًا صبورًا عليهم رحيمًا بهم، ودودًا لهم، متسامح النفس معهم، ثم لا يكون ذا خلقٍ كريمٍ مع ربِّهِ.

فدل على أن حسن الخلق إيمان وعدمه نقصان إيمان وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم فبعضهم أكمل إيمانا من بعض. ومن ثم كان المصطفى ﷺ أحسن الناس خلقا لكونه أكملهم إيمانًا[1].

أما قول الرسول ﷺ في الحديث: "وخياركم خياركم لنسائهم" فيكشف الرسول ﷺ فيه أدقَّ الموازين والكواشف التي تكشف عن حقيقة خَلْقِ الإنسان، فأحسن الناس خلقًا في المعاملة، ومعاشرة النساء هم أحسنهم خلقًا؛ فهم بسبب ذلك خيارهم؛ لأن خير الناس هم أحسنهم خلقًا. فخير الناس من يحسن إلى أهله ويعاشرهم بالمعروف.

ومن المعروف أن الإنسان قادر على أن يتصنع التظاهر بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك إلى فترة معينة، ومع بعض الناس، أما أن يتصنع ذلك في كل الأوقات، ومع كل الناس؛ فذلك من غير الممكن ما لم يكن فعلًا ذا خلق كريم؛ لذلك ترى الرجل إذا دخل بيته وخلى بأهله وأولاده ظهر خلقه الحقيقي الذي به نشأ وعليه تربي؛ لذا أوصانا النبي ﷺ بالإحسان إلى النساء. فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ ما حق امرأة أحدنا عليه، والصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سألوا النبي ﷺ فإنما يسألون ليعملوا لا ليعلموا فقط؛ خلافًا لما عليه كثير من الناس اليوم يسألون ليعلموا ثم لا يعمل إلا قليل منهم، فسأله معاوية رضي الله عنه: ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت" يعني لا تخص نفسك بالكسوة دونها، ولا بالطعام دونها؛ بل هي شريكة لك يجب عليك أن تنفق عليها كما

(١) "فيض القدير" (٢/ ٩٧).

تنفق على نفسك، حتى إن كثيرًا من العلماء يقول: إذا لم ينفق الرجل على زوجته وطالبت بالفسخ عند القاضي؛ فللقاضي أن يفسخ النكاح؛ لأنه قصر بحقها الواجب لها.

قال ﷺ: "ولا تضرب الوجه ولا تقبح" فلا تضربها إلا لسبب وإذا ضربتها فاجتنب الوجه وليكن ضربًا غير مبرح، وقد سبق لنا أن الإنسان إذا رأى من امرأته نشوزًا وترفعًا عليه، وأنها لا تقوم بحقه؛ وعظها أولًا، ثم هجرها في المضجع، ثم ضربها ضربًا غير مبرح فإذا حق له أن يضربها لوجود السبب، فإنه لا يضرب الوجه.

وكذلك غير الزوجة لا يضرب على الوجه، فالابن إذا أخطأ لا يضرب على الوجه؛ لأن الوجه أشرف ما في الإنسان، وهو واجهه البدن كله، فإذا ضرب كان أذل للإنسان مما لو ضرب غير وجهه، يعني يضرب الرجل على كتفه، على عضده، على ظهره؛ فلا يرى بذلك أنه استدل كما لو ضربته على وجهه، ولهذا نهي عن ضرب الوجه وعن تقبيح الوجه.

قوله ﷺ: "لا تقبح" يعني لا تقل: أنت قبيحة، أو قبح الله وجهك، ويشمل النهي عن التقبيح: النهي عن التقبيح الحسي والمعنوي، فلا يقبحها مثل أن يقول: أنت من قبيلة رديئة، أو من عائلة سيئة، أو ما أشبه ذلك. كل هذا من التقبيح الذي نهى الله عنه.

نشـــاط (٤)

كان النبي ﷺ أرفق الناس بأهله، اذكر بعض الأمثلة التي تبين طريقة تعامل النبي ﷺ مع أهل بيته، وكيف نقتدي به:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٤. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

إني لتطربني الخلالُ كريمةٌ	طربَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقِ
ويهزُّني ذكرُ المروءةِ والنَّدى	بين الشّمائلِ هزّةَ المشتاقِ
فإذا رزقتَ خليقة محمودة	فقدِ اصطفاكَ مقسّمُ الأرزاقِ
فالناسُ هذا حظهُ مالٌ، وذا	علمٌ وذاك مكارمُ الأخلاقِ

٥. من هدايات الحديث:

١. حسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله تعالى.

٢. إذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبه الله والناس.

٣. حسن الخلق يألف الناس ويألفه الناس.

٤. لا يكرم العبد نفسه بمثل حسن الخلق ولا يهينها بمثل سوئه.

٥. حسن الخلق سبب في رفع الدرجات وعلو الهمم.

٦. حسن الخلق سبب في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه يوم القيامة.

٧. حسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع.

٨. حسن الخلق يحول العدو إلى الصديق.

٩. حسن الخلق سبب لعفو الله وجالب لغفرانه.

١٠. يمحو الله بحسن الخلق السيئات.

١١. يدرك المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم.

١٢. حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة.

١٣. حسن الخلق يجعل صاحبه ممن ثقلت موازينه يوم القيامة.

١٤. حسن الخلق يحرم جسد صاحبه على النار.

١٥. حسن الخلق يصلح ما بين الإنسان وبين الناس.

١٦. وبالخلق الحسن يكثر المصافون ويقل المعادون.

١٧. قال الحسن رضي الله عنه: "حسن الخلق: الكرم والبذلة والاحتمال".

١٨. وعنه رضي الله عنه: "حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى".

١٩. عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق، قال: "هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى".

٢٠. وعنه أنه قال: "حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس".

٢١. قال الإمام أحمد رحمه الله: "حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد".

٢٢. قال الأحنف بن قيس: "ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدني، واللسان البذي".

٢٣. قال الماوردي رحمه الله: "إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب".

ثالثا: التقييم

س١: أكمل مكان النقط الفارغة في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أكْملُ المؤمنينَ ..... أحسنُهُم خلقًا. وخيارُكُم ..... لنسائِهِم".

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1 الإيمان:

١. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٢. لا يزيد ولا ينقص.

٣. يزيد ولا ينقص.

2 حسن الخلق:

١. جميعه واجب.

٢. جميعة مستحب.

٣. منه واجب ومنه مستحب.

3 حسن الخلق له يكون:

١. من الغرباء فقط لأنه دليل صدق الخلق.

٢. مع الأقارب فقط لأنه دليل الوصل.

٣. مع الجميع.

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. الناس في الإيمان سواء. ( )

٢. يحاسب المسلم على خلقه في الدنيا لا الآخرة لأنه ليس عبادة. ( )

٣. سوء الخلق حرية؛ لأنه لا يؤثر على الإنسان ولا على من حوله. ( )

٤. من حسن خلقه حسن دينه. ( )

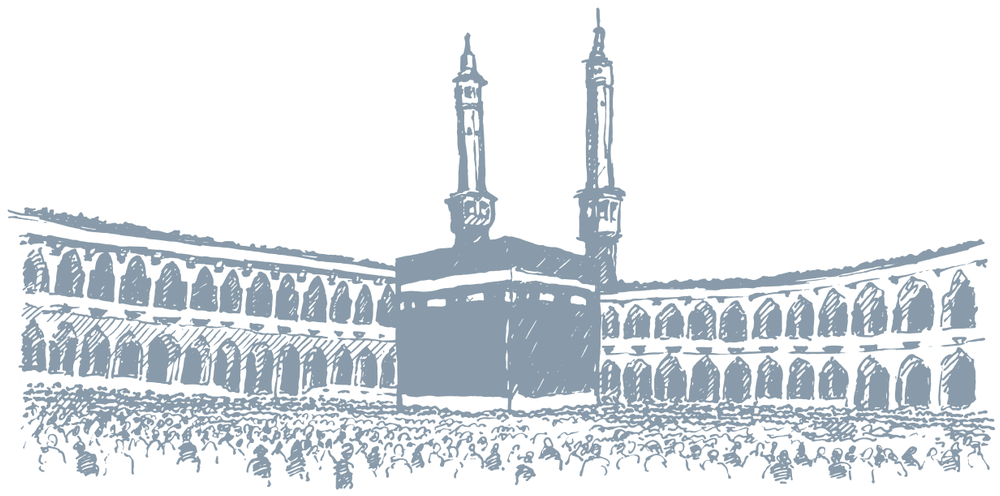

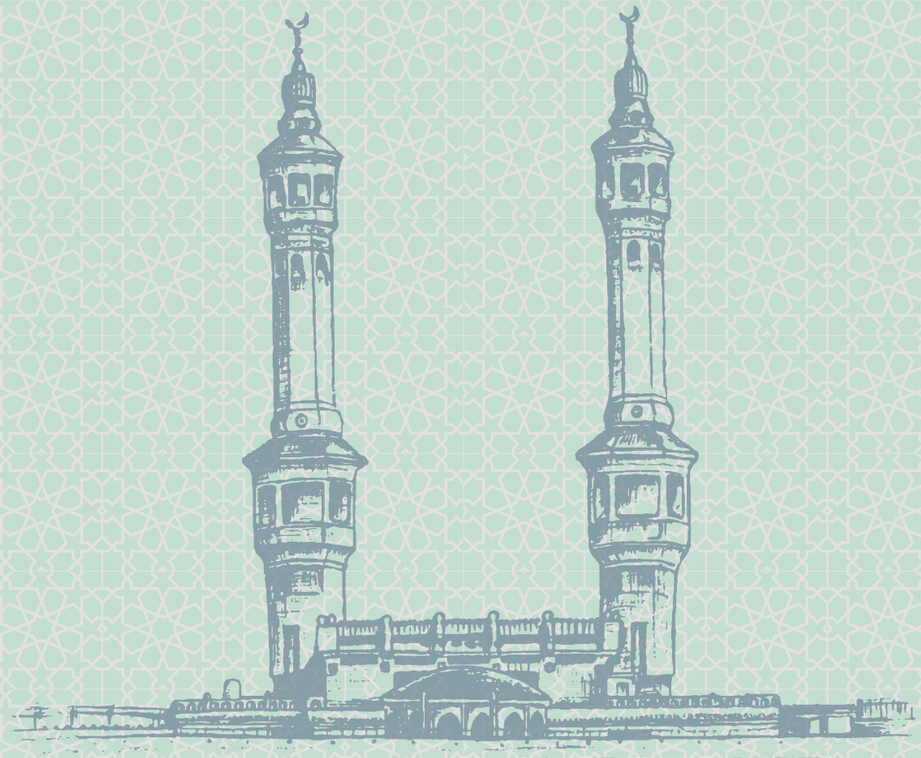

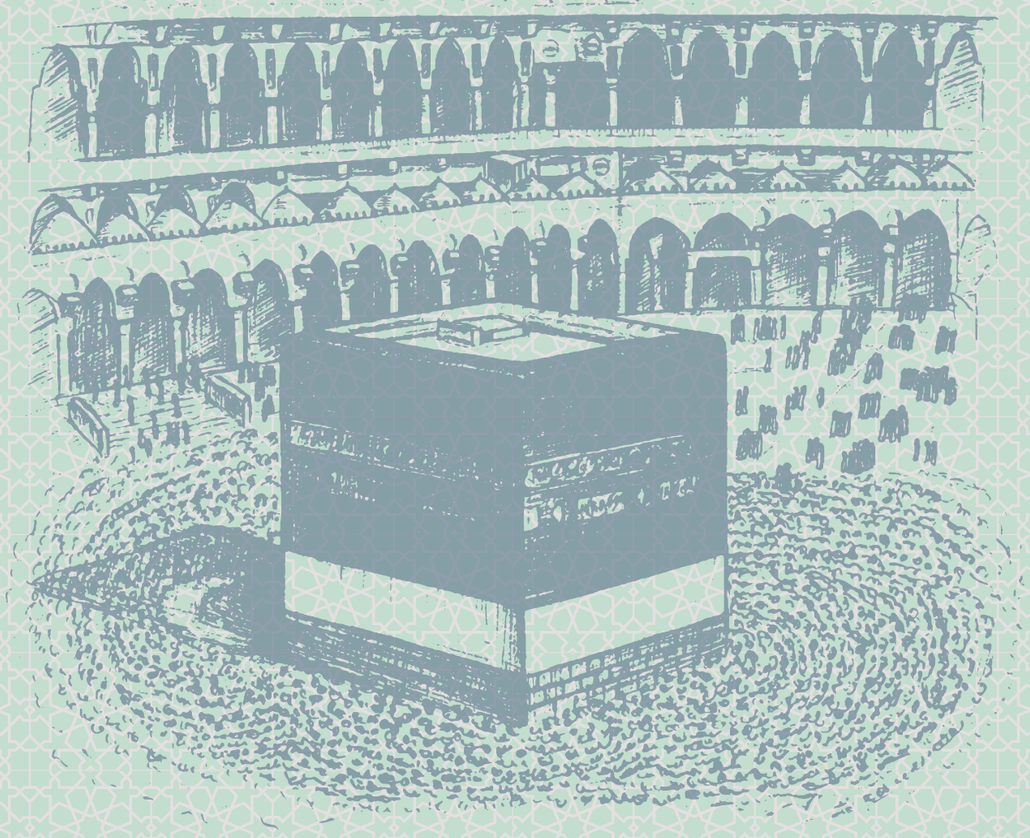

الحديث السادس عشر:

المجاهدة طريق النجاح

المجاهدة طريق النجاح

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ". رواه مسلم (٢٨٢٢).

وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ". رواه البخاريُّ (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل فكرت قبل ذلك في طريق الجنة وطريق النار؟

ولماذا كانت العبادات والطاعات ثقيلة على بعض الناس وكانت المعاصي محببة للنفس البشرية؟

اقرأ هذا الحديث وتدبر شرحه جيدا، وستجد فيه الجواب الكافي والمقنع عما يدور برأسك من سؤال.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث
٥. تتعرف على طريق الجنة والنار.
٦. تعرف سبب الوصول إلى الجنة.
٧. تتعرف على الأشياء التي تتجنب بها النار

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

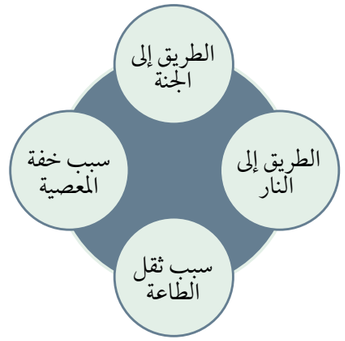

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو حمزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابتِه من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابنُ عَشْرٍ، ومات وهو ابنُ عشرين، وكان يَخدُم النبيَّ ﷺ فصَحِبه أتمَّ الصُّحْبةِ، ولازَمَه أكملَ المُلازمة منذ هاجرَ، وإلى أن مات، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وبايَع تحتَ الشجرة. روى عن النبيِّ ﷺ عِلْمًا جمًّا، وعن أبي بكر، وعمرَ، وعثمانَ، وغيرِهم، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، وكانت نَخَلاته تحمل في السَّنة مرتَين، أخرج حديثَه الأئمةُ الستةُ، "مُسْنَدُه ألفانِ ومِائتانِ وستَّةٌ وثمانون، اتَّفق له

البخاريُّ ومسلم على مِائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاريُّ بثمانين حديثًا، ومسلمٌ بتسعين"[1]، تُوفِّيَ سنةَ: (٩٣هـ)[2].

نشـــاط (١)

كان أنس ابن مالك رضي الله عنه خادم النبي ﷺ؛ لذا كان النبي ﷺ يحبه وكثيرا ما يدعو له.

- **بم دعا النبي ﷺ لأنس؟ وكيف تحقق هذا الدعاء؟**

.....

.....

.....

- **اذكر بعض مظاهر خدمة أنس رضي الله عنه للنبي ﷺ:**

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
حفت	أحيطت.
المكاره	ما يكرهه المرء ويشق عليه.
الشهوات	ما يستلذ من أمور الدنيا.

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٤/ ٤٢٣).

(٢) تراجع ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، "معجم الصحابة" للبغويِّ (١/ ٤٣)، "أسد الغابة" لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أَنَسُ بنُ مالكٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، ويروي أَبو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»؛ أي: أن الجنَّة قد أُحيطت بالمكاره، والنارَ قد أُحيطت بالشَّهوات.

فلا يوصَل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، من فعل الطاعات والواجبات، واجتناب المنهيَّات والمحرَّمات، وأُطلِق عليها مَكَارهُ؛ لِمَشقَّتها على العامل، وصُعوبتِها عليه.

ولا يوصَل إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، وهي المُلذَّات التي مَنَع الشرع من تعاطيها، أو التي قد تؤدِّي إلى ترك الواجبات، أو الوقوع في المحرَّمات، فالجنة والنار محجوبتان، فمن هتَك الحجاب، وصَل إلى المحجوب.

٤. الشرح المفصل للحديث:

هذا الحديث من جوامع كَلِمه ﷺ وبديع بلاغته في ذمِّ الشَّهوات، وإن مالت إليها النُّفوس، والحضِّ على الطَّاعات، وإن كرهتها النُّفوس، وشقَّ عليها[1].

لقد جعَلَ الله تعالى الجنَّةَ جزاءً للمُؤمنين الصابرين، وجعل النارَ جزاءً للكافرين والعاصين؛

فقد خَلَق اللهُ الخَلْقَ، وأرسل إليهم الرُّسل، وأنزل عليهم الكُتب، وبيَّن لهم طريقَي الخَير والشَّرِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ورتَّب لهم الثواب والعقاب على أعمالهم؛ فقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فيَصيرون إلى النار بعَدْلِه، أو إلى الجنَّة برحمتِه وفضله، وأعَدَّ الله الجنَّة للصالحين من عباده وأوليائه، جَعَلَنا اللهُ من أهلها؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأخفى لهم فيها ثَوَابًا لا يَعلَم مِقدارَه إلا اللهُ تعالى؛ جزاءً على أعمالهم؛ قال الحسن البصري رضي الله عنه: "أخفى القَوم أعمالًا في الدنيا، فأخفى الله لهم ما لا عَيْنٌ رأت، ولا أُذن سَمعت"[2]، وجَعَل النَّارَ من نَصيب الكفَّار والمُذنبين من خلقه، أعاذنا الله منها؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٣٢٠).

(٢) "تفسير الكشاف" للزمخشريِّ (٣/ ٥١٣).

نشـــاط (٢)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (قَالَ اللهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ).

بين مقدار نعيم الجنة من خلال فهمك لهذا الحديث الشريف.

.....

.....

.....

"وقد امتحن اللهُ سبحانه عباده في هذه الدار بالمحرَّمات من الشهوات والشُّبهات، وجعل في النَّفس داعيًا إلى حُبِّها، مع تمكُّن العبد منها، وقُدرته عليها، فمن أدَّى الأمانة، وحَفِظ حدودَ الله، ومَنَع نفسه ما يُحبُّه من محارم الله، كان عاقبتُه الجنةَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ - ٤١]، فلذلك؛ يحتاج العبدُ في هذه الدار إلى مُجاهدة عظيمة، يُجاهد نفسه في الله ﷻ فمن كانت نفسُه شريفةً، وهِمَّته عاليةً، لم يَرْضَ لها بالمعاصي؛ فإنَّها خيانةٌ، ولا يرضى بالخيانة إلَّا مَن لا نَفْسَ له. قال بعضُ السَّلف: رأيتُ المعاصي نذالةً، فتركتُها مروءةً، فاستحالت دِيانةً. وقال آخَرُ منهم: تركتُ الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الوَرَع. وقال آخَرُ: مَن عَمِل في السرِّ عَمَلًا يَسْتَحْيِي منه إذا ظهر عليه، فليس لنفسه عنده قَدْرٌ. قال بعضهم: ما أَكرَم العبادُ أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهانوها بمثل معاصي الله ﷻ فمن ارتكب المحارم، فقد أهان نفسه"[1].

وفي هذا الحديث روى أَنَسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، وفي رواية أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ".

"وهو من جوامع كَلِمِهِ ﷺ وبديع بلاغته في ذمِّ الشَّهوات، وإن مالت إليها النُّفوس، والحضِّ على الطَّاعات، وإن كرهتها النُّفوس، وشقَّ عليها"[2].

"قوله ﷺ "حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النّار بالشّهوات" هكذا رواه مسلم (حُفَّت)، ووقع في البخاريِّ

(١) "مجموع رسائل ابن رجب" (١/ ٢٠٣).

(٢) "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٣٢٠).

(حُفَّت)، ووقع فيه أيضًا (حُجِبَتْ)، وكلاهما صحيح. قال العلماء: هذا من بَديع الكلام وفَصيحه وجوامعه الّتي أوتيها ﷺ من التَّمثيل الحَسَن، ومعناه: لا يوصَل إلى الجنَّة إلَّا بارتكاب المكاره، ويُؤتى إلى النَّار من قبيل الشّهوات، فهما محجوبتان بهما، فمن هَتَك الحجاب، وَصَل إلى المحجوب، فهتكُ حجاب الجنّة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النّار بارتكاب الشّهوات، فأمّا المكاره، فيَدخُل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصّبر على مشاقِّها، وكَظم الغيظ، والعفو، والحِلم، والصَّدقة، والإحسان إلى المسيء، والصّبر عن الشَّهوات، ونحو ذلك، وأمّا الشّهوات الّتي النّارُ محفوفةٌ بها، فالظّاهر أنّها الشّهوات المحرَّمة؛ كالخمر والزِّنا، والنَّظَر إلى الأجنبيَّة، والغِيبة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك، وأمّا الشّهوات المباحة، فلا تَدخُل في هذه؛ لكن يُكرَه الإكثار منها؛ مخافةَ أن يَجُرَّ إلى المحرَّمة، أو يقسِّيَ القلب، أو يَشغَل عن الطَّاعات، أو يُخْوِج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا»[1].

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [الصف: ٦].

- **لماذا كانت الصلاة كبيرة وثقيلة على الناس إلا على الخاشعين؟**

.....

.....

- **لماذا سميت الطاعات وأمور الخير والتكاليف الشرعية بالمكاره؟**

.....

.....

و"إنّ المراد بالمُكَاره هنا ما أُمِر المكلَّف بمجاهدة نفسه فيه فعلًا وتركًا؛ كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيَّات قولًا وفعلًا، وأَطلَق عليها المُكاره لمشقَّتها على العامل، وصُعوبتها عليه، ومن جُملتها الصَّبر على المُصيبة، والتَّسليم لأمر الله فيها، والمُراد بالشَّهوات ما يُستلَذُّ من أمور الدُّنيا ممَّا مَنَع الشَّرع من تعاطيه، إمَّا بالأصالة، وإمَّا لكون فِعْلِه يَستلزِم تركَ شيء من المأمورات، ويَلتحِق بذلك الشُّبُهاتُ.

(١) "شرح النوويِّ على مسلم" (١٧/ ١٦٥).

والشَّهَوات: هي ما تميل إليه النفس، من غير تعقُّل، ولا تبصُّر، ولا مُراعاة لدِين ولا لمُروءة؛ فالزِّنى شَهْوةُ الفَرْج، تميل إليها النفس كثيرًا، فإذا هَتَكَ الإنسان هذا الحِجاب، فإنه سيكون سببًا لدخوله النارَ. وكذلك شُرْبُ الخَمر، تهواه النفس، وتميل إليه؛ ولهذا جَعَل الشارع له عقوبةً رادعة بالجَلْدِ، فإذا هَتَك الإنسان هذا الحجابَ وشَرِب الخمر، أدَّاه ذلك إلى النار، وكذلك حبُّ المال، شهوة من شهوات النفس، فإذا سَرَق الإنسان بدافع شَهْوةِ حبِّ جَمْعِ المال، فقد هَتَك هذا الحجاب، فيَصِل إلى النار، ومن ذلك الغشُّ من أجل أن يَزيد ثمن السلعة، هذا تهواه النفس، فيَفعَله الإنسان، فيَهتِك الحجاب الذي بينه وبين النار، فيدخل النار. والاستطالة على الناس، والعُلُوُّ عليهم، والترفُّع عليهم، كلُّ إنسان يحبُّ هذا، وتهواه النفس، فإذا فَعَله الإنسان، فقد هَتَك الحجاب الذي بينه وبين النار، فيصل إلى النار.

قال: "وحُفَّت الجنَّة بالمكاره" أو "حُجبت بالمكاره»؛ يعني: أُحِيطت بها تَكرَهُه النُّفوس؛ لأن الباطل محبوبٌ للنفس الأمَّارة بالسُّوء، والحقَّ مكروهٌ لها، فإذا تَجاوز الإنسان هذا المكروه، وأَكرَه نفسه الأمَّارة بالسوء على فعل الواجبات، وعلى ترك المحرَّمات، فحينئذٍ يَصِل إلى الجنَّة. ولهذا تجد الإنسانَ يَستثقِل الصَّلواتِ مثلًا، ولا سيَّما في أيام الشتاء والبَرد، خاصةً إذا كان في الإنسان نومٌ كثير، بعد تَعَب وجَهْدٍ، فتجد الصلاةَ ثقيلةً عليه، ويَكرَه أن يقوم ويَترُك الفِراش اللَّيِّن الدافئ؛ ولكن إن هو كَسَر هذا الحاجبَ، وقام بهذا المكروه، وصل إلى الجنَّة... لأن الجنة حُفَّت بالمكاره؛ فاجتنابُ المحرَّمات مكروهٌ إلى النفوس، وشديدٌ عليها، لا سيَّما مع قوَّة الداعي، فإذا أَكرَهت نفسك على ترك هذه المحرَّمات، فهذا من أسباب دخول الجنة»[1].

نشـــاط (٤)

اذكر بعض الحلول الشرعية التي يفعلها المسلم عندما يجد في نفسه فتورا وتكاسلا عن العبادة، ويرى أن التكاليف الشرعية صارت من المكاره.

.....

.....

.....

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (٢/ ٨٧ - ٨٩).

"فلولا أنه سبحانه يُداوي عباده بأدوية المِحَن والابتلاء، لَطَغَوْا، وبَغَوْا، وعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا، سقاه دَواء من الابتلاء والامتحان على قَدْرِ حاله، يَستفرِغ به من الأدواء المهلِكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه، أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عُبوديتُه، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقُربه. ومن علاجها: أن يَعلَم أن مرارة الدنيا هي بعَينها حلاوة الآخرة، يَقلِبها الله سبحانه كذلك، وحلاوة الدُّنيا بعينها مرارةُ الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطِعة إلى حلاوة دائمة، خيرٌ له من عكس ذلك، فإن خَفِيَ عليكَ هذا، فانظر إلى قول الصادق المصدوق: "حفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات"، وفي هذا المُقام تَفَاوتَت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال؛ فأكثرُهم آثَر الحلاوة المنقطِعة على الحلاوة الدائمة التي لا تَزول، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذُلَّ ساعة لعِزِّ الأبد، ولا محنةَ ساعة لعافية الأبد، فإنَّ الحاضر عنده شَهَادة، والمنتظَر غَيْبٌ، والإيمانَ ضَعيف، وسُلطان الشهوة حاكم، فتَولَّد من ذلك إيثارُ العاجلة، ورفضُ الآخرة، وهذا حال النَّظَر الواقع على ظواهر الأمور، وأوائلها، ومبادئها، وأما النَّظَرُ الثاقب الذي يَخرِق حُجُب العاجلة، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأنٌ آخَرُ. فادْعُ نفسك إلى ما أَعَدَّ الله لأوليائه وأهلِ طاعته من النعيم المُقيم، والسعادة الأَبَدية، والفوز الأكبر، وما أَعَدَّ لأهل البَطالة والإضاعة من الخِزْيِ والعِقاب والحَسَرات الدائمة، ثم اخْتَرْ أيَّ القِسمينِ أَلْيَقُ بك، وكلٌّ يَعمَل على شاكِلته، وكلُّ أحد يصبو إلى ما يناسِبه، وما هو الأَوْلى به، ولا تَستطِلْ هذا العلاج؛ فشِدَّةُ الحاجة إليه من الطَّبيب والعَليل دَعَت إلى بَسْطِه، وبالله التوفيق"[1].

(١) "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم (٤/ ١٧٩، ١٨٠).

نشـــاط (٥)

عن أبي هُريرةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ، قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»[1].

- **ما الذي وقع في قلبك ودار في مخيلتك عند قراءة هذا الحديث؟**

.....

.....

- **ما وجه الشبه بين هذا الحديث والحديث الذي معنا؟ وما الفرق بينهما؟**

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:[1]

وَخُذْ من تُقَي الرَّحمنِ أَعظمَ جُنَّةٍ	لِيومٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهنَّمُ
وَيُنْصَبُ ذاكَ الجَسرُ من فوقِ مَتنِهَا	فَهَاوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمُ
وَيَأتِي إِلَهُ العَالمينَ لِوعْدِهِ	إِلَّا استدامةُ ما يُديمُ رِضَاه
وَيأخُذُ للمَظْلُومِ رَبُّكَ حقَّهُ	فيا بُؤسَ عبدٍ للخلائقِ يَظلمُ

(١) رواه أبو داود (٤٧٤٤) واللفظ له، والترمذيُّ (٢٥٦٠)، والنسائيُّ (٣٧٦٣)، وأحمدُ (٨٦٤٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في "صحيح أبي داود".

وقال الآخر:

اعْمَلْ لِـدَارِ الْبَقَا رِضْـوَانُ خَازِنُهَا ... الجَـارُ أحمَـدُ والرحمـنُ بانِيهـا
أرضٌ لَهَا ذَهَـبٌ والْمِسْـكُ طِينَتُها ... والزَّعْفَـرَانُ حَشِـيشٌ نَابِـتٌ فيها
أنهارُهـا لَبَنٌ مَحْـضٌ ومِنْ عَسَـلٍ ... وَالخَمْـرُ يَجْـري رَحِيقًـا في مَجاريها
مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ بِالْفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا ... بِرَكْعَـةٍ في ظَـلامِ اللَّيْـلِ يُخْفِيهـا
أَوْ سَـدِّ جَوْعَةِ مِسْـكِينٍ بِشَـبْعَتِهِ ... فِي يَـوْمِ مَسْـغَبَةٍ عَـمَّ الغَـلا فِيها

وقال الآخر:

لله يَـوْمٌ تَقْشَـعِرُّ جُلُودُهُـمْ ... وَتَشِـيبُ مِنْـه ذَوَائِـبُ الأطْفَـالِ
يَـوْمُ النَّـوازِلِ والـزَّلازِلِ وَالْحُوا ... مِـلِ فِيـه إذْ يَقِذفْـنَ بالأحْمَـالِ
يَـوْمُ التَّغابُـنِ والتَّبايُـنِ والتَّنَـا ... زُلِ وَالأمُـورِ عَظِيمَـةِ الأهْـوَالِ
يـومٌ ينـادَى فيـه كُلُّ مُضلَّـلٍ ... بمقطَّعَـاتِ النَـارِ والأغـلالِ
لِلْمُتَّقِـينَ هُنـاكَ نُـزْلُ كَرامَـةٍ ... عَلَـتِ الوُجُـوهَ بنَـضرةٍ وَجَمَـالِ

٦. من هدايات الحديث:

١. لولا أنه سبحانه يُداوي عباده بأدوية المِحَن والابتلاء، لَطَغَوْا، وبَغَوْا، وعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا، سقاه دَواء من الابتلاء والامتحان على قَدْرِ حاله، يَستفرِغ به من الأدواء المهلِكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه، أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عُبوديتُه، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقُربه.

٢. أكثرُ الناس آثَر حلاوة الدنيا المنقطِعة على الحلاوة الدائمة التي لا تَزول، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذُلَّ ساعة لعِزِّ الأبد، ولا محنةَ ساعة لعافية الأبد، فإنَّ الحاضر عنده شَهَادة، والمنتظَر غَيْبٌ، والإيمانَ ضَعيف، وسُلطان الشهوة حاكم، فتَولَّد من ذلك إيثارُ العاجلة، ورفضُ الآخرة، وهذا حال النَّظَر الواقع على ظواهر الأمور، وأوائلها، ومبادئها، وأما النَّظَرُ

الثاقب الذي يَخرِق حُجُب العاجلة، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأنٌ آخَرُ[١].

٣. قال بعضُ السَّلف: رأيتُ المعاصيَ نذالةً، فتركتُها مروءةً، فاستحالت دِيانةً[٢].

٤. قال بعض السلف: تركتُ الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الوَرَع[٣].

٥. ادْعُ نفسك إلى ما أَعَدَّ الله لأوليائه وأهلِ طاعته من النعيم المُقيم، والسعادة الأَبَدية، والفوز الأكبر، وما أَعَدَّ لأهل البَطالة والإضاعة من الخِزْيِ والعِقاب والحَسَرات الدائمة، ثم اخْتَرْ أيَّ القِسمينِ أَلْيَقُ بك، وكلٌّ يَعمَل على شاكِلته، وكلُّ أحد يصبو إلى ما يناسِبه، وما هو الأَوْلى به، ولا تَستطِلْ هذا العلاج؛ فشِدَّةُ الحاجة إليه من الطَّبيب والعَليل دَعَت إلى بَسْطِه[٤].

٦. ما أجملَ السَّيْرَ في طريقٍ معلومٍ نهايتُه، مهما كان فيه من المُكَاره والأشواك والجراح والعقبات.

٧. أَعَدَّ الله لعباده الصالحين ما يَسُرُّهم مما لا يتصوَّره مخلوق، من المُسرَّات، وأصناف اللذَّات، ونيل رضوان الله بوجوه ناضرة إلى ربها ناظرة؛ فهم أهل الجنة وكُفؤها، لم يَحجُبهم عنها المكاره والبلاءات والشهوات وطلب الراحة ونعيم الدنيا الزائل.

٨. اعلم أن الأحاديث قد تكاثرت في أن البكاء من خشية الله مقتضٍ للنجاة من النار، والبكاء من نار جهنَّم هو البكاء من خشية الله؛ لأنّه بكاءٌ من خشية عقاب الله وسَخَطه، والبُعدِ عنه وعن رحمته وجوارِه ودارِ كرامته[٥].

٩. الباطل محبوبٌ للنفس الأمَّارة بالسُّوء، والحقُّ مكروهٌ لها، فإذا تجاوَز الإنسان هذا المكروه، وأَكرَه نفسه الأمَّارة بالسوء على فعل الواجبات، وعلى ترك المحرَّمات، فحينئذٍ يَصِل إلى الجنَّة[٦].

---

(١) "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم (٤/ ١٧٩، ١٨٠).
(٢) "مجموع رسائل ابن رجب" (١/ ٢٠٣).
(٣) "مجموع رسائل ابن رجب" (١/ ٢٠٣).
(٤) "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم (٤/ ١٧٩، ١٨٠).
(٥) "مجموع رسائل ابن رجب" (٤/ ١٤٣).
(٦) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين (٢/ ٨٧ - ٨٩).

ثالثا: التقييم

س١: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. امتحن اللهُ سبحانه عباده في هذه الدار بالمحرَّمات من الشهوات والشُّبهات. ( )

٢. المراد بالمُكَاره هنا ما أُمِر المكلَّف بمجاهدة نفسه فيه فعلًا وتركًا. ( )

٣. أخفى الله تعالى طريق الجنة عن الناس كيلا يسلكوه. ( )

٤. المراد بالشهوات ما تحبه النفس من الأعمال الصالحة. ( )

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. حفت الجنة بـ:
   ١. المكاره.
   ٢. الشبهات.
   ٣. الشهوات.

2. حفت النار بـ:
   ١. الخوف.
   ٢. المكاره.
   ٣. الشهوات.

3. الباطل محبوبٌ للنفس:
   ١. الأمَّارة بالسُّوء.
   ٢. اللوامة.
   ٣. المطمئنة.

4. الزنا وشرب الخمر من:
   ١. المكاره.
   ٢. الشهوات.

5. الصلاة والصوم من:
   ١. الشهوات.
   ٢. المكاره.

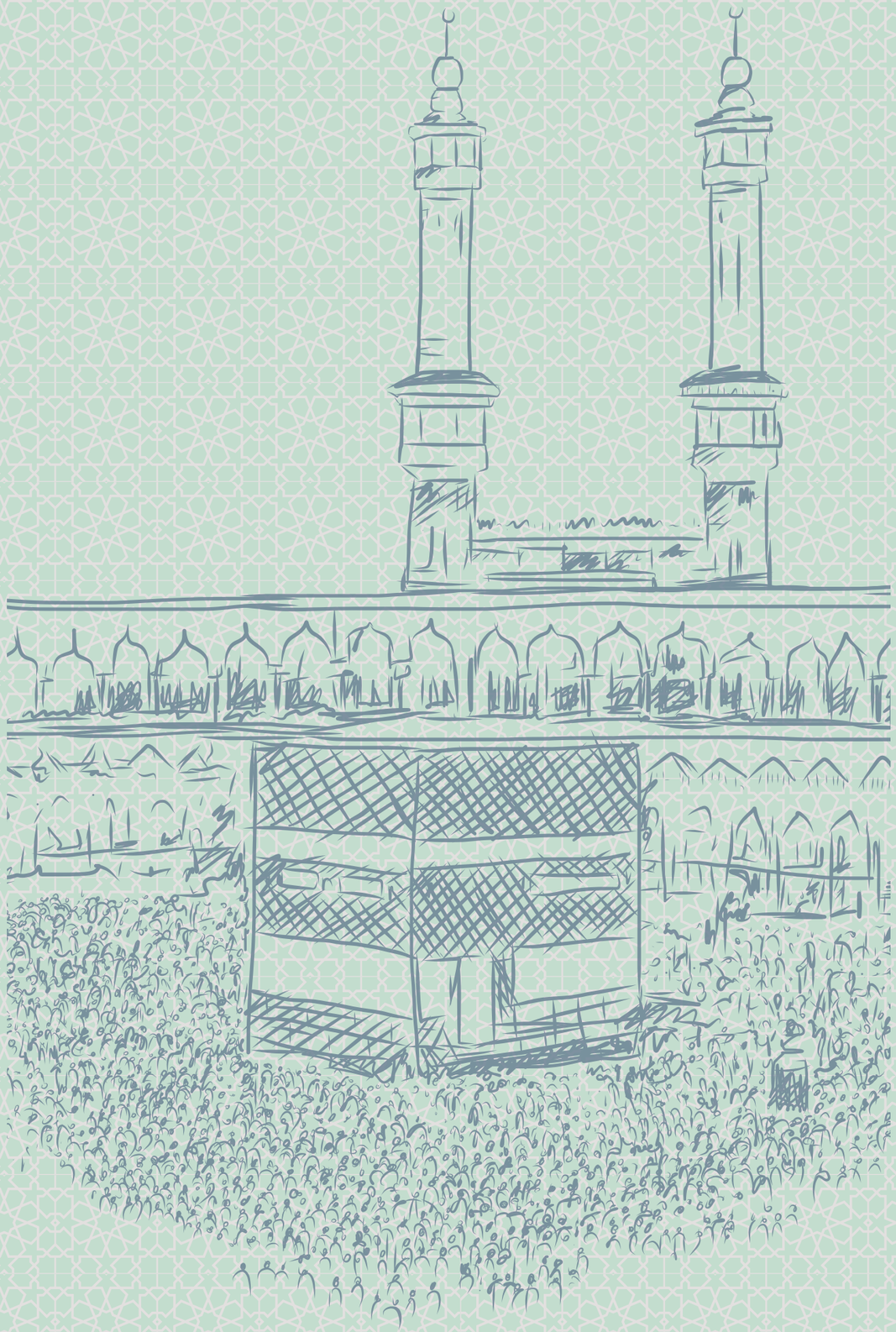

الحديث السابع عشر:
أبواب الخير الواسعة

أخلاق المسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". رواه مسلم (٢٦٩٩).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن الإسلام جعل المسلمين كلهم جسدًا واحدًا، وصار كل فرد من أفراد هذه الأمة يدين للآخر بالأخوة والحنو والعطف والرحمة، فقد جعل الإسلام بين المسلمين رحمًا، فكأنه أب وهم أبناؤه، بل إن أخوة الدين أقوى من أخوة النسب، فما أجمله من دين! وما أحسنه من قيم، وفي هذا الحديث تتجلى لنا صور من رحمة الدين وأمره للمسلمين بشد عضد بعضهم.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. نوضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تشرح القاعدة الجليلة "الجزاء من جنس العمل".
٦. توضح أهمية تفريج الكرب عن المسلمين.
٧. تحدد جزاء التيسير على المعسرين، وستر عورات المسلمين، وإعانتهم.
٨. تنفس الكرب عن أخيك المؤمن قدر طاقتك.
٩. تيسر على أخيك المعسر لتنال رضا الله تعالى في الدنيا والأخرة.
١٠. تبين أهمية طلب العلم.
١١. تقبل على طلب العلم الشرعي بهمة ونشاط.
١٢. تصف فضل تلاوة القرآن الكريم ومدارسته.
١٣. يزداد اهتمامك بتلاوة القرآن الكريم ومدارسته.
١٤. تقبل على فعل الطاعات والأعمال الصالحة.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

- الجزاء من جنس العمل
- أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس
- فضل طلب العلم ومدارسة القرآن
- النسب لا يعوض ما فات من العمل

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

ترجمة راوي الحديث ← لُغويات الحديث ← المعنى الإجمالي للحديث ← الشرح التفصيلي للحديث ← من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَماميُّ، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها

على ثَلاثِمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين[1]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرينِ، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[2].

نشـــاط (١)

- بعد الذي اطلعت عليه من ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه، ارجع إلى الكتب التي تكلمت عن الصحابة واذكر بعض المعلومات عنه.

.....

.....

- اذكرا موقفا مشرفا من حياة أبي هريرة رضي الله عنه، وكيف أثر هذا الموقف فيك؟

.....

.....

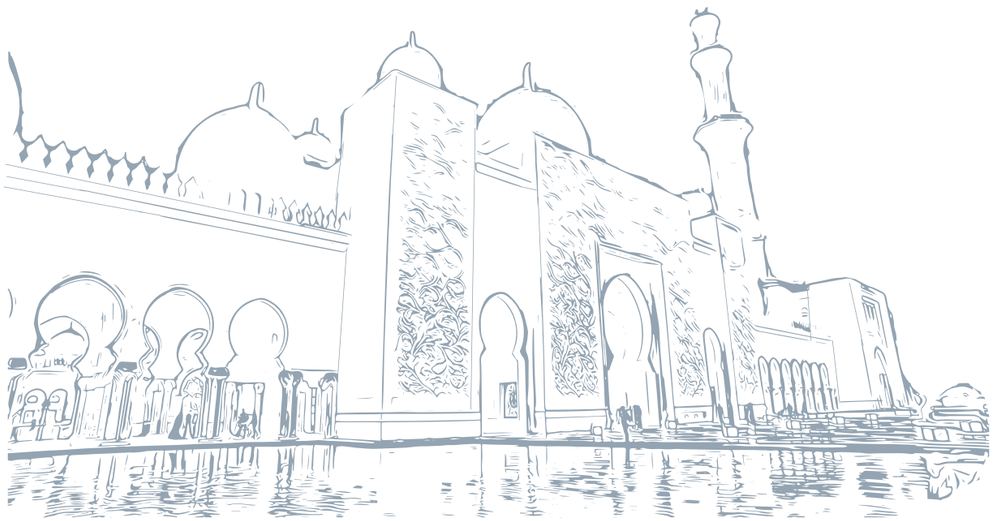

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
مَن نَفَّسَ	خفف، أو أزال، أو فرج.
الكُرْبَةُ	هي الشِّدَّة العظيمة التي توقع صاحبها في الكَرْبِ.
السَّكِينة	الطُّمَأْنينة والوَقَار.
غشيتهم الرحمة	شملتهم الرحمة وغطتهم
حفتهم الملائكة	أحاطت بهم الملائكة
من بَطَّأ به عمله	من قصر في الطاعة والعبادة والأعمال الصالحة

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ، عن رَسُول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ الكُرْبَةُ: هي الشِّدَّة العظيمة التي تُوقِع صاحبها في الكَرْبِ، فمن خفَّفها عن مؤمِن أو أَزَالها وفرَّجها، كان الجزاءُ من جِنس العمل، بتفريج كُربته يومَ القيامة.

«وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ أي: من يسَّر على مُعسِر بإنظاره إلى المَيْسَرة، أو بالوضع عنه إن كان غَريمًا لا يستطيع سَدَادَ دَيْنِه، أو بإعطائه ما يَزُول به إعسارُه، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ أي: من سَتَر زلَّاتِ مسلم في معصية وَقَعت وانقَضَت، سَتَره الله في الدنيا والآخرة.

«وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»؛ فمن أَعَانَ أخاه المسلِمَ، كان جزاؤه من جنس عَمَله بأن يُعِينَه الله تعالى.

«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ أي: من سعى إلى طريق يَطلُب فيه العلمَ النافع، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة.

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه" يدلُّ على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ومُدارَسَتِه في المسجد، حيث تَنزِل الطمأنينة، وتَشمَلهم الرحمة، وتُحيط بهم الملائكة، ويَذكُرهم الله تعالى فيمن عنده من كرام الملائكة.

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»؛ أي: مَن قصَّر في الطاعة والعبادات والأعمال الصالحة، ينبغي أن لا يتَّكِل على شَرَف النَّسَب، وفضيلة الآباء؛ فلن يَنفَعَه إلا عملُه الصالح.

٤. الشرح المفصل للحديث:

إن رسولَ الله ﷺ لم يَدَعْ بابًا من أبواب الخير إلا دلَّ الأمَّةَ عليه، ورغَّبها فيه، وهذا الحديثُ حديث عظيمٌ، يُعدُّ أصلًا من أصول الإسلام، وجامعًا من جوامع الخير للمسلم في الدنيا والآخرة، وجامعًا لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضلُ قضاء حوائج المسلمين ونَفْعِهم، بما يتيسَّر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك.

يقول النبيُّ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، الكُرْبَةُ: هي الشِّدَّة العظيمة التي تُوقِع صاحبَها في الكَرْبِ، وتنفيسُها أن يخفِّف عنه منها، بخلاف التفريج الذي هو إزالتها بالكلية، ولهذا فالتفريجُ أعظمُ من التنفيس، حيث يُزيل عنه الكُربة، ويفرِّج عنه، فيَزُول همُّه وغمُّه، وجزاءُ التّنفيسِ التّنفيسُ، وجزاءُ التّفريج التّفريجُ، وهذا يرجع إلى أنّ الجزاء من جِنس العمل، وقد تكاثرت النّصوص بهذا المعنى؛ كقوله ﷺ: "إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ من عبادِه الرُّحَمَاءَ»[1].

(١) رواه البخاريُّ (٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣).

نشـــاط (٢)

خاف النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي لأول مرة، فرجع إلى السيدة خديجة رضي الله عنها، وقال: قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

- **كيف كان النبي ﷺ يخفف من كربات الناس؟**

.....

.....

- **ما دلالة فعل النبي ﷺ هذه الأشياء قبل أن يكون نبيا؟**

.....

.....

- **كيف تقتدي بالنبي ﷺ في هذه الأشياء؟**

.....

.....

قوله ﷺ: "**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**" والتَّيسير على المعسِر في الدُّنيا من جهة المال يكون إمَّا بإنظاره إلى المَيْسَرة، أو بالوضع عنه إن كان غريمًا لا يستطيع سَدَاد دَيْنِه، أو بإعطائه ما يَزُول به إعسارُه، وهذا كلُّه فضلٌ عظيم، يجزي الله به بالتيسير على ذلك الميسِّر في الدنيا، وكذلك في الآخرة يومَ القيامة، وقد وصف اللهّ يوم القيامة بأنّه عسير، وأنّه على الكافرين غير يسير، فدلَّ على أنَّه يسير على غيرهم، وعن أبي هريرة عن النّبيِّ ﷺ، قال: "كان تاجرٌ يُدَايِنُ النّاس، فإذا رأى معسِرًا قال لِصِبيانه: تجاوزوا عنه؛ لعلَّ اللهّ أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز اللهُ عنه»[1].

قوله ﷺ: "**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**" وهذا ممّا تكاثرت النُّصوص بمعناه، و"السَّتْرُ على المسلم: أن يَستُرَ زلّاتِه، والمرادُ به السَّتر على ذَوي الهَيئات ونحوِهم ممَّن ليس معروفًا بالفساد، وهذا

(١) رواه البخاريُّ (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

في سَتر معصية وَقَعت وانقَضَت، أما إذا عَلِم معصيته وهو متلبِّس بها، فيجب المبادَرة بالإنكار عليه، ومنعه منها، فإن عجز، لَزِمه رفعها إلى وليِّ الأمر إن لم يترتَّب على ذلك مَفسَدة؛ فالمعروفُ بذلك لا يُستَر عليه؛ لأن السَّتر على هذا يُطمِّعه في الفساد والإيذاء وانتهاك المحرَّمات، وجسارة غيره على مثل ذلك؛ بل يُستحبُّ أن يرفعه إلى الإمام إن لم يَخَفْ من ذلك مَفسَدة، وكذلك القول في جَرح الرُّواة والشهود والأُمَناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب تجريحهم عند الحاجة، ولا يحلُّ السَّتر عليهم إذا رأى منهم ما يَقدَح في أهليَّتهم، وليس هذا من الغِيبة المحرَّمة؛ بل من النصيحة الواجبة»[1].

وقد رُوِيَ عن بعض السَّلَف أنَّه قال: أدركتُ قومًا لم يكن لهم عُيوب، فذكروا عيوب النَّاس، فذكر النَّاس لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوب النَّاس، فنُسِيت عيوبهم، وقد قال النّبيُّ ﷺ: "يا مَعْشَرَ من آمَن بلسانه، ولم يَدخُلِ الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عَوْرَاتِهم؛ فإنّه من اتَّبَع عَوْراتِهم، تتبَّع اللهُ عورته، ومن تتبَّع اللهُ عورته، يَفْضَحْهُ في بيته»[2].

واعلم أنّ النّاس على ضربين؛ أحدُهما: من كان مستورًا لا يُعرَف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلَّة، فإنَّه لا يجوز كشفُها، ولا هَتْكُها، ولا التّحدُّث بها؛ لأنَّ ذلك غِيبةٌ محرَّمة، وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوص، وفي ذلك قد قال اللهّ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتِر فيما وَقَع منه، أو اتُّهِم به وهو بريءٌ منه، كما في قصَّة الإفك. قال بعض الوزراء الصَّالحين لبعض من يَأمُر بالمعروف: اجتهد أن تَستُرَ العصاة؛ فإنّ ظهور معاصيهم عَيْبٌ في أهل الإسلام، وأَوْلى الأمور سَتْرُ العُيوب، ومِثْلُ هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقرَّ بحدٍّ، ولم يفسِّرْه، لم يُسْتَفْسَرْ؛ بل يُؤمَر بأن يرجع ويَستُر نفسه؛ كما أمر النّبيُّ ﷺ ماعزًا والغامديَّة، وكما لم يُستفسَر الَّذي قال: "أصبتُ حدًّا، فأقمْه عليّ". ومِثْلُ هذا لو أُخِذ بجريمته، ولم يَبلُغِ الإمامَ، فإنّه يُشفَع له حتَّى لا يَبلُغَ الإمام.

والثَّاني: من كان مُشتهِرًا بالمعاصي، مُعْلِنًا بها، لا يُبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجر المعلِن، وليس له غِيبةٌ، كما نصَّ على ذلك الحسن البصريُّ وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتُقام عليه الحدود... ومثل هذا لا يُشفَع له إذا أُخِذ، ولو لم يَبلُغ السُّلطان؛ بل يُترَك حتّى يقام عليه الحدُّ؛ لينكفَّ شَرُّه، ويرتدع به أمثاله[3].

"وقوله: "كربةً من كرب يوم القيامة»، ولم يقل: من كُرَب الدّنيا والآخرة كما قيل في التَّيسير والسَّتر، وقد قيل في مناسبة ذلك: إنّ الكُرَب هي الشّدائد العظيمة، وليس كلُّ أحد يحصل له ذلك في الدُّنيا،

(١) "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص ١١٩، ١٢٠).

(٢) رواه أحمد (٢٠٠١٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وقال الألبانيُّ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٣٤٠): حسن صحيح.

(٣) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٢٩١ - ٢٩٣).

بخلاف الإعسار والعَوْرات المحتاجة إلى السَّتر، فإنَّ أحدًا لا يكاد يخلو في الدُّنيا من ذلك، ولو بتعسُّر الحاجات المهمَّة. وقيل: لأنَّ كُرَب الدُّنيا بالنِّسبة إلى كُرَب الآخرة كلَا شيءٍ، فادَّخَر الله جزاء تنفيس الكُرَب عنده، لينفِّس به كُرَب الآخرة"[1].

نشـــاط (٣)

قارن بين تنفيس الكربات والتيسير على المعسرين من حيث، المعنى، والأفضلية، والأجر المترتب:

وجه المقارنة	تنفيس الكربة	التيسير على المعسر
المعنى		
الأفضلية		
الأجر المترتب		
المثال		

قوله ﷺ: "**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "المسلمُ أخو المسلِم؛ لا يَظلِمُه، ولا يُسلِمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّج الله عنه كُربةً من كُربات يوم القيامة، ومَن ستَر مسلمًا ستَره الله يوم القيامة»[2].

وبعث الحسن البصريُّ قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مُرُّوا بثابت البنانيِّ، فخذوه معكم، فأَتَوا ثابتًا، فقال: أنا معتكِفٌ، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمشُ، أما تَعلَم أنَّ مَشْيَكَ في حاجة أخيك المسلم خيرٌ لك من حَجَّة بعد حجَّة؟! فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه، وذهب معهم.

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٧).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

نشـــاط (٤)

هناك قاعدة تقول: الجزاء من جنس العمل.

بين المفهوم من هذه القاعدة من خلال ما تعلمته من هذا الحديث.

.....

.....

.....

قوله ﷺ: "**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»؛ أي: من سعى إلى طريق يَطلُب فيه العلم النافع، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة. وسلوكُ الطريق يَشمَل الطريقَ الحسيَّ، والطريقَ المعنويَّ؛ فأما الحسيُّ فهو الطريق الذي يسير فيه طالبُ العلم، سواءٌ كان ماشيًا أو راكبًا؛ كأن يأتيَ الإنسانُ من بيته إلى مكان العلم، سواءٌ كان مكانُ العلم مسجدًا، أو مدرسةً، أو جامعةً، أو غيرَ ذلك، ومن ذلك أيضًا الرحلة في طلب العلم؛ كأن يرتحل الإنسان من بلده إلى بلد آخَرَ يلتمس العلمَ، ونحو ذلك. والثاني: الطريق المعنويُّ، وهو الطريق الذي يُتوصَّل به إلى العلم؛ كالحفظ والفَهْم، والمُدارسة، والمذاكرة، والمطالَعة، سواءٌ أكان مِن أفواه العلماء، أو مِن بُطون الكتب مراجعةً وبحثًا، فمِثلُ هذا يكون سالكًا لطريق العلم وإن كان جالسًا[1].

وكما أطلق ﷺ لفظ الطريق، وأتى به عامًّا ليشمل جميع الطُّرق الحِسِّية والمعنوية الموصِّلة للعلم، كذا أطلق لفظ العلم، وأتى به منكَّرًا؛ ليشمل جميع فروع عِلم الدين ومسائله، ولينْدرجَ فيه القليل والكثير منه[2].

وقوله: "**سَهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنة**»؛ فمَن كان هذا حالَه، كان جزاؤه أن يُوفِّقه الله تعالى للأعمال الصالحة الموصِّلة إلى الجنة، أو يُسهِّل الله له العلم الذي طلبه، وسَلَك طريقه، ويُيسِّره عليه؛ فإن العلم طريقٌ موصِّلٌ إلى الجنة؛ بل هو من أقربها؛ إذ بالعلم الشرعيِّ يُعرَف الحلال والحرام، ومُرادُ الله من العباد، والوسائلُ المُعينةُ على رضاه سبحانه وتعالى. والجَنَّة هي دار كرامة الله تعالى ونعيمه لعباده الطائعين، وقد كثُر ذِكرها بأوصافها، وكذا ذِكرُ ما يوصِّل إليها في الكتاب والسُّنة.

(١) انظر: "شرح رياض الصالحين" ابن عثيمين (٥/ ٤٣٣- ٤٣٤).

(٢) انظر: "فتح الباري" ابن حجر (١/ ١٦٠)

نشـــاط (٥)

قيل: إن طلب العلم طريق من طرق الجنة.

- **ما المقصود بها القول؟**

.....

.....

- **ابحث عن الأحاديث التي تناولت فضل العلم واذكر بعضا**

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قوله ﷺ: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه»: وهذا دليلٌ على فضل الاجتماع من أيِّ مجموعة على تلاوة القرآن ومُدارسته في المسجد، والسكينة ها هنا بمعنى الطمأنينة والوقار. "وغَشِيَتهم الرحمة»؛ أي شَمِلتهم وغطَّتهم، "وحفَّتهم الملائكة»؛ أي: أحاطت بهم؛ فكأن الملائكة قريبة منهم قُربًا حفَّتهم حتى لم تدع فُرجةً تتَّسِع لشيطان. "وذكرهم الله فيمن عنده»؛ أي: ذكرهم الله تعالى فيمن عنده من كِرام الملائكة.

و"هذا يدلُّ على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومُدَارَستِه، وهذا إن حُمِل على تعلُّم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه؛ قال النّبيُّ ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، وإن حُمِل على ما هو أعمُّ من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقًا"[2].

(١) رواه البخاريُّ (٥٠٢٧).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٣٠٠، ٣٠١).

نشـــاط (٦)

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

إن المساجد بيوت الله في الأرض ولها فضائل كثيرة، اذكر بعض فضائل المساجد، مع ذكر الدليل على ما تقول.

.....

.....

.....

قوله ﷺ: "**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»؛ أي: ينبغي أن لا يتَّكِل على شرف النَّسَب، وفضيلة الآباء، ويُقصِّر في العمل؛ فمَن أخَّره عملُه السيِّئُ، أو تفريطُه في الحسنات المُعْلِيَة للدرجات عن اللحاق بمنازل المتَّقين والأبرار، وعن دخول الجنة في أول زمرة، لم ترفعه رِفْعَةُ نَسَبه ومكانته في الدنيا، ولا جَبَر هذا النقص الذي ثَلَم حاله[1].

والعمل هو الّذي يَبلُغ بالعبد درجاتِ الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، فمن أبطأ به عملُه أن يَبلُغ به المنازل العالية عند اللهّ تعالى، لم يُسرِع به نَسَبُه، فيبلِّغه تلك الدَّرجات؛ فإنّ اللهّ تعالى رتَّب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقد أمر اللهّ تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

قال ابن مسعود: يَأمُر اللهّ بالصِّراط، فيُضرَب على جهنَّمَ، فيَمُرُّ النَّاس على قَدْرِ أعمالهم زُمَرًا زُمَرًا، أوائلُهم كلمح البَرْقِ، ثمّ كمَرِّ الرِّيح، ثمّ كمَرِّ الطَّير، ثمّ كمَرِّ البهائم، حتى يمرَّ الرَّجل سعيًا، وحتى يمرَّ الرّجل مَشْيًا، حتى يمرَّ آخرُهم يَتَلَبَّطُ على بَطْنِه، فيقول: يا ربِّ، لِمَ أبطأتَ بي؟ فيقول: إنّي لم أُبطِئْ بك؛ إنّما أبطأَ بك عَمَلُكَ.

(١) "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض (٨/ ١٩٥).

وفي "الصّحيحين" عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهّ ﷺ: حين أُنزِل عليه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِّ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِّ شَيْئًا»[1][2].

نشـــاط (٦)

قال رسول الله ﷺ: "يا فاطمة ابنة محمَّد أنقذي نفسك من النار، لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها". في ضوء هذا الحديث، هناك أنبياء كذبهم أهلهم ولم يؤمنوا بهم؛ فألحق الله تعالى بهم العذاب، مثل: أبي إبراهيم عليه السلام، وامرأة لوط عليه السلام وامرأة نوح عليه السلام، وابن نوح عليه السلام.

اذكر حال هؤلاء، ثم بين عاقبتهم.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(١) رواه البخاريُّ (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٣٠٨).

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

إذا شِئْتَ أن تَحْيا ودِينُكَ سالِمٌ	وَحَظُّكَ مَوْفُورٌ وعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانُكَ لا تَذْكُرْ بِه عَوْرَةَ امْرِئٍ	فعِنْدَكَ عَوْرَاتٌ وللنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنُكَ إن أَبْدَتْ إليكَ مَعَايبًا	لِقَوْمٍ فَقُلْ: يا عَيْنُ للنَّاسِ أَعْيُنُ
وصَاحِبْ بمَعْرُوفٍ وجانِبْ مَن اعتدَى	وفَارِقْ وَلَكِنْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

وقال الآخر:

إِذا مـا لَمْ يُفِـدكَ العِلـمُ خَـيرًا	فَخَـيرٌ مِنـهُ أَن لَـو قَـد جَهِلتَـا
وَإِن أَلقـاكَ فَهمُـكَ في مَهـاوٍ	فَلَيتَـكَ ثُـمَّ لَيتَـكَ مـا فَهِمتـا
سَـتَجني مِن ثِـمارِ العَجـزِ جَهلًا	وَتَصغُـرُ في العُيـونِ إِذا كَبُرتـا

٦. من هدايات الحديث:

١. عن أبي هريرة عن النّبيِّ ﷺ، قال: "كان تاجرٌ يُدَايِنُ النّاس، فإذا رأى معسِرًا قال لِصِبيانه: تجاوزوا عنه؛ لعلَّ اللهّ أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز اللهُّ عنه"[1].

٢. قال بعض السَّلَف: أدركتُ قومًا لم يكن لهم عُيوب، فذكروا عيوب النَّاس، فذكر النَّاس لهم عيوبًا، وأدركتُ أقوامًا كانت لهم عيوبٌ، فكفُّوا عن عيوب النَّاس، فنُسِيت عيوبهم[2].

٣. قال النّبيُّ ﷺ: "يا مَعْشَرَ من آمَن بلسانه، ولم يَدخُلِ الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عَوْرَاتِهم؛ فإنّه من اتَّبَع عَوْراتِهم، تتبَّع اللهُّ عورته، ومن تتبَّع اللهُّ عورته، يَفْضَحْهُ في بيته"[3].

(١) رواه البخاريُّ (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٢٩١ - ٢٩٣).

(٣) رواه أحمد (٢٠٠١٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وقال الألبانيُّ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٣٤٠): حسن صحيح.

٤. عن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "المسلمُ أخو المسلِم؛ لا يَظلِمُه، ولا يُسلِمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّج الله عنه كُربةً من كُربات يوم القيامة، ومَن ستَر مسلمًا ستَره الله يوم القيامة»[1].

٥. رفع الله تعالى شأنَ العلم والعلماء، ووعَد مَن يبذُل جهدَه في هذا الطريق بخير الجزاء في الدنيا والآخرة، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ عظيمَ فضل الله - عزَّ وجلَّ - وعطائه لِمَن يَجِدُّ في طلب العلم، ويسعى في تحصيله.

٦. الجَنَّة هي دار كرامة الله تعالى ونعيمه لعباده الطائعين، وقد كثُر ذِكرها بأوصافها، وكذا ذِكرُ ما يوصِّل إليها في الكتاب والسُّنة، ومن أهمها طريق العلم.

٧. من عَمِل بما عَلِم، أَورثه اللهُ عِلْمَ ما لم يَعلَم.

٨. بالعلم يُعرَف الله حقَّ المعرفة، وبالعلم يُهْتَدَى فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ كِتَابَهُ نُورًا؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦][2].

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1 ١- التَّيسير على المعسِر في الدُّنيا من جهة المال يكون:

١. بإنظاره إلى المُيْسَرة.

٢. بالوضع عنه إن كان غريمًا لا يستطيع سَدَاد دَيْنِه.

٣. بالأمرين كليهما.

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ٢٩٨).

2 جزاء من ستر مسلما في الدنيا أن:

١. يستره الله في الدنيا والآخرة.

٢. يخفف عنه سؤال القبر.

٣. يمد الله في عمره.

3 يدلنا الحديث الشريف على أن:

١. الجزاء من جنس العمل.

٢. العقاب يكون بالمثل.

٣. العفو عند المقدرة.

4 إذا ساء عمل الإنسان الشريف النسب:

١. فإن نسبه يشفع له.

٢. لن ينفعه نسبه.

٣. يخفف عنه العقاب.

س٢: أكمل مكان النقط الفارغة في الحديث:

إذا اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم؛ تحفهم ..... وتغشهم ..... ويذكرهم ..... فيمن عنده.

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. لم يَدَعْ رسولَ الله ﷺ بابًا من أبواب الخير إلا دلَّ الأمَّةَ عليه. ( )

٢. حلقات العلم في المساجد تخلو من الملائكة. ( )

٣. إذا ساء عمل الإنسان شفع له نسبه. ( )

٤. الله في عون المسلم إذا أعان أخاه المسلم. ( )

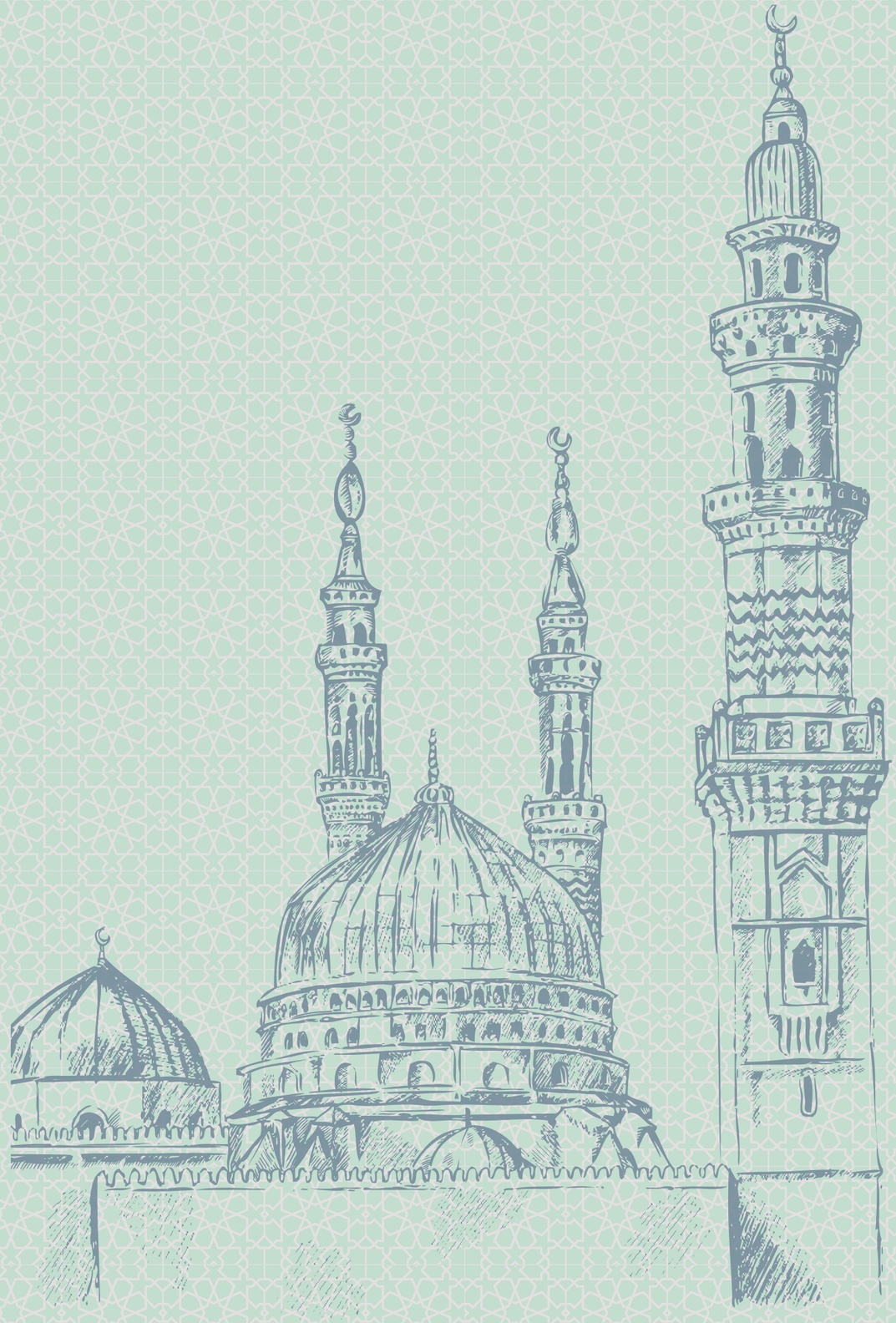

الحديث الثامن عشر:
المحرمات الكبار

المحرمات الكبار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ" رواه البخاريُّ (٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن الذنوب تتفاوت في المنزلة فمنها الكبائر والصغائر، ومنها الشرك الذي هو أكبر الكبائر.

فهل فكرت قبل ذلك وسألت نفسك ما أكبر الذنوب وأعظمها عقابا عند الله تعالى؟

إليك هذا الحديث، ستجد فيه الجواب عن سؤالك.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعدد الموبقات الواردة في الحديث.
٦. تستدل بالنصوص الشرعية على حكم ارتكاب الموبقات السبع.
٧. تعلل سبب تسمية الكبائر الواردة في الحديث بالموبقات.
٨. تعلل اقتصار النبي ﷺ على السبع الموبقات المذكورة في الحديث.
٩. توضح خطورة الموبقات السبع المذكورة في الحديث

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. الشِّرْكُ بِاللهِ.
٢. السِّحْرُ.
٣. قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ.
٤. أَكْلُ الرِّبَا.
٥. أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ.
٦. التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ.
٧. قَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ.

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

ترجمة راوي الحديث | سبب ورود الحديث | المعنى الإجمالي للحديث | الشرح التفصيلي للحديث | من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأَزْديُّ، اليَماني، ولد قبل الهجرة بعشرين سنة تقريبًا، ثم أسلَمَ عامَ خَيبَر ٧هـ، لازَمَ النبيَّ ﷺ لأجل العلم مكتفيًا بأدنى الطعام، وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، وتولى إمارة البحرين مدة؛ وكان أكثر وقته بالمدينة، وتوفي بها سنة (٥٨هـ)[1].

(١) تُراتُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــاط (١)

كان أبو هريرة رضي الله عنه من الصحابة الملازمين للنبي ﷺ، وله مع رسول الله ﷺ مواقف كثيرة.

اذكر موقفين من مواقف أبي هريرة مع النبي ﷺ، مع ذكر حديثين من مروياته من الأحاديث التي تحفظها.

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
اجتنبوا	احترزوا وابتعدوا
الموبقات	المهلكات
الربا	الأصلُ في معنى الربا الزيادة، يقال: رَبا الشيء إذا زاد.
الزَّحْفُ	أصله المشيُ المتثاقِل، والمراد منه الحرب.
اليتيم	من مات أبوه قبل سن البلوغ.
المحصنات	جمع مُحصَنة، وهي المرأة التي أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا.

الْغَافِلَات	كِنَايَةٌ عَن البريئات؛ لِأَن البريء غافلٌ عَمَّا بُهت بِهِ من الزِّنَا[1].
القذف	الرَّمْيُ الْبعيد، استُعير للشتم وَالْعَيْب والبُهتان، والمراد به اتِّهام الأبرياء بالزنا.

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"؛ أي: احترزوا وابتعدوا عن السبع الأمور المُهلِكة:

«**الشِّرْكُ بِاللهِ**»؛ أي: اتِّخاذ إلَهٍ غير الله، وهو أعظم الكبائر على الإطلاق؛ فإن الشرك لظُلْمٌ عظيم.

«**وَالسِّحْرُ**" وهو إثم كبير، ووِزر عظيم.

«**وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ**" وهو إزهاق النفس المعصومة (وتُعصَم النفس بالإسلام أو الذمَّة أو العهد أو الأمان). "**إلا بالحَقِّ**" فلا يَأثَم القاتلُ بالحقِّ؛ كالقتل قصاصًا أو حدًّا أو ردَّةً.

«**وَأَكْلُ الرِّبَا**»؛ أخذًا للرِّبا أو إعطاءً.

«**وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ**»؛ أي: الاستيلاء على مال من مات أبوه وهو صغير، أو إتلافه.

«**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**»؛ أي: الفرار عن القتال بعد أن وجب عليه.

«**وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ**»؛ أي: اتِّهام ورميُ العفيفات المؤمنات البريئات البعيدات عمَّا اتُّهمن به من الفاحشة بالزنى.

٤. الشرح المفصل للحديث:

في هذا الحديث يحذِّر النبيُّ ﷺ أمَّته من المهلِكات السَّبع، التي تُهلِك فاعلَها في الدنيا بما يترتَّب عليها من العقوبات، وتُودِي به في نار جهنَّمَ.

قوله: "اجتبوا السبع الموبقات»؛ أي: ابتعدوا عن فعل الذنوب السبع المهلِكة لمن ارتكبها، وسببُ تسمية هذه الكبائر (موبقات)؛ لأنها تُهلِك فاعلها في الدنيا بما يترتَّب عليها من العقوبات، وفي الآخرة

(١) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للبخاريِّ (١٤/ ٦٢).

بما يجب بها من العذاب[1]، وقد سمَّاها رسول الله ﷺ موبقات؛ لأن الله تعالى إذا أراد أن يأخذ عبده بها، أَوْبَقه في نار جهنَّم[2].

وليس الغرضُ حَصْرَ الموبقات في هذه السَّبع؛ بل الغرضُ التَّنْبيه بها إلى أمثالها، أو ما زاد فُحْشُه عن فُحْشِها؛ كالزنى والسَّرِقة، وسببُ الاقتصار على هذه السبع كونُها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها، لا سيَّما فيما كانت عليه الجاهلية[3].

"ولا شكَّ في أن الكبائر أكثرُ من هذه السبع؛ ولذلك قال ابن عباس حين سُئل عن الكبائر: "هي إلى السبعين أقربُ منها إلى السبع»[4]، وعلى هذا؛ فاقتصاره ﷺ على هذه السبع في هذا الحديث يحتمِل أن تكون لأنها هي التي أُعلِمَ بها في ذلك الوقت بالوحي، ثم بعد ذلك أُعلِم بغيرها، ويَحتمِل أن يكون ذلك؛ لأن تلك السبعَ هي التي دَعَت الحاجة إليها في ذلك الوقت، أو التي سُئل عنها في ذلك الوقت، وكذلك القول في كلِّ حديث خصَّ عددًا من الكبائر"[5].

قوله: "الشرك بالله»: وهو أعظم الكبائر على الإطلاق؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وعن عَبْدِالله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ". قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ..."[6].

"وأما قُبْحُ الكفر وكَوْنُه أكبرَ الكبائر، فهذا معروفٌ، ولا يتشكَّك أحدٌ من أهل القِبلة في ذلك"[7].

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العبَّاس القرطبيِّ (١/ ٢٨٣).
(٢) "شرح صحيح البخاريِّ" لابن بطَّال (٨/ ٤٨٩).
(٣) "شرح النوويِّ على مسلم" (٢/ ٨٤).
(٤) رواه البيهقيُّ في "شعب الإيمان" (٢٩٠).
(٥) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العبَّاس القرطبيِّ (١/ ٢٨٣).
(٦) رواه البخاريُّ (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).
(٧) "شرح النوويِّ على مسلم" (٢/ ٨٨).

نشـــاط (٢)

قيل: ليس بعد الشرك بالله ذنب.

- **ما معنى هذه العبارة وما مدى صحتها؟.**

- **لماذا كان الشرك بالله تعالى أعظم ذنب؟**

- **من خلال ما فهمته وبعد قراءتك للأدلة الشرعية، هل يغفر الله تعالى الشرك للإنسان إذا تاب منه؟ وما يكون مصيره إذا لم يتب؟.**

قوله: "والسحر»: أصلُ السِّحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأنَّ الساحر لَمَّا أَرَى الباطل في صورة الحقِّ، وخيَّل الشيء على غير حقيقته، قد سَحَر الشيء عن وجهه؛ أي: صَرَفه، وهو عمل يقرِّب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، ومن السِّحر الأخذة التي تأخذ العين حتى تظنَّ أن الأمر كما ترى، وليس الأصل على ما ترى، وهو إثم كبير، ووِزر عظيم؛ لأن فيه تلبيسًا وتَعْمِيةً وسَتْرًا للحقائق، ووَضْعَ غشاءٍ على الأبصار، وإضلالًا للعامَّة، وزلزالًا لعقيدتهم في ترتُّب المسبَّبات على أسبابها، والنتائجِ على مقدِّماتها، وهو حرام، من الكبائر فِعْلُه وتعلُّمه وتعليمه.

نشـــاط (٣)

ارجع إلى كتاب نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ولخص نواقض الإسلام، واكتبها في الأسطر التالية:

قوله: "وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحقِّ»: وهو إزهاقُ النَّفس المعصومة بالإسلام أو الذمَّة أو العهد أو الأمان. "إلا بالحقِّ" كالقتل قصاصًا أو حدًّا أو ردَّةً، وهي جريمة تَرفَع الأمن، وتَنشُر الخوف، وتَفتِك بالأمَّة وتُضعِفها، وتقطع روابط الإخاء بينها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. وقتل النفس يَشمَل قتل العُدوان، وقتلَ الأولاد خشيةَ الإملاق، ووأدَ البنات مخافةَ العار[1].

قوله: "وأكل الربا»؛ أي: تعاطيه بالأخذ أو الإعطاء، والأصلُ في معناه الزيادة، يقال: رَبا الشيء إذا زاد، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

"من تأمَّل أبواب الربا، لاح له سرُّ التحريم من جهة الجشع المانع من حُسن المعاشرة، والذريعة إلى ترك القرض، وما في التوسعة من مكارم الأخلاق؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] غضبًا على أهله"[2].

---

(١) "الأدب النبويُّ" لمحمد عبد العزيز الشاذلي (ص: ٨٩).

(٢) "شرح سنن أبي داود" لابن رسلان (١٢/ ٣٧٠).

قوله: "وأكل مال اليتيم»: أي إتلاف ماله، والمراد من الأكل الاستيلاء، لا خصوص الأكل، وخُصَّ الأكل بالذكر لأنه المقصودُ الغالب من المال، واليتيم: من مات أبوه وهو صغير؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

نشـــاط (٤)

هات من القرآن الكريم أدلة على تحريم كل واحد من الكبائر السبع:

- **الشرك بالله:**.....
- **السحر:**.....
- **قتل النفس بغير حق:**.....
- **أكل الربا:**.....
- **أكل مال اليتيم:**.....
- **التولي يوم الزحف:**.....
.....
- **قذف المحصنات الغافلات المؤمنات:**.....

قوله: "والتولِّي يومَ الزحف»؛ أي: عن القتال، والتولِّي عن القتال إنما يكون كبيرةً إذا فرَّ إلى غير فئة، وإذا كان العدوُّ ضِعْفَي المسلمين[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]، فإذا لَقِيَتْ فئةٌ من المؤمنين فئةً هي ضعفُ المؤمنين من المشركين، فالفرضُ ألَّا يَفِرُّوا أمامهم، فمن فَرَّ من اثنين، فهو فارٌّ من الزحف، ومن فَرَّ من ثلاثة، فليس بفارٍّ من الزحف، ولا يتوجَّه عليه الوعيد، والفرار كبيرةٌ مُوبِقة بظاهر القرآن، وإجماعُ الأكثرِ من الأئمَّة[2].

قوله: "وقذف المحصَنات المؤمنات الغافلات»؛ أي: رَمْيُهن بالزنى، والإحصان هنا: العفَّة عن الفواحش، والغافلات، يعني: عمَّا رُمِين به من الفاحشة؛ أي: هن بريئات من ذلك، لا خبر عندهن منه.

وقيَّده بوصف "الغافلات" لتغليظ الذنب، وليس قيدًا للاحتراز يُبيح قذف غير الغافلات[3].

واحتُرز بـ«المؤمنات" عن قذف الكافرات؛ فإن قذفَهن ليس من الكبائر، فإن كانت ذِمِّيَّةً، فقَذْفُها من الصغائر لا يوجب الحَدَّ، وفي قذف الأَمَة المسلِمة التعزيرُ دون الحَدِّ[4].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣].

ولا يَقتصِر ذلك على قذف النساء فقط بالفاحشة؛ وإنما يَدخُل فيه أيضًا قذف الرجال؛ فقد "قام الإجماع أن حكم المحصَنين في القذف كحُكم المحصَنات قياسًا واستدلالًا، وأن من قَذَف حُرًّا عفيفًا مؤمنًا، عليه الحَدُّ ثمانون؛ كمن قَذَف حُرَّة مؤمِنة، وجاءت الأخبار عن الشارع بالتغليظ في رميِ المحصَنات، وأن ذلك من الكبائر"[5].

(١) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العبَّاس القرطبيِّ (١/ ٢٨٤).
(٢) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبيِّ (٧/ ٣٨٠).
(٣) "فتح المنعم شرح صحيح مسلم" لموسى شاهين لاشين (١/ ٢٩١).
(٤) "الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبيِّ (٢/ ٥٠٦).
(٥) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقِّن (٣١/ ٢٨٤).

نشـــاط (٥)

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

- من خلال فهمك للآية، كيف حافظ الإسلام على أعراض بنات ونساء المسلمين؟.

.....

.....

- وما العقاب الذي أعده الله تعالى لمن يؤذي المسلمات في أعراضهن؟؟

.....

.....

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

خلِّ الذنوبَ صغيرَها وكبيرَها فهُوَ التُّقى	
كن مثلَ ماشٍ فوق أرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يرى	
لا تحقِرَنَّ صغيرةً إنَّ الجبالَ مِن الحصى	

وقال الآخر:

هُوَ اللهُ رَبُّ الكونِ والكونُ عَبْدُهُ فلا تَسْأَلَنَّ العبدَ واللهَ فَاسْأَلِ	
هُوَ اللهُ مولانا لهُ المُلكُ وَحْدَهُ وليسَ لِغَيْرِ اللهِ حَبَّةُ خَرْدل	

وقال الآخر:

ضَلَّ الأُلى جَحَدوه واتَّخَذوا له شركاءَ من أربابهم وخصومَا	
ما هذه الأربابُ ما لِعبادها جَهِلوه ربًّا واحدًا قيُّومَا	

وقال الآخر:

رَأَيْتُ حَلالَ الْمالِ خَيْرَ مَغَبَّةٍ وَأَجْدَرَ أَنْ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ	
وَإِيَّاكَ وَالْمالَ الْحَرامَ فَإِنَّهُ وَبالٌ إِذَا مَا قُدِّمَ الْكَفَنَانِ	

وقال الآخر:

يا نفسُ، كُفِّي عن العصيانِ واكتَسِبي فِعلًا جميلًا لعلَّ اللهَ يرحَمُني	
يا نفسُ، وَيْحَكِ توبي واعمَلي حَسَنًا عسى تُجازَيْنَ بعدَ الموتِ بالحسَنِ	

٦. من هدايات الحديث:

١. قال الفُضَيل بن عياضٍ: "بقدرِ ما يصغُرُ الذنبُ عندك يعظُمُ عند الله، وبقدر ما يعظُمُ عندك يصغُرُ عند الله"(١).

٢. قال عبد الله بن مسعودٍ: "إن المؤمنَ يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبه كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا"(٢).

٣. إن الشرك بالله تعالى من أعظم الذنوب، ولا يوجد ذنب أعظم منه، وإن الله تعالى يغفر للعبد أي ذنب إن شاء تعالى، إلا الشرك فإنه لا يغفره إلا إن تاب منه.

٤. إذا نجاك الله تعالى من الشرك فإنك في نعمة عظيمة من الله تعالى؛ فاحمد ربك على ذلك، فقد وضعك على طريق الجنة.

---

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٨/ ٤٢٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٣٠٨).

٥. إن ذنب الشرك يشترك فيه الساحر ومن يذهب إليه ومن يُصَدِّقُه، والسحر نوع من أنواع الشرك؛ لأن فيه استعانة بغير الله تعالى، وادعاء علم الغيب.

٦. إن القتل جريمة اجتماعية ودينية نكراء، وإن الله تعالى كرَّم الإنسان، وجعل إزهاق روحه من الكبائر، وقد جعل الله تعالى حرمة دم المسلم أشد من حرمة الكعبة.

٧. إن مال اليتيم أمانة في يد من يقوم عليه ويرعاه، فيجب عليه أن يصون الأمانة ويحفظها، فإنه مسؤول عنه يوم القيامة.

٨. إن الربا باب من أبواب الشر، فلم يدخل الربا بيتًا إلا هدمه وجعل حياة أهله في كرب وهم وغم، لأن صاحبه محارب لله ﷻ ورسوله ﷺ، فمن يستطيع أن يحارب الله ورسوله ﷺ؟!

٩. إن قذف المحصنات المؤمنات جريمة كبيرة جعل لها الشرع عقابًا شديدًا؛ لأنها تسبب التفرقة بين الأسر ودمار البيوت وفساد أحوال أهلها.

١٠. إذا وقعت في واحدة من هذه الكبائر؛ فإنَّ باب التوبة مفتوح لك، فلا تقنط من رحمة الله، وتب إلى ربك، قبل أن ينقضي أجلك.

١١. إن جريمة قتل المؤمن، ليست مجرَّد قتل بغير حقٍّ لنفس فحسبُ؛ ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العزيزة والرابطة الوُثقى التي أنشأها الله بين المسلم والمسلم، إنها تنكُّر للإيمان ذاته، وللعقيدة نفسها.

١٢. قال وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: "مَن سرَّه أن يَستَجيب الله دعوتَه، فلْيُطِبْ مطعمَه"[١].

١٣. قَالَ وَهْبُ بْنُ الْوَرْدِ رحمه الله: "لو قُمْتَ مَقام هذه الساريَة، لم يَنْفَعْك شيء حتى تَنْظُرَ ما يدخل بَطْنَكَ حلالٌ أو حرام"[٢].

١٤. سُئل أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله: بمَ تَلين القلوب؟ فأطرَقَ ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: بأكل الحلال[٣].

(١) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٢٧٥).
(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (١/ ٢٦٣).
(٣) "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزيِّ (ص ٢٦٩).

ثالثا: التقييم

س١: أكمل مكان النقط الفارغة في الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ".....، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله .....، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ .....، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ ....."

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. الشرك بالله:
   ١. من صغائر الذنوب.
   ٢. من كبائر الذنوب.
   ٣. قد لا يحاسب عليه الإنسان.

2. يغفر الله تعالى الذنوب جميعا، ولكن لا يغفر:
   ١. الشرك.
   ٢. الحسد.
   ٣. القتل.

3. من الذنوب الموبقات:
   ١. السحر.
   ٢. الكذب.
   ٣. السرقة.
   ٤. جميع ما سبق.

4 القذف الموجب للوعيد في الحديث:

١. خاص بالنساء العفيفات.

٢. شامل لجميع النساء المسلمات.

٣. شامل لأهل العفة من النساء والرجال.

5 المراد بكلمة الموبقات:

١. المهلكات.

٢. الكثيرات.

٣. القليلات

س٣: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. التولِّي عن القتال كبيرة دائما في كل الأحوال. ( )

٢. القذف المحرم هو قذف النساء فقط. ( )

٣. إن ذنب الشرك يشترك فيه الساحر ومن يذهب إليه ومن يصدقه. ( )

٤. المراد بالإحصان: العفة عن الفواحش. ( )

الحديث التاسع عشر:

الغلو والإثقال على النفس

الغلو والإثقال على النفس

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ". رواه البخاريُّ (٣٩) .

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

إن الإسلام دين يسر، لا تشدد في أحكامه، ولا يكلف الله تعالى المسلمين بما لا يقدرون عليه، فالإسلام دين وسط، والمسلمون أمة وسطًا بين الأمم.

فإذا أردت معرفة حقيقة تيسير الدين فإليك هذا الحديث.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعرف مظاهر يسر الدين.
٦. تعرف معنى وسطية الإسلام.
٧. تعرف أحب أوقات الأعمال الصالحة.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

- يسر الإسلام وسماحته
- غلبة الدين لمن يتشدد فيه
- الأمر بالوسطية الاعتدال
- أحب أوقات الأعمال الصالحة

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

ترجمة راوي الحديث	سبب ورود الحديث	المعنى الإجمالي للحديث	الشرح التفصيلي للحديث	من توجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُالرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، اختُلِف في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، "يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفَقا منها على ثَلاثِمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين"[1]. استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب على البَحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل، فأبى عليه، ولم يَزَل يسكُن المدينة، وبها كانت وفاتُه سنةَ (٥٨هـ)[2].

(١) "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علان (١/ ٧٢).

(٢) تُراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، "أُسد الغابة" لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

نشـــاط (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ فَلَا أَحْفَظُهَا، قَالَ: "ابْسُطْ رِدَاءَكَ" فَبَسَطْتُ، فَحَدَّثَ حَدِيثًا كَثِيرًا، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ[1].

من خلال فهمك لهذا الأثر السابق، بين دور أبي هريرة في حفظ العلم، وتبليغ السنة، وكيف نقتدي به؟.

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
يُشادَّ الدين	يُقاوِمه، ويكلِّف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته[2].
إِلَّا غَلبه	أَعْياهُ غُلوُّه، وأضعف قوَّته وملَّه وَتَركه[3].
سدِّدوا	من السَّدَاد: وهو التوسُّط في العمل، من غير إفراط ولا تفريط.
قَارِبُوا	أي: في العبادة، إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

(١) "سنن الترمذي" (٥/ ٦٨٤).

(٢) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٢/ ٤٥١).

(٣) "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض (٢/ ١٣٣).

الجملة	اللغويات
أَبْشِرُوا	أي: بالثَّواب على العمَل الدائم وإِنْ قلَّ[1].
الْغَدْوَة	بفتح الغين، من أوَّل النهار إلى الزوال[2].
الرَّوْحَة	بفتح الراء، من زوال الشمس إلى الليل[3].
الدُّلْجَة	هو سَيْر الليل. يُقال: أَدْلَجَ بالتَّخفيف: إذا سار من أَوَّلِ الليل، وادَّلَجَ بالتشديد: إذا سار من آخره، ومنهم مَن يَجْعَل الْإِدْلَاجَ لِلَّيل كُلِّه[4].

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ"؛ أي: إن دين الإسلام يمتاز بسهولة أحكامه، ويُسر تكليفاته. "وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"؛ أي: لن يُغالب الدينَ أحدٌ ويتشدَّد فيه ويتجاوز السُّنَّة إلا غَلَبه، ولم يستطع المُواصلة. "فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا"؛ أي: افعلوا الشيء على وجه السَّداد والإصابة والكمال، فإن لم تستطيعوا ذلك، فاعمَلوا بما يَقرُب من ذلك، وأبشروا بالثواب الجزيل والخير والمعونة من الله تعالى.

قوله ﷺ: "**وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**" يعني أن هذه الأوقاتَ الثلاثة أفضل أوقات العمل والسير إلى الله، وهي: أوَّلُ النهار (الغدوة)، وآخِرُه (الرَّوحة)، وآخر الليل (الدلجة).

٤. الشرح المفصل للحديث:

في الحديث: يُسْرُ هذا الدين، وسهولةُ أحكامه، وملاءمته للفطرة الإنسانية، وأن قدرة الإنسان وطاقته البدنية شرطٌ في جميع التكاليف الشرعية، وأن رفع الحرج عن المكلَّفين أصل من أصول التشريع الإسلاميِّ، والترغيب في الأخذ بالرخص كالقصر والإفطار في السفر، والترغيب في الاقتصاد في

(١) "التوشيح شرح الجامع الصحيح" للسيوطيِّ (١/ ٢٠٣).
(٢) "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض (٢/ ١٢٩).
(٣) "مشارق الأنوار" للقاضي عياض (١/ ٣٠١).
(٤) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٢/ ١٢٩).

عبادات التطوُّع دون إفراط ولا تفريط[1].

يبيِّن النبيُّ ﷺ في هذا الحديث سماحةَ الإسلام ويُسرَه وسهولته، ومراعاته لأحوال الناس وظروفهم وطاقاتهم؛ فـ"يقول النبيُّ ﷺ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْر"؛ أي: إن هذا الدينَ، الذي هو دينُ الإسلام، يمتاز على غيره من الأديان السماوية بسهولة أحكامه، وعَدَم خروجها عن الطاقة البشرية، وملاءمتها للفِطرة الإنسانية، وتجرُّدها وخُلوِّها من التكاليف الشاقَّة، التي كانت في الشرائع السابقة، فقد كان الرجل من بني إسرائيلَ إذا أَذنَب ذنبًا، لا تُقبَل توبتُه إلا بقتله، وإذا أصابتْه النجاسة، لا يَطهُر إلا بقطع ما أصابته من ثوب أو بَدَن، أما هذا الدينُ، فقد تنزَّه عن كل ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ومن سماحة هذا الدينِ ويُسره أن الاستطاعة شرطٌ في جميع تكاليفه الشرعية؛ حيث قال ﷺ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"[2]، ومن ذلك أيضًا ما شرعه لهذه الأمة من رُخَص وأحكام استثنائية راعى فيها الظروف والأحوال؛ كالقَصر والإفطار في السفر"[3].

نشـــاط (٢)

اذكر بعض مظاهر يسر الإسلام وسهولته ورحمته:

.....

.....

.....

قوله ﷺ: "**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**": "لا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ في الأعمال الدينية، ويَتْرُكُ الرِّفْقَ، إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ، فَيُغْلَبُ"[4]، فلا يبالغ أحدٌ في نوافل العبادات، ويتجاوز فيها حدود الشريعة والسنَّة، وحقوق النفس والجسد، والزوجة والولد، إلا أَرهَق نفسَه، وانقطع في النهاية لسآمته ومَلَله، وكانت النتيجةُ عكسيةً؛ فإن لكلِّ فعل - كما يقول العلماء - ردَّ فعل، وردُّ الفعل الذي يترتَّب على التنطُّع في الدين سيِّئ

(١) "منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري" لحمزة محمد قاسم (١/ ١٢٣، ١٢٤).
(٢) رواه مسلم (١٣٣٧).
(٣) "منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري" لحمزة محمد قاسم (١/ ١٢١، ١٢٢).
(٤) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٩٤).

جدًّا؛ لأنه يؤدِّي حتمًا إلى ترك العبادة، وقد ذمَّ الله أقوامًا شدَّدوا على أنفسهم، وحَبَسوها في الصوامع ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

"(فَسَدِّدُوا): الْزَمُوا السَّدَادَ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، والسَّدَادُ: التَّوَسُّطُ فِي الْعَمَلِ، (وَقَارِبُوا)؛ أَيْ: إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ، فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ"[1].

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

في ضوء هذه الآيات اذكر الفرق بين الإسلام وغيره من الديانات من ناحية اليسر والعسر، وما مظاهر رحمة الله تعالى بالمسلمين في هذا الأمر.

اذكر بعض مظاهر يسر الإسلام وسهولته ورحمته:

.....

.....

.....

وهذا أمر من النبيِّ ﷺ بالاقتصاد والتوسُّط في العبادة دون إفراط ولا تفريط، وإذا لم تستطيعوا الإتيان بالأفضل من النوافل والطاعات والإتيان بها جميعًا، فَأْتُوا بما يُقارب الأفضل؛ لأن ما لا يُدرَكُ كلُّه، لا يُترَك جلُّه، فمن لم يستطع أن يصوم يومًا ويُفطر يومًا – الذي هو أفضلُ الصيام – فليَأْتِ بما يُقارب ذلك؛ كصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر، ومن لم يستطع ذلك، فليَصُمْ يومَ عاشوراءَ، ويومَ عرفةَ، وستَّةَ أيام من شوَّال[2].

فـ"هذا أمر بالاقتصاد وتَرْكِ الحَمْلِ على النفس؛ لأن الله تعالى إنما أوجب عليهم وظائفَ من الطاعات في وقت دون وقت؛ تيسيرًا ورحمةً"[3].

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٩٥).

(٢) "منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري" لحمزة محمد قاسم (١/ ١٢٣).

(٣) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للعينيِّ (١/ ٢٣٩).

قوله ﷺ: "وَأَبْشِرُوا»؛ أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قلَّ، والمرادُ: تبشيرُ من عَجَز عن العملِ بالأكمل بأن العَجْزَ إذا لم يكن من صَنِيعه، لا يَستلزِم نقص أجره، وأَبهَم المُبَشَّرَ به؛ تعظيمًا له وتفخيمًا[1].

نشـــاط (٤)

عن أَنَسِ بْن مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقَالَ (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[3].

- **في هذا الحديث ظهرت الوسطية في الدين في شخص النبي ﷺ، والتشدد في الدين في شخص الرهط الثلاثة، بيِّن هذا الأمر:**

.....

.....

.....

- **كيف نرد على من يتهم الإسلام بأنه دين تشدد وتعصب؟**

.....

.....

ثم ينبِّه النبيُّ ﷺ على اغتنام بعض الأوقات في أداء العبادات والتقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ فقال: "وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»؛ أي: اغتنموا أوقات نشاطكم، وانبعاث نفوسكم للعبادة، وأما الدَّوَامُ فلا تطيقونه، واحرصوا على أوقات النشاط، واستعينوا بها على تحصيل السداد، والوصول إلى المراد[2].

وكأنّه ﷺ خاطَب مسافرًا إلى مقصده، فنبَّهه على أوقات نشاطه؛ لأنّ المسافر إذا سافر اللّيلَ والنّهار

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقِّن (٣/ ٨٧).

جميعًا، عَجَز وانقطع، وإذا تحرَّى السّير في هذه الأوقات المنشِّطة، أمكنته المُداومةُ من غير مشقَّة، وحُسْنُ هذه الاستعارة أنّ الدّنيا في الحقيقة دار نُقْلة إلى الآخرة، وأنّ هذه الأوقاتَ بخصوصها أَرْوحُ ما يكون فيها البَدَن للعبادة[1].

وإنما قَالَ: "وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَة" ولم يقل: (والدلجة)؛ تخفيفًا عنه لمشقَّة عمل الليل[2].

وفي هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوَّة؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلَنا أن كلَّ متنطِّع في الدين يَنقطِع، وليس المرادُ منعَ طلب الأكمل في العبادة؛ فإنه من الأمور المحمودة؛ بل منع الإفراط المؤدِّي إلى الملال، أو المبالغة في التطوُّع المفضِي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلِّي الليل كلَّه ويُغالِب النوم، إلى أن غَلَبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقتُ المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقتُ الفريضة[3].

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

إِذا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلفَتَى ... فَأَكْثَرُ ما يَجْنِي عَلَيْهِ اجتِهادُهُ

٦. من هدايات الحديث:

١. الأَولى للعامل أن لا يُجهد نفسه بحيث يَعجِز وينقطِع عن الطاعة؛ بل يعمل بتلطُّف حتى يدوم عمله ولا ينقطع.

٢. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. هذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه الشريعة كلها؛ فإنها ميسَّرة لا عُسْرَ فيها.

٣. هذه الشريعة توحي للقلب الذي يتذوَّقها بالسهولة واليُسر في أخذ الحياة كلِّها، وتَطبَع نفس المسلم بطابَع خاصٍّ من السماحة التي لا تكلُّف فيها ولا تعقيدَ، سماحة تؤدَّى معها كلُّ التكاليف، وكلُّ الفرائض، وكلُّ نشاط الحياة الجادَّة، في طمأنينة وثقة ورضا، مع الشعور

(١) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٩٥).

(٢) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقِّن (٣/ ٨٧).

(٣) "فتح الباري" لابن حجر (١/ ٩٤).

الدائم برحمة الله، وإرادته اليُسْرَ لا العُسْرَ بعباده المؤمنين.

٤. إن مجاوزة السنَّة حتى لو في الطاعة يؤدِّي بالمرء إلى الهلاك.

٥. ما لا يُدرَكُ كلُّه، لا يُترَك جلُّه.

٦. الالتزام بالسنَّة والمشروع من العبادات هو سبيل السداد والبشرى.

٧. من يُسر هذا الدين ورحمته أن جعل قدرة الإنسان وطاقته البدنية شرطًا في جميع التكاليف الشرعية، وأن رفع الحرج عن المكلَّفين أصل من أصول التشريع الإسلاميِّ، وترغيبه في الأخذ بالرُّخص كالقصر والإفطار في السفر.

٨. إن الله تعالى فرض العبادات بحسب طاقة الإنسان، فلم يكلف الإنسان بشيء لا يستطيع فعله بل كلُّ الفرائض راعى فيها الله تعالى قدرة الإنسان واستطاعته.

٩. إذا أردت أن تنظر إلى تخفيف الله تعالى على عباده ومراعاة أحوالهم فانظر إلى الصلاة، فقد كانت أول ما فرضت خمسين صلاة، ثم خففت وصارت خمس صلوات، وراعى الله تعالى حال المصلين، فإذا لم يستطع المسلم أن يصلي وهو واقف جاز له أن يصلي وهو جالس، وإن لم يستطع أن يصلي وهو جالس؛ جاز له أن يصلى برأسه وهو نائم.

١٠. لا يجوز للإنسان أن يتشدد في دين الله ويُوجب على نفسه ما لم يفرضه الله عليه، فالتشدد في الطاعات تنطعٌ.

١١. إن الله تعالى جعل الإسلام وسطًا في كل شيء، ولن تعرف وسطية الإسلام إلا إذا علمت أحوال الديانات الأخرى.

١٢. يجب على المسلم أن يستبشر ويرجو الخير من الله تعالى، فإن الله تعالى قال في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي" فإذا ظننت بربك خيرًا وجدت منه الخير، وإذا ظننت به سوءًا فستجد ما كنت تظن.

١٣. يجب على المسلم أن يوزع أعماله على مدار اليوم، ويستغل أفضل أوقات العبادة، فإن ثواب العمل فيها أفضل من غيرها.

١٤. على الإنسان أن يختار أوقاتَ نشاطه في عبادة الله وطاعته، فإذا أحسَّ من نفسه الكسلَ أو الفتور فليَرقُد ويرتاح، ثم يستأنفُ حين ينشط ويقوى.

١٥. التمسُّك بسُنَّةِ النبيِّ ﷺ خيرٌ من الزيادة عليها، فالصومُ والفطرُ والقيامُ والنومُ خيرٌ من صيام

العام كله وقيامه، ولهذا قال ﷺ للنفر الذين استصغروا عبادة النبيِّ ﷺ وأرادوا الزيادةَ عليها: "أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

ثالثا: التقييم

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. كلف الله تعالى الإنسان:
   ١. بما يطيق.
   ٢. بما لا يطيق.
   ٣. بما يعجز عنه.

2. لن يشاد الدين أحد إلا:
   ١. غلبه.
   ٢. نصره.
   ٣. تركه.

3. الأفضل في العبادة:
   ١. الزيادة على السنة.
   ٢. الالتزام بالسنة.
   ٣. من نقص في السنن.

4. دين الإسلام:

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

١. قرَّب بين الديانات السابقة.
٢. جعل كل الديانات متشابهة إلَّا في أقل القليل.
٣. دين يسر وسهولة ولين.

س٢: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. إن الشريعة الإسلامية ملائمة للفطرة الإنسانية. ( )
٢. من سماحة هذا الدينِ ويُسره أن الاستطاعة شرطٌ في جميع تكاليفه الشرعية. ( )
٣. الرهبانية والاحتباس للعبادة من بدع الأمم السابقة. ( )
٤. الجاهلون من اغتنموا أوقات نشاطهم. ( )
٥. إن مجاوزة السنَّة حتى لو في الطاعة يؤدِّي بالمرء إلى الهلاك. ( )
٦. يجب على المسلم أن يوزع أعماله على مدار اليوم. ( )
٧. التمسُّك بسُنَّةِ النبيِّ ﷺ خيرٌ من الزيادة عليها. ( )

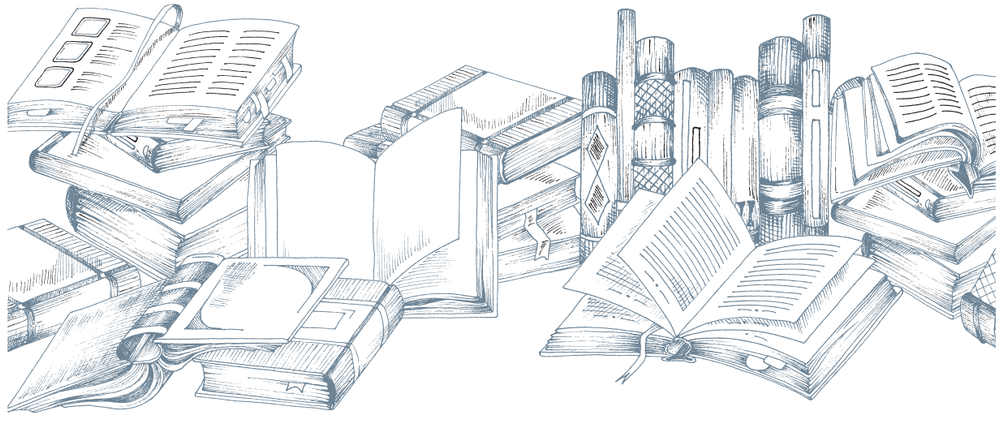

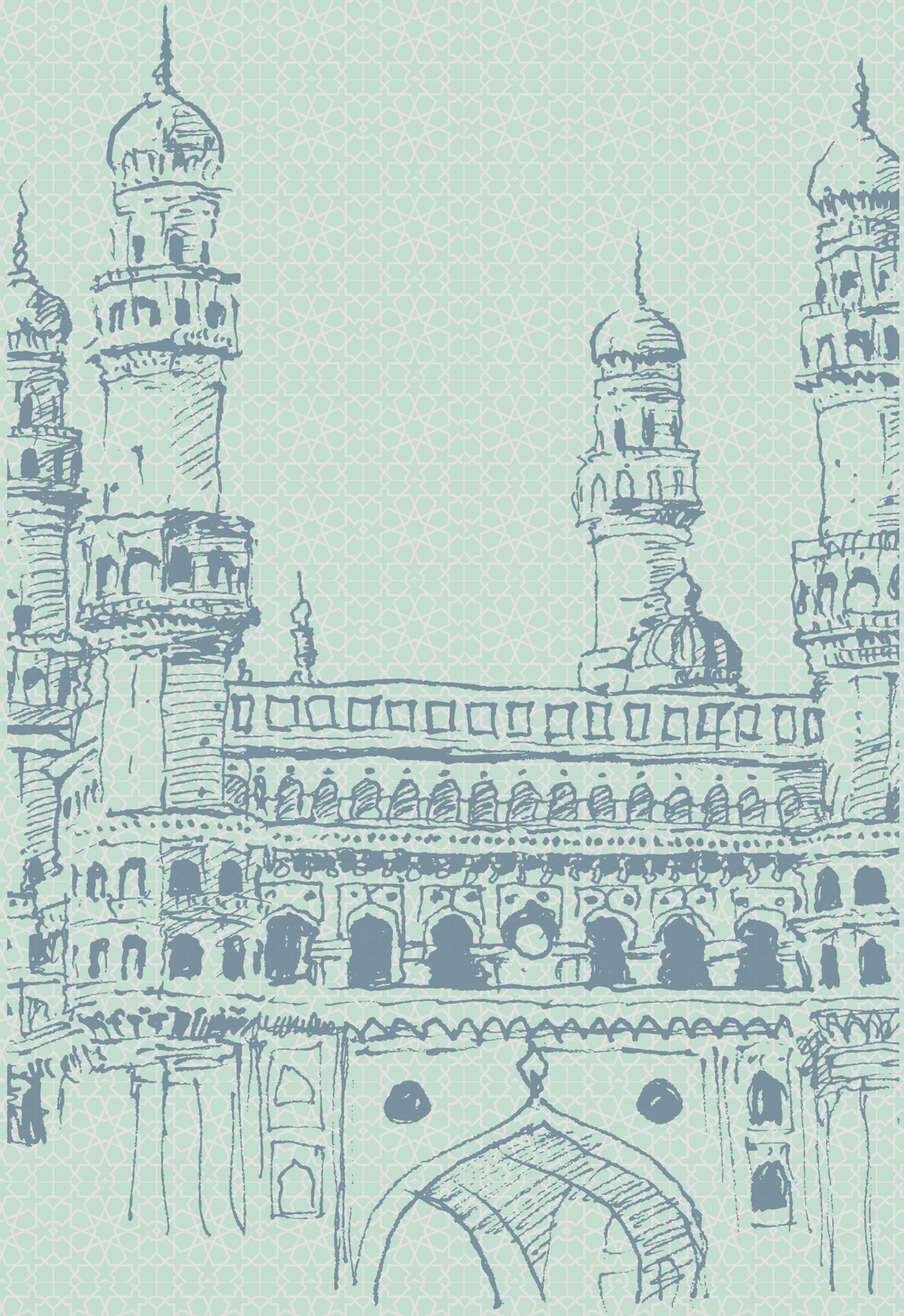

الحديث العشرون:
أخلاق المسلم

أخلاق المسلم

عَنْ العِرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فوعَظَنا موعظةً بليغةً، وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَت منها العيونُ، فقيل: يا رسول الله، وعظْتَنا موعظةَ مُوَدِّع، فاعهَدْ إلينا بعهدٍ، فقال: «عليكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًّا، وسترَوْنَ من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذ، وإيَّاكم والأمورَ المُحدَثاتِ؛ فإن كلَّ بِدعة ضلالة». رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذيُّ (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصحَّحه ابن الملقِّن في "البدر المنير" (٩/ ٥٨٢)، والألبانيُّ في "المشكاة" (١٦٥)، و"الإرواء" (٢٤٥٥).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

إن النبي ﷺ كان دائمًا يوصي أصحابه والمسلمين من بعدهم بما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة، وفي هذا الحديث وصية نبوية عظيمة، فيها سعادة الناس ودرءُ الفتن وسلامة الدين.

اقرأ الحديث في صمت ثم دَوِّن ما استفدته من القراءة الأولى، ثم اقرأ الشرحَ ودَوِّن ما استفدته من الحديث بعد قراءتك للشرح.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تبرهن على أهمية طاعة أولي الأمر.
٦. توضح أنواع الأمور المحدثات.
٧. تستنتج فضل الخلفاء الراشدين.
٨. يزداد حرصك على اتباع الهدي النبوي.
٩. تنفر من كل خلاف وفرقة.

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها:

١. الموعظة وأثرها.

٢. سمع وطاعة أولي الأمر.

٣. التمسك بالسنة.

٤. اتباع سنة الخلفاء.

٥. الحذر من الخلاف.

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: العِرْباضُ بنُ سَارِيَةَ، السُّلَميُّ، أبو نَجِيح، من بني سَليم بنِ منصورٍ، من أهل الصُّفَّة، وكان من البكَّائين، نزل الشام، وسكن حمصَ، وهو ممن نزل فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]، روى عن النبيِّ ﷺ، وروى عنه: عبد الرحمن بن عمرو، وجُبيرُ بنُ نُفير، وخالدُ بنُ مَعدانَ، توفِّي سنةَ (٧٥هـ)، وقيل: في فتنة ابن الزبير[١].

(١) تراجع ترجمته في: "معرفة الصحابة" لأبي نُعيم (٤/ ٢٢٣٤)، "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٣/ ١٢٣٨)، "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٤/ ٤٣١).

نشـــاط (١)

ارجع إلى الكتب التي تكلمت عن الصحابة الكرام، ثم لخص كل ما تقرأه عن العرباض بن سارية ﷺ.

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
وَجِلَتْ	فَزِعَت[١].
ذَرَفت	أي: نزل منها الدمعُ[٢].
النواجذ	هي الأنياب أو الأسنان في أقصى الفم أو المُضاحك التي تَظهَر من الأسنان عند الابتسام، والمقصود قوة الإمساك بالشيء[٣].
البِدْعة	الأمر المُحْدَث في الدِّين[٤].

(١) "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٥/ ١٥٧).

(٢) "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٢/ ١٥٩).

(٣) "الغريبين في القرآن والحديث" (٦/ ١٨١١).

(٤) قال القاضي عياض في "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" (١/ ٨١): البدعة هذه كلُّ ما أُحدِث بعد النبيِّ ﷺ فهو بدعة، والبدعة فعلُ ما لم يُسبق إليه، فما وافق أصلًا من السنَّة يُقاس عليها فهو محمود، وما خالف أصول السُّنن فهو ضلالة. ومنه قوله: "كل بدعة ضلالة".

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

قال العِرباضُ بنُ ساريةَ رضي الله عنه: (قام فينا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم، فوعَظَنا موعظةً بليغةً، وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَت منها العيونُ): كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يعِظ أصحابه، وذاتَ يوم وعظهم موعظةً بليغة، خوَّفهم وأَنذَرهم، فخافت قلوبهم، وبَكَت عيونهم من الخشية والخوف.

فقيل: (**يا رسول الله، وعظْتَنا موعظةَ مُوَدِّع**): إذ بالغتَ في الموعظة؛ فإن المُوَدِّع عند الوداع لا يترك شيئًا مما يُهِمُّ المودَّع، ويفتقر إليه، إلا ويُورِده ويَستَقصي فيه. (فاعهَدْ إلينا بعهدٍ)؛ أي: فأَوْصِنا.

فقال: "**عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًّا**»؛ أي: أُوصيكم بتقوى الله، وأُوصيكم بالسمع والطاعة لأمرائكم ومن يَلُون أمركم، حتى وإن كان الأميرُ عبدًا حبشيًّا.

«**وسترَوْنَ من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسُنَّتي**»؛ فالتمسُّك بسُنَّته ﷺ هي المنجاة وَسَطَ هذا الخلاف الشديد. "**وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين**" قيل: هم أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ رضي الله عنهم، وقيل: بل هم ومن سار سيرتهم من أئمَّة الإسلام في إعلاء الحقِّ، وإحياء الدِّين، وإرشاد الخلق إلى الصراط المستقيم. "**عَضُّوا عليها بالنواجذ**»، يريد: تمسَّكوا بالسُّنَّة كمن يُمسِك الشيء بين أضراسه ويَعَضُّ عليه لئلَّا يُنتزع منه. "**وإياكم والأمورَ المُحدَثاتِ؛ فإن كلَّ بِدعة ضلالة**»؛ أي: احذروا الأمور المحدثة المبتدَعة مما يخالف سُنَّتي؛ فإنها الضلال.

٤. الشرح المفصل للحديث:

يُرشدنا هذا الحديث إلى بعض القواعد العظيمة التي انْبنى عليها الدين، من وجوب الاتِّباع، وتحريم الابتداع، وطاعة أُولي الأمر في المعروف، والصبر على أذاهم، واتِّباع سُنَّة الصحابة والخلفاء الراشدين.

قوله: (**وعظنا موعظةً بليغة**) كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يعِظ أصحابه؛ لقوله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. ولم يكن ﷺ يُطيل الموعظةَ، ولا يَعِظهم كلَّ يوم؛ بل كان يختار الأوقات المناسبة للموعظة؛ لئلَّا يَمَلُّوا ويسأموا، أو تعتاد قلوبهم ذلك. وفي الحديث عن أبي وائل، قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُذَكِّرُ الناس في كلِّ خميسٍ، فقال له رجُل: يا أبا عبد الرحمن، لوددتُ أنَّك ذكَّرتنا كلَّ يوم، قال: "أما إنه يمنعني من ذلك أني أكرَهُ أن أُمِلَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان النبيُّ ﷺ يتخوَّلنا بها؛ مخافةَ السآمة علينا"[1].

(١) رواه البخاريُّ (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

نشـــاط (٢)

تناقش مع زملائك في الآداب التي يجب على الداعية مراعاتها أثناء دعوة الناس.

.....

.....

.....

ووصف الموعظة بأنها بليغة؛ أي: بَالَغَ فيها بالتخويف والإنذار؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، والبلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، ومنه البلاغة، والأصل فيه أن يجمع الكلام ثلاثة أوصاف: صوابًا في موضوع اللغة، ومطابقة للمعنى المراد منه، وصدقًا في نفْسه، وكلام الرسول ﷺ أحقُّ بهذه الأوصاف من بين كلام سائر الخَلْق[1].

وقوله: (ذرفت منها العيون)؛ أي: بَكَت العيون من الخشية والخوف، وهذا مجازٌ؛ فإن الأصل: ذرفت الدموعُ لا العيون، فإسناد الذرف إلى العيون كإسناد الفَيض إليها؛ كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]، فكأن أعينَهم ذَرَفت مكانَ الدمع مبالغةً فيها، وإنما قدَّم وَجَل القلوب على بكاء العيون للدلالة على أن الموعظة قد أثَّرت فيهم باطنًا وظاهرًا[2].

وهذان الوصفان قد مدح الله بهما عباده المؤمنين في غير موضِع، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

(١) "الميسر في شرح مصابيح السنة" للتوربشتيِّ (١/ ٨٨).

(٢) "شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبيِّ (٢/ ٦٣٣).

نشـــاط (٣)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

للبكاء من خشية الله تعالى فضائل كثيرة، اذكرها مستدلا على ما تقول.

.....

.....

.....

وقوله ﷺ: (**وعظتَنا موعظةَ مُوَدِّع**) مبالغة في الموعظة؛ فإن المُوَدِّع عند الوداع لا يترك شيئًا مما يُهِمُّ المودَّع، ويفتقر إليه، إلا ويورده ويَستَقصي فيه[1].

قوله ﷺ: "**عليكم بتقوى الله**"؛ أي: أُوصيكم بها، والتقوى كما قال طَلْق بن حبيب رحمه الله: "أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصيةَ الله، على نور من الله، تخافُ عقابَ الله"[2].

نشـــاط (٤)

قد أمر اللهُ تعالى الناسَ بالتقوى في القرآن الكريم أكثر من مرة، اذكر ثلاثة مواضع من القرآن فيها أمر بالتقوى:

.....

.....

.....

(١) انظر: "شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن" للطِّيبيِّ (٢/ ٦٣٣)، "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه" لابن تيمية (١/ ٩)، "مدارج السالكين" لابن القيم (١/ ٤٥٩).

وقوله ﷺ: "**والسمع والطاعة وإنْ عبدًا حبشيًّا**"؛ أي: أوصيكم بالسمع والطاعة لأمرائكم ومن يَلُون أمركم، وقوله: "عبدًا حبشيًّا" إنما ساقه ﷺ لضرب المَثَل؛ فإنه ﷺ أخبر أن الأصل في خلافة المسلمين تكون في قريش: "إن هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين"[1]، وإنما ساقه ﷺ في مَضرِب المَثَل عن الشيء الذي لا يكاد يوجد؛ كما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "مَن بنى مسجدًا لله كمِفْحَصِ قَطَاةٍ، أو أصغرَ، بنى الله له بيتًا في الجنة"[2]، ومِفْحَص القَطاة: موضع الطائر الذي يَبيض فيه، وقدر مِفْحَص قَطاة لا يكون مسجدًا لشخصٍ آدميٍّ[3].

ويَحتمِل أن النبيَّ ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، حتى تُوضع الولاية في العبيد، فإذا كانت فاسمعوا وأطيعوا تغليبًا لأهون الضررين، وهو الصبرُ على ولاية مَن لا تجوز ولايته؛ لئلَّا يُفضي إلى فتنة عظيمة[4].

وقوله: "وسترَوْن من بعدي اختلافًا شديدًا"، هذه من معجزاته ﷺ ودلائل صدقه؛ فإنه أخبر عمَّا يكون من الاختلاف على سبيل الإجمال، وإن كان قد عَلِم بعضه، أو كلَّه على التفصيل.

نشـــاط (٥)

لا يخلو زمان من فتن وبدع، وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ؛ لأنه أخبر الناس بهذا الأمر قبل وقوعه، اذكر بعض الفتن والبدع التي تراها وتعايشها، مع ذكر طريقة الخروج منها وهدمها.

.....

.....

.....

.....

.....

(١) رواه البخاريُّ (٣٥٠٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٧٣٨)، وصحَّحه البوصيريُّ في "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه" (١/ ٩٤).

(٣) انظر: "معالم السنن" للخطَّابيِّ (٤/ ٣٠٠)، "الميسر في شرح مصابيح السنة" للتوربشتيِّ (١/ ٨٨).

(٤) انظر: "تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة" للبيضاويِّ (١/ ١٣٧)، "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٩٧).

قوله: "**عليكم بسُنَّتي**»؛ أي: الزَموا سُنَّتِي، والسُّنَّة: الطريقة، وهي: كلُّ ما نُقل عن النبيِّ ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو إقرار[1].

وقوله: "**وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين**" المراد بهم: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ رضي الله عنهم؛ فإنهم الذين انعقد عليهم الإجماعُ بالخلافة الراشدة؛ لقوله رضي الله عنه في حديث سفينةَ أن النبيَّ ﷺ قال: "الخلافة في أُمتي ثلاثون سنةً، ثم مُلك بعد ذلك»[2]، وإنما أمر بالرجوع إلى سُنَّة الخلفاء الراشدين؛ لأمرين: أنه عَلِم أنهم لا يُخطئون سُنَّته، فيما يَستخرجونه من سُنَّته بالاجتهاد، ومن هذا الباب قتالُ أبي بكر رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقتال عليٍّ رضي الله عنه المارقة، والثاني: أنه ﷺ علِم أن شيئًا من سُنَّته لا يَشتهِر في زمانه، وإن علِمه الأفراد من صحابته، ثم يَشتهِر في زمان الخلفاء، فيُضاف إليهم، فربما يتذرَّع أحدٌ إلى ردِّ تلك السُّنة بإضافتها إليهم، فأطلق القول باتِّباع سُنَّتهم؛ سدًّا لهذا الباب، ومن هذا النوع منع عمر رضي الله عنه عن بيع أمهات الأولاد، وله نظائرُ كثيرة[3].

وربما يكون المراد بقوله: "الخلفاء الراشدين المهديين" العلماء وأئمة الإسلام المجتهدين في أصول الأحكام؛ فإنهم خلفاؤه في إحياء الحقِّ، وإعلاء الدين، وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم[4].

وقوله: "**عضُّوا عليها بالنواجذ**" اختلفوا في النواجذ؛ فقيل: هي الأنيابُ، وقيل: المَضاحكُ، وقيل: الأضراسُ. والمرادُ: المبالغةُ في التمسُّك بهذه الوصية بجميع ما يمكِن من الأسباب المُعينة عليها، كالذي يتمسَّك بالشيء، ثم يَستعين عليه بأسنانه؛ استظهارًا للمحافظة. ويجوز أن يكون معناه المحافظةَ على هذه الوصيَّة بالصبر على مُقاساة الشدائد، كمن أصابه ألمٌ فأراد أن يصبر عليه، ولا يستغيث منه بأحد، ولا يُريد أن يُظهر ذلك عن نفْسه، فجعل يشتدُّ بأسنانه بعضها على بعض[5].

(١) انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٢/ ٤٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذيُّ (٢٢٢٦)، واللفظ له، وقال الترمذيُّ: حديث حسن، وحسَّنه ابن حجر في "موافقة الخبر الخبر" (١/ ١٤١).

(٣) انظر: "الميسر في شرح مصابيح السنة" للتوربشتيِّ (١/ ٨٩)، "المفاتيح في شرح المصابيح" للمظهريِّ (١/ ٢٧٢).

(٤) "تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة" للبيضاويِّ (١/ ١٣٧).

(٥) انظر: "معالم السنن" للخطَّابيِّ (٤/ ٣٠١)، "الميسر في شرح مصابيح السنة" للتوربشتيِّ (١/ ٨٩).

نشـــاط (٦)

للخلفاء الراشدين دور كبير في نشر الإسلام والدفاع عن الدين، فهم القدوة الحسنة، ويجب على المسلمين أن يقتدوا بهم.

اذكر أكثر صحابي من الخلفاء الراشدين أثر فيك، ثم اذكر بعض المواقف التي قرأتها عنه فأثرت فيك.

.....

.....

.....

وقوله: "**الأمور المحدَثات**»: الأمور المُحدَثة في الدين على قسمين: إما أن يكون محدَثٌ ليس له أصلٌ في الدين، فهذا باطلٌ مذمومٌ، وإما أن يكون له أصلٌ قيس عليه، واشتُقَّ منه، فهذا ليس بمذموم؛ إذ الحداثة في حدِّ ذاتها ليست محلًّا للمدح أو الذم، وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢][1].

والمراد بالبدعة: ما أُحْدِث في الدين مما لا أصلَ له في الشريعة يدُلُّ عليه، فأما ما كان له أصلٌ من الشرع يدُلُّ عليه، فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً، وما كان محدَثًا في أمور الدنيا فلا عَلاقة له بالبدعة هنا[2].

وقوله: "**كل بدعة ضلالة**" هذا من جوامع كَلِمه ﷺ، فإنَّه قعَّد قاعدةً في هذا الدين بعبارة موجَزة يَسيرة، وهي كقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها: "مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ»[3]؛ فكلُّ مَن أحدث شيئًا ونَسَبه إلى الدين، ولم يكن له أصلٌ من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريءٌ منه، وسواءٌ في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة[4].

أما استحسان السَّلَف لبعض الأفعال على أنها بدعة؛ كقول عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه عن جمع الناس في قيام

(١) انظر: "عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي" لابن العربيِّ (١٠/ ١٤٧)، "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد (ص: ٩٨).

(٢) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ١٢٧).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ١٢٨).

رمضان على إمام واحد: "نِعمَ البدعةُ هذه"[1]، فإنما ذلك في البِدَع اللغوية، لا الشرعية؛ فإن فعله ﷺ له أصلٌ في الشرع؛ فإن النبيَّ ﷺ صلَّى بالناس، ثم خشيَ أن تُفرض عليهم، فترك ذلك، فلما تولَّى عمرُ رضي الله عنه جمعَهم على أُبيِّ بن كَعب رضي الله عنه وقال قولته تلك، فلم تكن بدعةً شرعية[2].

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

وقال الآخر:

وَمَا لَبِسَ الإنسانُ أَبْهَى مِنَ التُّقَى ... وَإِنْ هُوَ غَالَى فِي حِسَانِ الْمَلَابِسِ

وقال الآخر:

مِلَاكُ الأَمْرِ تَقْوَى اللهِ فَاجْعَلْ ... تُقَاهُ عِدَّةً لِصلاحِ أَمْرِكْ

وَبَادِرْ نَحْوَ طَاعَتِهِ بِعَزْمٍ ... فَمَا تَدْرِي مَتَى يَمْضِي بِعُمْرِكْ

٦. من هدايات الحديث:

١. ينبغي للعالِم أن يتخوَّل أصحابه بالموعظة، ولا يُكثر عليهم.

٢. يُستَحب للرجُل أن يسأل العالِمَ والداعيةَ وَعْظَه.

٣. على الواعظ أن تشتمل موعظته على القواعد العامَّة، والأمور الكلية.

٤. التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثوابَ الله، وأن تتركَ معصيةَ الله، على نور من الله، تخافُ عقابَ الله[3].

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٠١٠).

(٢) انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٢/ ١٢٨).

(٣) انظر: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه" لابن تيمية (١/ ٩)، "مدارج السالكين" لابن القيم (١/ ٤٥٩).

٥. التقوى كلمة جامعة من أجمع الكلمات الشرعية، ومعناها: أن يتَّخِذ الإنسان وقايةً من عذاب الله، ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر واجتناب النواهي، ولا يكون فعلُ الأوامر واجتناب النواهي إلا بعلم الأوامر والنواهي[1].

٦. إذا اجتمع للإنسان العلم والعمل، نال بذلك خشية الله، وحَصَلت له التقوى.

٧. عليك بسنَّة النبيِّ ﷺ؛ فإن سنَّة النبيِّ ﷺ هي سبيل النجاة من الخلافات والبدع.

٨. قال ابن مسعود: نِعمَ المجالس المجلسُ الذي تُنشر فيه الحكمةُ، وتُرجى فيه الرحمةُ، هي مجالس الذِّكر"[2].

٩. قال عبد اللهّ بن مسعود: "اتَّبِعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم؛ فإنّ كلّ محدَثة بِدعة، وكلّ بدعة ضلالة".

١٠. قال عبد اللهّ بن مسعود: "إنّا نقتدي ولا نبتدي، ونتَّبع ولا نبتدِع، ولن نَضِلَّ ما تمسَّكنا بالأثر"[3].

١١. قال عبد اللهّ بن مسعود: "إيّاكم والتّبدُّعَ، وإيّاكم والتّنطُّع، وإيّاكم والتّعمُّقَ، وعليكم بالدّين العتيق"[4].

١٢. قال عبد اللهّ بن مسعود: "وإيّاكم والمحدَثاتِ؛ فإنّ شرَّ الأمور محدَثاتها، وكلّ بدعة ضلالة[5]".

١٣. قال عبد اللهّ بن مسعود: "اتَّبِعْ ولا تبتدع؛ فإنّك لن تضلَّ ما أَخَذْتَ بالأثر"[6].

١٤. قال ابن عبّاس: "كان يقال: عليكم بالاستقامة والأثر، وإيّاكم والتّبدُّعَ"[7].

١٥. قال شُرَيْحٌ: "إنّما أقتفي الأَثَرَ، فما وجدتُ قد سَبَقنا إليه غيرُكم، حدَّثتُكم به"[8].

١٦. متى صحَّت التقوى، رأيتَ كلَّ خير، والمتَّقي لا يُرائي الخَلق، ولا يتعرَّض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظه الله"[9].

---

(١) "شرح رياض الصالحين" للعثيمين (٢/ ٢٧٦).

(٢) "لطائف المعارف" لابن رجب (ص: ١٤).

(٣) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٤) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٥) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٦) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٧) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٨) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم (٤/ ١١٥).

(٩) "صيد الخاطر" لابن الجوزيِّ (ص: ٥٠٩).

١٧. يدوم طِيب القلب بدوام التقوى[1].

١٨. يحُضُّ الإسلام دائمًا على لزوم الجماعة؛ فرفع راية الحقِّ وكلمة الله تعالى يتوقَّف تحقُّقه على القوَّة الجماعية، وقوة الأمَّة في وَحْدتها.

١٩. احرص على أن تستمع إلى المواعظ بين الحين والآخر، فإنها ترقِق القلب، وتذكر بالرب ﷻ، وتحمل على التوبة من الذنب.

٢٠. إن تقوى الله تعالى هي زاد المؤمن الذي ينفعه في الدنيا والآخرة، فاتق الله ما استطعت.

٢١. إن الأمير والسلطان هو ولي الله في الأرض، وطاعته من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ ومخالفته من مخالفة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

٢٢. إن الكتاب والسنة نور للإنسان في الدنيا والآخرة، فلن تضرك فالفتن ما دمت متمسكا بهما.

٢٣. إن الرسول ﷺ وإن قُبِضَتْ رُوحُه الشريفة، فهو كالباقي بيننا بما ترك من سُنَّته التي فيها الأمرُ والنهيُ والتفصيلُ والإيضاح؛ فإذا أشكل عليك أمر؛ فارجع إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ.

ثالثا: التقييم

س١: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. لم يكن النبي ﷺ يُطيل الموعظةَ. ( )

٢. لم يكن النبي ﷺ يختار الأوقات المناسبة للموعظة. ( )

٣. من صفات المؤمنين أنهم يبكون من خشية الله تعالى. ( )

٤. السنة هي: ما نُقل عن النبيِّ ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو إقرار. ( )

٥. إذا اجتمع للإنسان العلم والعمل، نال بذلك خشية الله. ( )

٦. يجب الخروج على الحاكم إذا كان ظالما. ( )

٧. سنة النبي ﷺ لا تصلح لكل زمان ومكان. ( )

(١) "صيد الخاطر" لابن الجوزيِّ (ص: ٤١٠).

٨. كتاب الله وسنة نبيه فيها صلاح الدين والدنيا. ( )

٩. إن الرسول ﷺ لم يمت؛ لأنه ترك فينا سنته. ( )

١٠. سماع الموعظة لا يؤثر في القلوب. ( )

س١: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. إذا وجد المسلم من أميره ما يكرهه:
   ١. خرج عليه.
   ٢. سبه بين الناس.
   ٣. صبر على ما يكرهه.

2. من مفاتيح النجاح عند الخلاف التمسك بـ:
   ١. الموعظة البليغة.
   ٢. السنن الصحيحة.
   ٣. الآراء المحدثة.

3. من الأمور التي ينبغي على المسلم أن يتمسك بها وقت الفتنة:
   ١. كتاب الله.
   ٢. سنة النبي ﷺ.
   ٣. سنة الصحابة والتابعين.
   ٤. كل ما سبق.

4. من عبارات الحديث التي تثبت معجزة للنبي ﷺ قوله:
   ١. من يعش منكم فسيرى اختلافا شديدا.
   ٢. عليكم بسنتي.
   ٣. كل بدعة ضلالة

الحديث الواحد والعشرون:

في كل وقت صفحة جديدة

في كل وقت صفحة جديدة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ". رواه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذيُّ (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسَّنه الألبانيُّ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣١٣٩).

أولا: مقدمات دراسة الحديث

١. تمهيد:

هل فكرت قبل ذلك في حجم ذنوبك، وكيف سيكون مصير الإنسان إذا لاقى ربه بهذا القدر من المعاصي؟!

ينادي الله تعالى على ابن آدم فيقول له: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك، ابن آدم، إن تلقني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئا، ابن آدم إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي.

فلا تيأس، ولا تقنط، ولا تظن أن الله تعالى لن يغفر لك ذنبك مهما كانت خطاياك، فكل ابن آدم خطَّاء.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتَوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا -بعد عون الله تعالى- على أن:

١. تترجم لراوي الحديث.
٢. توضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تبين ما يرشد إليه الحديث.
٥. تعرف حرمة اليأس من رحمة الله تعالى.
٦. تعرف طبيعة النفس البشرية.
٧. تعرف سعة رحمة الله تعالى.
٨. قبول الله تعالى للعاصين.
٩. حب الله تعالى لعباده التائبين

٣. موضوع الحديث:

أخي الطالب، تضمَّن الحديث الشريف الذي ستدرسه -بعون الله تعالى- عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبيَّن في الشكل التالي:

ثانيا: رحلة تعلُّم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلُّم درس اليوم:

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو حَمْزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَمٍ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابتِه من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابْنُ عَشْرٍ، وَمَاتَ وهو ابْنُ عِشْرِينَ، وكان يَخْدُم النبيَّ ﷺ فَصَحِبَه أتمَّ الصُّحْبَةِ، وَلازَمَهُ أَكْمَلَ المُلازَمَةِ مُنْذُ هَاجَرَ، وإلى أن مات، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشجرة. روى عن النبيِّ ﷺ عِلْمًا جمًّا، وعن أبي بكر، وعمرَ، وعثمانَ، وغيرِهم، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، وكانت نَخَلاته تحمل في السَّنة مرتَين، أخرج حديثَه الأئمةُ الستةُ، مُسْنَدُه ألفان ومِائتان وسِتَّةٌ وثمانون، اتَّفَق له البخارِيُّ ومسلم على مِائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاريُّ بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين[1]، تُوفِّيَ سنةَ: (٩٣هـ)[2].

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٤/ ٤٢٣).

(٢) تراجع ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، "معرفة الصحابة" لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، "معجم الصحابة" للبغويِّ (١/ ٤٣)، "أسد الغابة" لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

نشـــاط (١)

كان أنس بن مالك مقرب إلى النبي ﷺ، وكانت له مواقف كثيرة معه ﷺ، ودعا له النبي ﷺ دعاء وتحقق هذا الدعاء.

اذكر موقفا من مواقف أنس بن مالك مع النبي ﷺ، مع ذكر الدعاء الذي دعا به النبي له، وكيف استجاب الله هذا الدعاء؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢. لغويات الحديث:

الجملة	اللغويات
خَطَّاء	الخطأ: الذَّنْبُ والإثم، وخطَّاء صيغة مبالغة، وأخطأ يُخطئ: إذا سَلَك سبيل الخطأ عَمْدًا أو سَهْوًا[1].
التَّوَّابُونَ	تاب: عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه؛ أي: عاد عليه بالمغفرة، وتوَّاب صيغة مبالغة [2].

(١) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٢/ ٤٤).

(٢) "تهذيب اللغة" للأزهريِّ (١٤/ ٢٣٦).

٣. المعنى الإجمالي للحديث:

يروي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ"؛ أَيْ: كلُّ البَشَر كَثِيرُو الْخَطَأ. "وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"؛ أي: وخيرُهم من يُسارع في التوبة، فكما هو كثير الخطأ، فهو كثير التوبة.

٤. الشرح المفصل للحديث:

خلق الله تعالى الخَلْقَ لغايات عظيمة، وحِكَم جليلة، أجلُّها عبادةُ الله عزَّ وجلَّ وتوحيده؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالإنسان مأمور بمعرفة الله، وتوحيده، وعبادته، وأودَع الله في كل إنسان خَلَقَه القُدرة على فعل الخير والشرِّ؛ قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: دَلَلْناه على طريق الخير وطريق الشرِّ، وتَركْنا له حرية الاختيار بينهما، وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧-٨]؛ أي: بيَّن لها الخير والشرَّ، وهداها لما قُدِّر لها، ثم أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب؛ حتى يستقيم الإنسان على عبادته، فيَحُوز خيرَي الدنيا والآخرة، فمن اتَّبَع الرُّسُل، واستقام على نهجهم، أفلح ونجا؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]، إلا أن الإنسان وهو سائر في طريقه إلى الله، معرَّض للوقوع في الذنوب والمعاصي والأخطاء؛ إذ النقصُ من جملة صفاته؛ قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الله قد فتح لعباده باب التوبة من الذنوب والمعاصي، فما كان الله ليَخْلُق عباده بهذه الصفات إلا لحكمة بليغة هو يَعلَمها، وهي: أن يَعبُد المسلم ربَّه بالتوبة والإنابة والرجوع إليه؛ ففي حديث أنسٍ ﷺ يقرِّر النبيُّ ﷺ سنَّة من سنن الله في خلقه، وهي أن كلَّ بني آدمَ يَقَع في الذنوب والمعاصي، فإذا ما وقعوا فيها، فباب التوبة مفتوح، فليبادروا بها.

نشـــاط (٢)

إن الله تعالى خلق الخلق لمهمة عظيمة، قد ذكرت هذه المهمة في القرآن، اذكرها مع ذكر الدليل على كلامك:

.....

.....

.....

يقول ﷺ: "**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ**"؛ أي: كثيرو الخطأ، وخطَّاء من صِيَغ المبالغة، والمراد بالخطأ: المعصيةُ عَمْدًا ومطلَقًا، ويَدخُل فيها الصغائر والكبائر، والأنبياءُ معصومون من الوقوع في الكبائر، وقد يَقَع من بعضهم بعضُ الصغائر على الراجح من أقوال أهل العلم؛ إلا أنهم سُرعانَ ما يتوبون إلى الله ويستغفرونه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

وإذا كان الإنسان بطبعه كثيرَ المعاصي، فإن ذلك ليس مبرِّرًا له على الإطلاق في الاسترسال في الذنوب والمعاصي، فهو مأمورٌ بتصحيح ذنبه؛ ولذلك جاءت الجملة الثانية من الحديث تُرشده إلى طريق الخلاص والتوبة من المعاصي، فقال ﷺ: "**وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"؛ أي: والخيرية والأفضلية إنما تكون للتائبين والمستغفرين الرَّجَّاعين إلى الله بالتوبة من المعصية إلى الطاعة، فكلَّما أذنب أحدهم، أَحدَث توبةً إلى الله تعالى، وبادَرَ إلى طلب المغفرة منه سبحانه، فهذه صفة من صفات المتَّقين؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، "فأثنى على المستغفِرين، وفي ضِمْنِ ثنائه بالاستغفار لوَّح بالأمر به، كما قيل: إن كلَّ شيء أَثنى اللهُ على فاعله، فهو آمِرٌ به، وكلَّ شيء ذَمَّ فاعلَه، فهو ناهٍ عنه"[1].

وعلى المسلم إذا ما أَذنَب أن يُسارع إلى التوبة، ولا يَيْأَس من رحمة الله - عزَّ وجلَّ - فاليأس من رحمة الله صفةٌ من صفات الكافرين وأهل الضلال؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]، فـ"اليأس من رحمة الله فيه تكذيب القرآن؛ إذ يقول وقولُه الحقُّ: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]"[2].

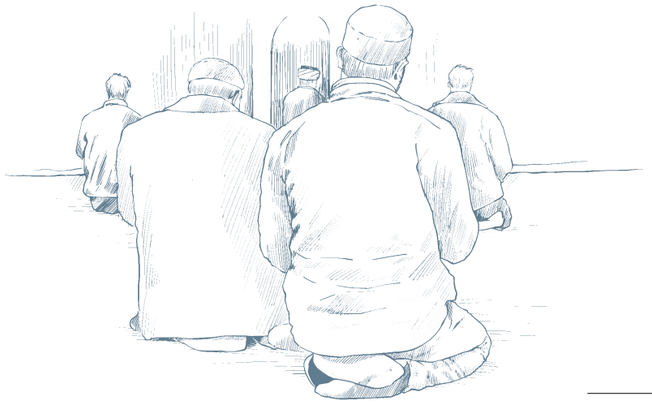

(١) "فتح الباري" لابن حجر (٢/ ٣٢٠).

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبيِّ (٥/ ١٦٠).

نشـــاط (٣)

اجمع من القرآن ما تستطيع جمعه من الآيات التي تتكلم عن التوبة وقبول الله تعالى للتائبين:

.....

.....

.....

ومهما كانت الذنوبُ، فإن الله يغفرها جميعًا، ويتوب على أصحابها إذا تابوا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[1]، وفي الحديث دلالة على أن العبد الصالح كلَّما قارَف ذنبًا، عاد مسرِعًا تائبًا من ذنبه، منيبًا إلى ربِّه، لا أنه مُصِرٌّ على الذنوب، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧]، فإذا تاب المذنبون، وأنابوا إلى ربهم، قَبِل توبتهم، وفتح لهم أبواب رحمته؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وبالإصرار على الذنوب وإن كانت صغيرةً، فإنها تتحوَّل إلى كبائرَ، ولذلك قيل: لا صغيرةَ مع إصرار، ولا كبيرةَ مع استغفار، فكبيرةٌ واحدة تَنصرِم ولا يَتبَعها مثلُها، لو تصوّر ذلك، كان العفوُ عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك: قَطَرات من الماء تقع على الحَجَر على تَوَالٍ فتؤثِّر فيه، وذلك القدرُ من الماء لو صُبَّ عليه دَفْعةً واحدة لم يؤثِّر[2].

لذا؛ حذَّرنا النبيُّ ﷺ من المداوَمَة على فعل الصغائر؛ لأن فيها هلاكًا للعبد؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا

(١) رواه البخاريُّ (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزاليِّ (٤/ ٣٢).

تُهْلِكْهُ»[1]، وحذَّر المُصِرِّين على الصغائر بالوَيْلِ والعذاب الشديد؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[2].

وباب التوبة مفتوح لا يُغلِقه الله في وجه عباده ما لم تَبلُغ الرُّوح الحُلْقوم؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[3]، فالله عزَّ وجلَّ يَقبَل توبة عبده ما لم يحضُره الموت، أو تَطلُع الشمس من مغربها؛ قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

نشـــاط (٤)

إن للتوبة شروطًا لا بد أن تكون موجودة؛ حتى يقبل الله تعالى التوبة، اذكر هذه الشروط:

.....

.....

.....

ويَفرَح الله بتوبة عبده، أكثرَ من فرح رجل وجد طعامه وشرابه في الصحراء بعدما فَقَدهما، وأَشرَف على الهلاك؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»[4].

(١) رواه أحمدُ (٢٢٨٠٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمدُ (٦٥٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ في "صحيح الأدب المفرد" (ص: ١٥١).

(٣) رواه أحمد (٦١٦٠)، والترمذيُّ (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) وحسَّنه الألبانيُّ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣١٤٣).

(٤) رواه البخاريُّ (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

والتوبةُ سببٌ كافٍ لنَيل محبَّة الله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثرَ من سبعين مرَّةً؛ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"[1].

وللتوبة شروطٌ حتى تُقبَل، هي: إخلاص النية لله تعالى، والإقلاع عن المعصية، والندم على ارتكابها، والعَزْمُ على عدم العودة إلى المعصية، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، إذا كان الذنب متعلِّقًا بحقٍّ من حقوق العباد، وأن تكون في الوقت المخصَّص لقَبولها؛ أي: قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل لحظة الموت.

نشـــاط (٥)

ابحث عن قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين نفسا وتاب بعدها، ثم اقرأها جيدًا، واستخرج منها الدروس التي استفدتها، ثم دَوِّنْهَا في النقاط التالية.

.....

.....

.....

.....

.....

من فضائل التوبة:

أولًا: التوبة سببٌ لنَيل محبَّة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ثانيًا: التوبة سبب لنور القلب ومحوِ أثر الذنب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٠٧).

حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]"[1].

ثالثًا: التوبة سبب لتكفير السيِّئات، وغفران الذنوب؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

رابعًا: التوبة سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠].

خامسًا: التوبة سبب لنزول الغَيث، وزيادة القوَّة؛ قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

سادسًا: التوبة سبب للتوفيق والفلاح؛ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٥. من رقيق الشعر:

قال الشاعر:

خلِّ الذنوبَ صغيرَها	وكبيرَها فهُوَ التُّقى
كن مثلَ ماشٍ فوق أرْ	ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يرى
لا تحقِرَنَّ صغيرةً	إنَّ الجبالَ مِن الحصى

وقال الآخر:

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً	فلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ	فَمَن الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرِمُ؟!
أَدْعُوكَ رَبِّ كما أمرتَ تَضَرُّعًا	فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ؟!
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا	وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمُ

(١) رواه الترمذيُّ (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وقال الترمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقال الآخر:

يانفسُ، كُفِّي عن العصيانِ واكتَسِبي	فِعـلًا جميـلًا لعـلَّ اللهَ يرحَمُنـي
يا نفسُ، ويحكِ توبي واعمَلي حسنًا	عسـى تُجازَيْنَ بعد الموتِ بالحسَـنِ

وقال الآخر:

أسـتغفرُ الله من ذنبـي ومن سَرَفي	إني، وإن كنـتُ مسـتورًا لخَطَّـاءُ
لم تقتحـم بي دواعي النفس معصيةً	إلَّا وبينـي وبـين النـور ظَلْـمَاءُ

وقال الآخر:

يَا لَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ أَيَّامِي مَضَتْ	فِي خِفَّـةٍ وَبِحِمْلِهَـا هِـيَ تُفْجَعُ؟!
قَدْ أُثْقِلَـتْ بِذُنُوبِ عَبْـدٍ لَوْ بَدَتْ	لِلْخَلْـقِ أَزْكَمَتِ الْأُنُوفَ وَتَبْشَـعُ
يَـا رَبِّ عَبْـدُكَ مُوحِـلٌ بِذُنُوبِـهِ	يَرْجُـو النَّجَاةَ وَسَـتْرَ ذَنْـبٍ يَفْظُعُ
صَارَ الطَّرِيـحُ بِبَابِ عَفْـوِكَ دَاعِيًا	وَيَقِينُـهُ أَنَّ الرَّحِيـمَ سَيَسْـمَعُ
فَاغْفِـرْ لَـهُ مَا قَـدْ عَلِمْـتَ وَعَافِهِ	وَارْزُقْـهُ قَلْبًـا ذَاكِـرًا لا يَهْجَـعُ

٦. من هدايات الحديث:

١. إنّ المذنبَ بمنزلة من رَكِب طريقًا تؤدِّيه إلى هلاكه، ولا توصِّله إلى المقصود، فهو مأمور أن يولِّيَها ظَهرَه، ويرجع إلى الطّريق الّتي فيها نجاته، والّتي توصله إلى مقصوده، وفيها فَلاحُه[1].

٢. إن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب، تاب الله عليه.

٣. من أسباب إجابة الدعاء: الاعتراف بالذنب والاستغفار منه، والاعتراف بالنعمة، وشكر اللهَّ عليها.

(١) "مدارج السالكين" لابن القيم (١/ ٣١٥).

٤. من أراد الله به خيرًا، فتح له باب الذُّلِّ والانكسار، ودَوَام اللجوء إليه وحده، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه، وجهلها، وعُدْوانها، ومشاهدة فضل ربِّه، وإحسانه، ورحمته، وجُوده، وبِرِّه، وغناه، وحمده[1].

٥. قال الفُضَيل بن عياضٍ: "بقدرِ ما يصغُرُ الذنبُ عندك، يَعظُمُ عند الله، وبقدر ما يَعظُمُ عندك، يَصغُرُ عند الله"[2].

٦. قال عبدالله بن مسعودٍ: "إن المؤمنَ يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبه كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا"[3].

٧. قال عبدالله بن عباسٍ ﷺ: "يا صاحبَ الذَّنْب، لا تأمنَنَّ مِن سوء عاقبته، ولَمَا يَتبَع الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا علمتَه؛ فإن قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال، وأنت على الذنب، أعظمُ مِن الذنب الذي عملتَه، وضَحِكُكَ وأنت لا تدري ما اللهُ صانع بك أعظمُ من الذنب، وفرحُكَ بالذنب إذا ظفِرْتَ به أعظمُ من الذنب، وحُزْنُكَ على الذنب إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظفِرْتَ به، وخوفُك من الريح إذا حرَّكَتْ سِتْرَ بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك مِن نظر الله إليك أعظمُ مِن الذنب إذا عملتَه"[4].

٨. رُبّ طاعة أورثت عِزّا واستكبارا، ورُبّ معصية أورثت ذلًّا واستغفارا.

٩. أقبحُ من الذنب الإصرار عليه.

١٠. العِزُّ كلُّ العزِّ في طاعة الله وعبادته.

١١. المعاصي تورث الذلَّ والهوان.

١٢. المعاصي والذنوب تُعمي بصائرَ القلوب، فلا يُدرِك الحقَّ كما ينبغي، وتُضعِف قوَّتَه وعزيمتَه، فلا يصبر عليه؛ بل قد يتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه كما ينعكس سيره، فيدرك الباطلَ حقًّا، والحقَّ باطلًا، والمعروفَ منكرًا، والمنكر معروفًا، فينتكس في سيره[5].

(١) "الوابل الصيب من الكلم الطيب" لابن القيم (ص: ٧).
(٢) "سير أعلام النبلاء" للذهبيِّ (٨/ ٤٢٧).
(٣) رواه البخاريُّ (٦٣٠٨).
(٤) "حلية الأولياء" لأبي نُعيم الأصبهانيِّ (١/ ٣٢٤).
(٥) "الجواب الكافي" لابن القيم (٩٣-٩٤).

١٣. على المسلم أن يُبادر بالتوبة والاستغفار والمسارعة في الصالحات؛ فاللهُ واسعُ الـمغفرة، يبسُط يده باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، ويغفرُ جميع الذُّنوب ولا يُبالي.

١٤. إن الله تعالى خلَق الملائكة عقولًا بلا شهوة، وخلق الحيوانات شهوة بلا عقول؛ فمن غلب عقله على شهوته فقد تشبَّه بالملائكة، ومَن غلب شهوته فقد تشبَّه بالحيوان.

١٥. التوبة من علامات حبِّ الله تعالى ورضاه؛ لأنَّ الله يحبُّ التَّوَّابين ويحبُّ المتطهِّرين.

١٦. لا تقبل التوبة من حقوق العباد إلَّا بأن يؤدي الإنسان حقوق الناس ويردَّ المظالم.

١٧. يُقبل الله على التَّائب أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته، بل إن الله تعالى يفرح بتوبة الإنسان.

١٨. مهما فعلت من الذنوب فلا تيأس من رحمة الله؛ فإن الله يغفر أيَّ ذنب مهما كان كبيرًا، بشرط أن تكون توبةً صادقة.

١٩. كان النبي ﷺ يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في اليوم أكثر من مائة مرة، مع أنه ﷺ معصوم من الذنوب؛ فالأولى بنا -نحن المقصِّرين- أن نُكثر من التوبة والاستغفار.

٢٠. إن الله يقبل التوبة من الإنسان في أي وقت، بشرط أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل وقت الغرغرة.

٢١. إن التوبة ليست قاصرة على العصاة فقط، بل إن الله أمر العصاة والطائعين بالتوبة والاستغفار، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

ثالثا: التقييم

س١: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة:

١. لا يجب على المسلم إذا ما أَذنَب أن يُسارع إلى التوبة، بل يمكن أن يؤخرها إلى رمضان أو قت فاضل، أو حتى يجد الراحة والاستعداد النفسي. ( )

٢. اليأس من رحمة الله فيه تكذيب للقرآن. ( )

٣. إن الله تعالى لا يغفر إلا صغائر الذنوب. ( )

٤. بالإصرار على الذنوب وإن كانت صغيرةً؛ فإنها تتحوَّل إلى كبائرَ. ( )

٥. الصغيرة تَكبُر بأسباب، منها: الإصرارُ، والمواظبة. ( )

٦. باب التوبة مفتوح لا يُغلِقه الله في وجه عباده حتى عند الغرغرة. ( )

٧. للتوبة شروط لا بد أن تكون موجودة. ( )

٨. لا يَفرَح الله بتوبة عبده. ( )

س٢: اختر الجواب الصحيح فيما يلي:

1. إن الله تعالى يغفر بالتوبة:
   ١. الكبائر فقط.
   ٢. الصغائر فقط.
   ٣. الكبائر والصغائر.

2. كل البشر معرضون للكبائر من الذنوب إلا:
   ١. الأنبياء والرسل.
   ٢. آل بيت النبي.
   ٣. الصالحون.

3. خير الخطائين:
   ١. التوابون.
   ٢. المصلحون.
   ٣. العالمون.

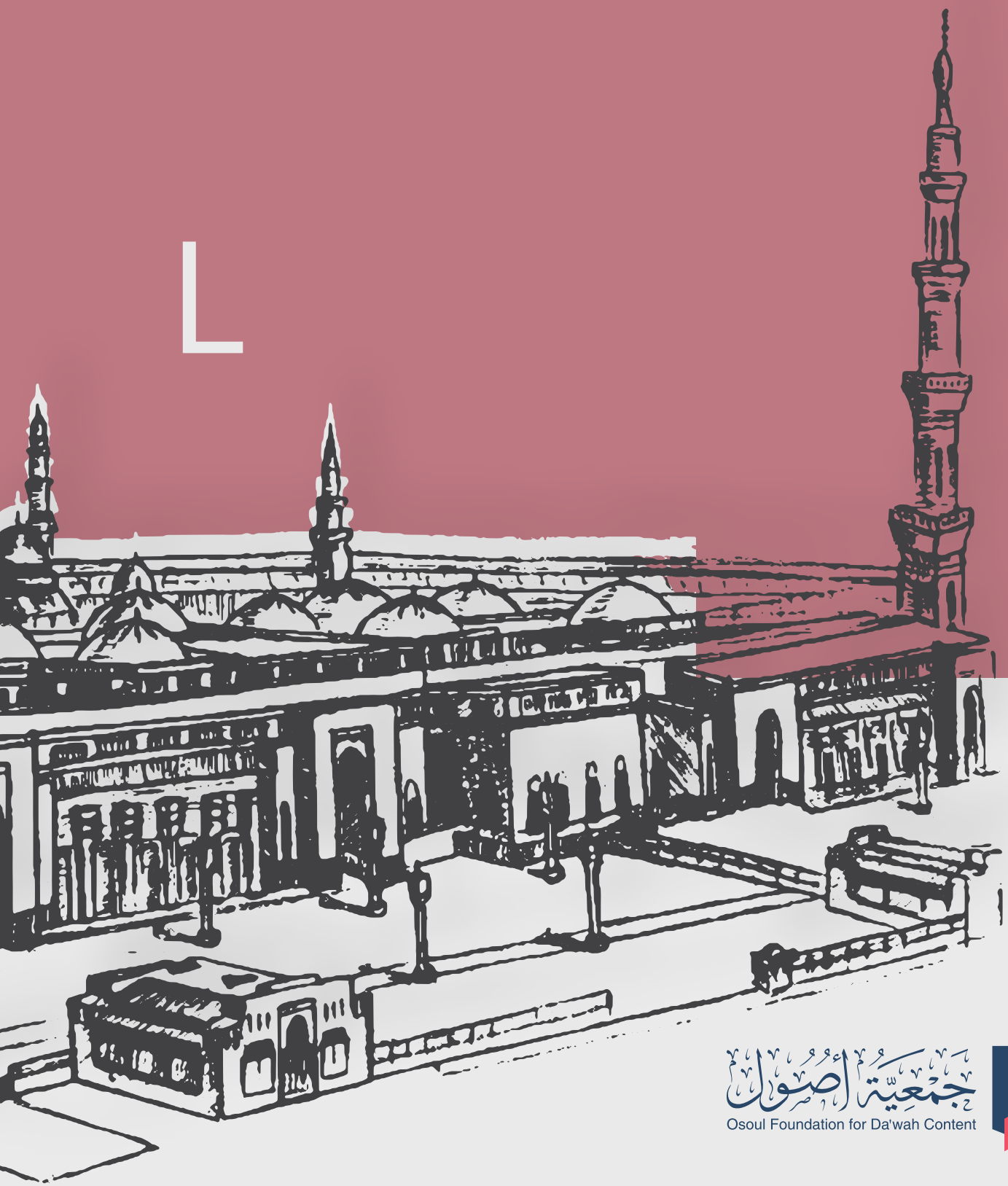

جمعية أصول
Osoul Foundation for Da'wah Content